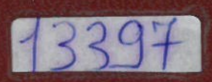
مُصطفى جحا

سلسلة نافذة على المعرفة ـ ٤

قضايا مشرقيّة

"الانسانُ مقياسُ كل شيء"
بروتاجوراس

١٩٨٧



مُصطفى جحا

سِلسِلة نافِذة عَلى المعرفة - ٤

قضايا مشرقيّة

"الانسان مقياس كل شيء"

بروتاجوراس

١٩٨٧

١٩٨٧

الطبعة الاولى
بيروت ـ لبنان

يُطلب من المؤلف : ضبية ـ المتن الشمالي هاتف ٠١/٤٠٤٩٠٤

المحتوى

(*) وقع خطأ في العنوان : « الاصبع اليهودي والحاكم الاسلامي »(ص ٩٩) والتصحيح : «الاصبع اليهودي والخاتم الاسلامي » ، فاقتضى التنويه . (المؤلف)

كتب للمؤلف

- المخالب : فصول في الحرب اللبنانية
- صدى ونغم : قصائد ولدت في الحرب
- أية عروبة أية قضية ؟
- رسائل من خلف المتراس ج ١ و ٢
- الى امرأة واحدة
- لبنان في ظلال البعث
- يوميات تائـه
- في سبيل وطن وقضية
- الخميني يغتال زرادشت — الطبعة الاولى ١٩٨٠ — الطبعة الثانية ١٩٨٢
- محنة العقل في الاسلام — الطبعة الاولى ١٩٨١ — الطبعة الثانية ١٩٨٣
- أبعد من زحلة وصور (حرب الوفاق الشرق الاوسطي)
- جزيرة الكلمات — ج ١
- حبيبتي ما زالت تغالب الفجر — روايـة
- شاهدُ الثعلب ذنَبَه
- رسالتي الى المسيحيين — الطبعة الثانية ١٩٨٦
- قاموس حرب علي ومعاوية و (سباعية طلال سلمان)
- نحن وصنمية التاريخ
- قضايا مشرقية

الاهداء

الى مغدوشة التي سَقطت وهي تعصُر خمرًا
للجلادين...
والى كل "مغدوشة" في مشرقنا الحَبيب...

مصطفى

المقدّمة

إنّه « الكتاب الرابع » ، بل « الحلقة الرابعة» في « سلسلة نافذة على المعرفة » ، التي بدأناها منذ ما يزيد على السنتين ، وقد أُعِدّ للبحث في ثلاث قضايا مشرقية هي : « المسألة الارمنية » و « المسألة اليهودانية » و « المسألة الإمامية المهدوية » ، ولما اجتمعت لدينا ألقتْ ظلالها على أمور أخرى أدركْنا منها :

- المقارنة بين الشخصية اليهودية والشخصيةالعربية الاسلامية .
- العلاقات بين الكنيسة السريانيةوالكرسيالرسولي الروماني (من ١١٤٣ — ١٦٥٦ م) .
- كنيسة الروم الكاثوليك الملكيين .
- الارض والانسان في الاسلام .
- حرب المبشّرين بالجنّة .

وبعدما انتهينا من مهمّة التجميع والتقريبوالمناقشة

والتحليل ، برزت لنا مشْرقيّةُ هذه القضايا وما حولها ، كما لو أنها قضية واحدة فحسب ، الامر الذي جعلنا نغامر ونجازف الى حد الاعلان عما تراءى لنا ، على علم منا بأننا في زمن يكاد يُدعى زمن سقوط الانسان بعقله وروحه معا •

فمنذ الخطوة الاولى ، ثبتَ لنا اننا نمشي عكس التيار السائد والجارف ، ولكن هذا ما كان ليفتّ في عَضُدِنا ، على الرغم من الخطر المحيط بنا ،فتابعْنا السيْرَ على الاشواك وبين الالغام ، فتناءت المسافة ، لكثرة المنعرجات والمنعطفات ، والمرتفعات والمنحدرات ، وعديد المضايق من الاماكن والاحوال ، فظهرنا كأننا نمشي مشيةً غير متساوية ، أو نميلُ خطوةً الى اليمين وخطوة الى الشمال ، وما علموا أن الذي منطلَقُه المشرق وغايتُه المشرق قلّما يعرف الراحة والامن والهناء ، بل غالبا ما تنازعه الصواعق المُحرِقة والعواصف المُدمِّرة •

فمن فان (Van) ،في أرمينيا، الى القامشلي ، الى حلب، الى بيروت ، الى حيفا ، الى اورشليم (القدس) ، الى مكة، الى النجف ، الى بغداد ، الى بابل ، الى دمشق ، والى آخر مكان في مشْرقنا الحبيب ، بشرْقه وغرْبه ، والقضية واحدة موحدة هي : سلام المشرق الكلّي والشمولي •

فلكي يعود الارمني،مثلا،الى أرضه ، يجب أن يكون القامشلي والحلبي والأنطاكي والدمشقي والبيروتي والحيفاوي والأورشليمي والمكي والنجفي والبغدادي والبابلي،وجميع ابناء المشرق ، آمنين مطمئنين ، ليس فيهم من يغتصب حق سواه،أو يستسيغه،أو يكرهه ، أو يتآمر عليه ،فالكل يحتاج بعضهم الى بعض ، والكل أمام معضلة مهما جزّأوها فهي واحدة بلا ريب •

ونحن اذ نضمّ الى كتاب واحد ما تحقق لنا ، عن هؤلاء وأولئك ، من معلومات سياسية واجتماعية ودينية وفكرية وأدبية واقتصادية،قديمة وحديثة ، ثابتة ومؤكّدة، يهمّنا ، أولا ، أن تتعارف وتتثاقف ، وتتحاور وتتفاهم ، فلا يجهل أحدنا هذا أو ذاك ، ولا يستغرب هذا أو ذاك، ومتى تمّ لنا ما أردناه ، فان مشروع السلام المشرقي لا بد أن يصبح أمرا معقولا ومقبولا ، وعندئذ تبدأ الرحلة المباركة التي طالما تمنيناها •

أيّنا لا يريد الامن والسلام والعيش الكريم ؟

إنّ أساطير كثيرة ، وخرافات شتى ، وأضاليل لا حصْر لها ، ينبغي لنا أن نتجاوزها وننساها ، فهذه وتلك أقامت ، في ما بيننا ، حواجز عالية ومسلّحة جعلتنا بعضنا أعداء بعض ، ومع مرور الزمن ألْغينا أو كدنا نلغي ، من

ذاكرتنا ، الافكار الجميلة التي حملناها ، واذا نحن في شقاء رهيب ، وقد صدئت عقولنا وأعصابنا ، ما عدا ألسنتنا ، فهذه ظلت كطواحين الهواء ، تعمل بلا سبب ، وكلما جنّت الريح أو تغيّرت أو تحوّلت •

وحسبما هو معروف ، فان السلام العادل ثمنه غالٍ ، وباهظ التكاليف ، وهو ان لم يكن مستحيلا فمناله صعب ، في حين ان الحروب وما يتخللها من تدمير وتخريب وقتل وتهجير ، حقيرة ورخيصة ، ويمكن وقوعها لأقل حركة او إشارة تصدر عن ملك أو رئيس أو حاكم أو قائد ، من دون مبرّر يُذكر ، ومثل هذا النوع من الحروب هو الارخص والاسخف والاخطر ، على أن أغلب الحروب التي جاءتنا أخبارها حتى الآن ، هي ، ويا للأسف ، من هذا القبيل •

إنّ مشرقنا هو كسواه من المناطق التي شهدت الويلات والكوارث والنكبات • ولكن ما حدث فيه كان أكثر هولا وفظاعة ، مما أدى الى هذا المركّب العجيب الغريب ، الكثير الصراعات ، والقليل الهدْآت • ولربما عُدّ مشرقنا أكبر بؤر النار والحروب في العالم ، نظرا لموقعه الاستراتيجي ، وأهمية ما يختزن من امكانات وطاقات بشرية ومادية ، كما تأكد لنا من خلال البحوث التي قدّمْناه • وعلى كل حال ، يكفيه انه مصدر لاكثر الاديان وأكبرها •

هل سيبقى المشرق على حاله ؟ أم أن هنالك أملا بالتغيير؟

لا شك أن أسبابا هائلة ، قوية ومؤثرة ، لن تدَعه ينهض للأحسن والأفضل والأرقى • ولكنْ ، أفلا يحقّ لمثلي أن يحلمَ بيوم السلام المشرقي ، الذي بدونه لن يهنأ العالم ولن يستقر ؟!

وما يجب أن نعرفه هو ان كتابي هذا ليس مشروع سلام مشرقي ، يتألف من بيان وخطط وشروط وقوانين واتفاقيات وأحكام ، وانما هو كشّاف الغمم التي غرقْنا في بحرها العميق والوسيع ، وكم ألمتْنا النتائج التي بلغناها!

مصطفى جحا

ضبية ـ المتن الشمالي ٢٥/٣/١٩٨٧

الفصل الأول

المسألة الأرمنيّة ما لها وعليها

"حقًا: إن مجرى حياتي الأرضيّة يشبه كثيرًا بحرًا صاخبًا في ضربات الأمواج الغفيرة"

الشاعر اللاهوتي غريغوار ناريكاتسي

GRIGOR OF NAREK (944-1010)

من كتاب "الصلوات" نقله عن الارمنية
الى الفرنسية الأب سحاق كيشيشيان اليسوعي
ثم قام الأب جورج عقل بترجمة الصلاة
الخامسة والعشرين منه، ذكر أربعة
مقاطع منها الأستاذ مروان المدوّر في كتابه:
الأرمن عبر التاريخ (ص ص ٣١٠-٣١٢)

تمهيد :

يحسب الكثيرون منا أن الشعب الارمني هو مثل قلعة ذات بابٍ واحد ، لا يدخلها غريب" الا" باذْنٍ مسبق، فمتى قُضيت حاجتُه وجَب رحيله • وحجّة هؤلاء هي ان لسان الارمن غير لساننا ، واعيادهم لا تتفق واعيادنا ، وقضيتهم مستقلة عن قضايانا ، وعاداتهم تختلف عن عاداتنا وتقاليدهم لا تشبه تقاليدنا ، ومأكلهم ليس مأكلنا •

وغالبا ما سمعت وأسمع من يقول بأن الارمني لا يحب أحدا سوى الارمني مثله ، ولا يتعامل مع غير ابناء جنسه الا مرغما • وسمعت ايضا ان الارمن قد نسجوا لانفسهم، في الهجرة ، « استقلالا » يغنيهم الى حد بعيد عن مخالطتنا ومعاشرتنا ، وهم في « برج حمود » ، مثلا ، دولة ضمن الدولة ، فالى هناك حملوا أسماء بعض مدنهم وانهارهم وجبالهم وسهولهم وملوكهم وقادتهم وشهدائهم ليسموا بها

أحياء « برج حمود » وشوارعها ومؤسساتها ، فبتنا نسمع : «مرعش»و«سيس»و«أراكس»و«نورسيس» و «شيراك» و«هاجين»و«ارارات» و«امانوس » و « فان »و«نوبار» و «ساكو»و «اترانيك» و«غارو » و «آني » و «لوري» و «زافاريان» و « هامسكايان » و «هايكازيان»و«تكيان» و « نظاريان » و « اورفاليان » و « كشيشيان » و « طوروسيان » و« مسروبيان » و « آراميان » و « موسيسيان » و « قصارجيان » و « هاراتش » و «مارديكيان» و «خريميان» و «بالكجيان»و«كيليكيان» و « اهرامجيان » و « وبوغوصيان » و « ابليكاتيان » و«سركيسيان»الخ.. وللأرمن مدارسهم ومعاهدهم وكلياتهم ومجالسهم وجمعياتهم وأحزابهم،ولهم أيضا جرائدهم ومجلاتهم ومطابعهم ، وكل المظاهر التي توحي المفارقة عنا والمباينة والانفصال .

لم أشأ في الماضي البعيد ، أن أسأل صديق الطفولة: « ميساك » عما يقال عن الارمن . وكيف أسأله وهو ، بالنسبة اليّ ، ليس صديقا فحسب ، بل أخ وزميل في الدراسة ، لطيف المعشر ، طيب القلب ، وصادق ،ومخلص لرفقائه ، ولا يتصرف بما يدعو الى الحذر أو الارتياب؟!

لذلك احتفظتُ لنفسي بالسؤال عن حقيقة ما يشاع عن الارمن ، بانتظار الجواب القاطع يأتيني من غير «ميساك» ووالده « أبو خاتشيك » الذي كنت أجلّه وأحترمه .

ولكن المشوار مع « ميساك » لم يكن طويلا . فكلانا أخذ ، باكرا ، طريقه نأيا عن الآخر ، وما عدنا نتلاقى الا مصادفة . وكدت أنسى ما في خاطري ، لولا بعض الاخبار التي كانت تطرق أسماعنا ، من وقت الى آخر ، عن أحداث ومشاغب كانت تقع في « برج حمّود » إما بين أرمنيين بعضهم ضد بعض ، أو بين ارمنيين ولبنانيين ، او أرمنيين ورجال من « الدرك اللبناني » .

وجاءت الحرب (١٩٧٥) لينهض ذلك السؤال القديم المخبوء او المكبوت ، ولكن بقوة هذه المرة : من هم الارمن ؟ وما هي المسألة الارمنية ؟ فرحت أبحث عن الجواب برغبة عنيفة ، بعدما اطلعتُ على تاريخ السريان والكلدان والآشوريين والاكراد،ووقفت على أحوالهم وصفاتهم وأخلاقهم ومتاعبهم وأحزانهم وآلامهم ، وأدركتُ قضاياهم القومية والدينية ، وبانت لي آمالهم وأمانيهم ومشاعرهم وتطلعاتهم ورغباتهم ، فصرت أتردد الى « برج حمود » و « الدورة » و « انطلياس » و « الزلقا » ، وحيثما يوجد الارمن ، لأرى كيف يبيع الارمن ويشترون ، ويصنعون

ويفبركـون ، ويصوغـون الـذهب ويسبكون الفضة ، ويصرّفون العملات الاجنبية ، ويستوردون ويصدّرون. ولأرى أيضا كيف يمشون في الاسواق ، وكيف يأكلون ، ويتخاطبون ، فنشأت علاقة بين بعضهم وبيني تطورت حتى غدت صداقة سأبقى أعتز بها بكل تأكيد .

ان هذا حرّضني على الاستمرار في الكشف عن جوهر الواقع الارمني وحقيقته، فقصدت مدارسهم ومعاهدهم ، ثم أديارهم وكنائسهم ، وكنت في كل مرة أزداد ثقة واطمئنانا. وبين الاشرفية ، حيث مقر بطريركية الارمن الكاثوليك ، وبين دير بزمار في كسروان ، أخذت أنقّب عن منـابض المسألة الارمنية ، فألفيتها حية ولها قلب نبْض ، في مركز كيليكيـا ، في انطليـاس ، وهـو المقر الروحي للارمن الارثوذكس ، كما في كنيسة بشارة العذراء (الجعيتاوي)، وسائر الكنـائس الارمنية : الارثوذكسية والكاثوليكيـة والانجيلية . وألْفيتها كذلك ، في المدارس ، والجمعيات الخيرية ، وملاجىء الايتام ، ودور العجزة ، في « بـرج حمـود » مثلما في « سد البوشريـة » و « انطليـاس » و « الدكوانة » و « الفنار » و « الحازمية »و«الاشرفيه» . ورأيت المسألة الارمنية تحيا قوية هدارة في مكتبة معهـد « هايكازيان » التي يديرها ويشرف عليها الاستاذ جيرار تانليان ، كما في الصحف الارمنية :«أزتاك»التي يصدرها

حزب « الطشناق » ، و « آرارات » لسان حـال حزب « الهنشاك » ، و « زارتونـك » الناطقـة بلسان حزب « الرمكافار » ، وأيضا في كتب ودواوين الادباء والشعراء والمفكرين الارمن في لبنان ، وهي لا تكف عن الصدور ، على الرغم من المصاعب والعراقيل التي أحدثتهـا الحرب اللبنانية.على ألاّ ننسى اذاعة «راديو فان» (Radio Van) ومديرها الاستاذ فاتشي برودیان(*١). أما«المجلس الشعبي الارمني » (Armenian National Council) ، الذي تأسس عام ١٩٧٦ ، لكي يخفف من وطأة الحرب وثقلها على الشعب الارمني اللبناني،فيعتبر بفضل مديره النشيط الصديق الاستاذ هاروت كلايجيان،من أبرز المؤسسات الارمنية التي تساهم في تأمين التعليم والخدمات الصحية والاجتماعية والمساكن للذين جلبت الحرب عليهم الويلات والخسائر من الارمن. وينظر هذا«المجلس » في بعض المشكلات ولا سيما منها الاجتماعية (Social affairs) ، ويسعى في تأمين الوظائف للعاطلين عن العمل وتشغيلهم ، ويشجع الجمعيات التعاونية

(*١) وللارمن في لبنان خمس اذاعات أيضا هي :
— Radio Paradise
— Radio Libano
— Radio Sevano
— Radio Melody
— Armenian Radio of Lebanon

وجميعها تعمل على الـ « إف إم » (F. M.)

الاستهلاكية منها والتسليفية • وكذلك انبثقت منه مؤسسات عديدة خيرية وعمرانية ومالية تعمل في سبيل تطوير وضع الارمن وتحسينه ودعمهم لمواجهة الازمات الاقتصادية وغيرها •

وقادني البحث الى زيارة عدد من الاصدقاء الارمن في منازلهم ، لأجد عندهم ما يرضي الذوق ويبعث في النفس البهجة والارتياح ، حتى ليكاد يضيع من الذاكرة ان الارمن قد وصلوا الى هنا ، بعدما قطعوا ، خلال سنوات الحرب العالمية الاولى ، طريقا مليئا بالجثث (١) • فإحياء المجزرة الارمنية التي ذهب ضحيتها ما يزيد على مليون وربع المليون شهيد ، ما عادت كـ « مناحة أورفة » (The Elegy on the Fall of Odessa) للكاثوليكوس نيرسيس ، بل صبرٌ على الواقع عظيم ، وايمان عميق وراسخ بأن الحق ، أياً كان مغتصبه ، لا بد أن يعود الى صاحبه الشرعي • وعلى هذا يستمرون (الارمن) هنا في « هجرتهم » مواطنين أوفياء ، يحترمون النظام الذي يرعاهم ،ويخضعون له ، كما يرفضون أن يغلّبوا المسيحيين على المسلمين ، أو بالعكس ، وإنما همّهم أن يتحقق السلام العادل للبنانيين وجميع الامم والشعوب •

(١) كرسام أهارونيان : القضية الارمنية أمام الرأي العام العربي ، ملخص ترجمة كتاب « على طريق الاحلام الكبرى » بالارمنية ، للكاتب نفسه ، رئيس تحرير جريدة «زارتونك» اليومية • بيروت ــ نيسان ١٩٦٥ ص ٣١

لعلّ أروع وأعظم تعبير عن حب الارمن للوطن الأم والامل بالعودة ، هو عيد الشهداء ، الذي يقام في ٢٤ نيسان من كل عام • ففي هذا العيد الوطني يتوقف الارمن عن العمل ويغلقون متاجرهم ومحلاتهم ومكاتبهم ومدارسهم ، ويؤبنون شهداءهم بالقاء المحاضرات والخطب والقصائد ، ويزورون القبور ليجددوا العهد والوعد •

ان زيارة الارمن للمقابر ، في عيد الشهداء ، هي لوحة شعبية أرمنية يعجز الاديب والشاعر عن وصفها وتحليلها ، مثلما يعجز الفنان عن بلوغ كنهها وحقيقتها • وكلما رأيت الارمن عند المقابر ،أو على الطريق اليها ،يتخيل الي اننا في يوم القيامة ، فيراودني السؤال : متى يعود الارمن الى بلادهم ؟ وتنتهي الزيارة للقبور بينما يظل السؤال معلقاً حتى يأتي يوم القيامة الفعلية !

ما هي المسألة الارمنية ؟

بعد كل هذه السنين من البحث والدرس والمراجعة والتحقيق كانت هذه الدراسة ، التي أهديها الى أصدقائي الارمن في لبنان والعالم •

ارمينيا :

جاء في كتاب « الارمن عبر التاريخ » [٢] لمؤلفه الاستاذ مروان المدوّر [٣] :

« كانت أرمينيا منذ نشوئها ، وحتى آخر يوم من عمرها ، موضع اهتمام الدول التي جاورتها . فمنذ سنوات ما قبل الميلاد ، اهتم بها أولاً الآشوريون ، ثم الميديون ، والبارثيون ، والفرس ، والاغريق ، والرومان . وخلال السنوات التي تلت الميلاد امتد هذا الاهتمام الى الامبراطوريات الفارسية والبيزنطية ، والعثمانية ، ثم الى روسيا القيصرية ، وايران العجمية ، مما شكل اذن اهتماما سياسيا ـ عسكريا واسعا ، « بالدولة »،«الامبراطورية»، «المملكة» ، « الممالك » ، « الامارات » الارمنية ككل ».

---

(٢) ٦١٦ صفحة من القياس الكبير مجلدا ، الى الفهرس، وكلمات شكر وعرفان ، ولوحات الكتاب (عددها ثمانون)، وشرح لوحات الكتاب ، والابجدية الارمنية ، وملخص باللغة الارمنية . منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت ، الطبعة الاولى ١٩٨٢ . ويتضمن الكتاب كلمة من الاديب والكاتب الارمني المرموق الدكتور طوروس طورانيان .

(٣) هو مروان طه المدوّر ، سوري من مواليد دمشق . درس الحقوق في جامعة دمشق . عمل سنتين كقاض في السويداء ، ثم رحل الى بودابست والولايات المتحدة . نال دبلوم من جامعة كولورادو في تطوير التجارة الخارجية للمنتجات الزراعية ، و « دبلوم» في تطوير التجارة العالمية.

وتابع يقول :

« وكما هو الامر في يومنا هذا ، فقد سعت كل واحدة من هذه الدول ، وبطرقها الخاصة ، الى بسط نفوذها السياسي القومي على ارمينيا ، وجذبها الى صفها، سواء أقيم هذا الجذْب ودياً أم عسكريا ، سلْماً أم حربا، فان المهم هنا ، هو كسْب هذه الدولة (الأرمنية) ،وجعْلها مواكبة ضد الدول الاخرى ، باعتبار ان هذا الجذْب ، يكفل للدولة المعْنيّة جملة من الفوائد » [٤] .

إنّ هذا القول لصحيح وواقعي . يبرّره كون أرمينيا أرمينيتين ، بل ثلاث أرمينيات .وعند بعض المؤرخين هي أربع ... فالأولى : بيْلقان ، وقَلة ، وشِروان ، وما انضم اليها عُدّ منها . والثانية : جُرْزان ، وصُغديبل ، وباب فيروز قُباذ ، واللّكْز . والثالثة : البُسْفُرْجان، ودَبيل ، وسراج طيْر ، وبغْرَونْد والنّشوَى .والرابعة وبها قبر صفوان بن المعطّل صاحب محمد (النبي) ، وهو قرب حصن زياد عليه شجرة نابتة لا يعرف أحد من الناس ما هي ، ولها حَمْل يشبه اللوز يؤكل بقشره وهو طيّب جدا . فمن الرابعة:شمشاط وقاليقلا وأرجيش وباجُنيس. وكانت كُور أرّان والسيسجان ودَبيل والنشوى وسراج

---

(٤) الارمن عبر التاريخ : الباب الرابع ، الفصل الاول : ص ٣٧٣/٣٧٤

طير وبغروند وخلاط وباجنيس في مملكة الروم، فافتتحها الفرس وضموها الى ملك شروان التي فيها صخرة موسى (النبي) التي بقرب عين الحيوان (٥) .

وأرمينيا ، على العموم ، « اسم لصُقْع عظيم واسع من جهة الشمال » (٦) ، وهي كانت تمتد نحو جبال القوقاس ، وتتصل بها من الجهة الشمالية ، والى بحر قزوين أو قريبا منه الى الجهة الشرقية داخلا فيها ، على رأي البعض ، بحيرة أرمية من جهة الجنوب الشرقي ، وقسم من قبادوقية من جهة الجنوب الغربي ، والغرب . وشملت (أرمينيا) من الشرق : سهول بحر قزوين ومنطقة اتروياتين أو بلاد الألبان ، وهي آذربيجان القديمة ، ممتدة من الغرب ، حتى سهول الأناضول ، وسلسلة جبال طوروس ، محدودة في الشمال ببلاد إيبيرية ، أو جيورجية، أو كرجستان وسلسلة الجبال النبطية . ومن الجنوب كان يحدها جبال كردستان وما بين النهرين . وفي اقصى امتدادها ، بلغت مساحتها نحو / ٣٠٠٠٠٠/ كلم٢ ، ثم أخذت تتقلص حقبة تلو حقبة ، وعصراً إثر عصر ، حتى انحصرت اليوم في أرمينية السوفيتية في مساحة ارمينيا

(٥) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، المجلد الاول ص١٦٠ .
ايضا : دائرة المعارف (البستاني) المجلد العاشر ،ص ٢٩٤
(٦) ياقوت الحموي : المصدر نفسه .

الكبرى (٧) .

المسألة الارمنية شرقية :

ليست المسألة الارمنية ، التي « يرجع نشوؤها الى تلك الحقبة التاريخية التي أضاع فيها الشعب الارمني هويته وكيانه المستقل كدولة ، وذلك في سنة ١٢٣٦ م عند دك الزحف المغولي حكم الامراء الزكريين وفرض المغول سلطتهم الغاشمة على ارمينيا » (٨) ، في منأى عن مسائل الشرقين : الاوسط والأدنى . فهي مثل المسألة الكردية ، والمسألة الآشورية ، والمسألة السريانية ، والمسألة الكلدانية ، والمسألة التترية ، والمسألة الشركسية، والمسألة الفلسطينية ، وأيضا مثل المسألة القبرصية .وأرجو أن لا يكون لبنان في عداد هذه القضايا الشرقية الصعبة والمعقدة .

على ان هذين الشرقين : الاوسط والادنى ، هما توأمان،عبثت بهما المصالح الدولية والسياسات والتحالفات، حتى تمزقا ، فتحولا الى دول وكيانات بعضها عدو لبعض ، وبعضها يغدر ببعض ، الامر الذي كرس واقعا أليما ومريرا ، لا أظنه سيتغير نحو الاحسن ، والعالم

(٧) دائرة المعارف (البستاني) نفسه ص ٢٠٥
(٨) كرسام اهارونيان : القضية الارمنية ، نفسه ،ص ٨

مأزوم أخلاقياً ونفسيا واقتصاديا وسياسيا ودينيا وفكريا.
واذ يقول الدكتور زين نور الدين زين : « ليس في الدنيا مناطق كثيرة كمنطقة الشرق الادنى حيث كان للموقع الجغرافي وما يترتب عليه من خطورة استراتيجية ، دور في تقرير مصائر الشعوب التي تتوطنها » (٩) — وهذا صحيح تماما — فانما يقصد بذلك الشرق الاوسط أيضا . لأن « الشريان الرئيسي » للمواصلات بين أوروبا وآسيا هو ، في الحقيقة ، مجموعة شرايين ، أو روافد، ان توقف أحدها، لسبب أو آخر ، فان ضائقة لا بد أن تصيب «الجسر» كله والعابرين (...) وجميع الذين خلفه . وبهذا المعنى يقول الدكتور زين نفسه في مكان آخر من كتابه المذكور :

« ان موقع الشرق الادنى الجغرافي شديد الارتباط بأهميته الستراتيجية ، ولا يمكن الفصل بينهما ، فان العبارات التي كانت تطلق في القرن التاسع عشر وصفاً لهذه المنطقة ، كقولهم « انه جسر الى آسيا » ، وانه « طريق حيوي للامبراطورية البريطانية » ، و « الشريان الرئيسي للمواصلات بين أوروبا وآسيا » ،أصبحت عبارات متداولة ومألوفة . نعم ، ان نظرة على خريطة العالم السياسية تظهر لنا أن هناك بقاعا أخرى يمكن اعتبارها « جسورا »

---

(٩) الصراع الدولي في الشرق الاوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان ، دار النهار للنشر ، الطبعة الثانية ١٩٧٧، ص ٦٨ .
الارمن عبر التاريخ : ص ٩

و « خطوطا حيوية » و « شرايين للمواصلات » .

ويقول أيضا :

« ولكن ربما ليس هناك من بقعة أخرى في الدنيا كلها وقعت حروب على أرضها ، وعبَرت شعوب ثم عادت لتعبر ثانية فوق أرضها ، كمنطقة الشرق الادنى .. فهذه المنطقة كانت أبدا ساحة معركة للجيوش ، كما انها كانت معتركا للفكر » (١٠) .

ولا نستغرب أن تكون تركيا « طلبت من الهيئة التنفيذية لشؤون القوقاز (سايم) أن تقطع علاقاتها مع روسيا ، وذلك لتتمكن من اضعاف تلك الهيئة للقضاء عليها فيما بعد . (ف) بعد مناورات ومداورات وأمام ضغط الجيش التركي الزاحف ، نزلت الهيئة التنفيذية (القوقازية) عند طلب تركيا ، فانفصلت عن روسيا السوفياتية ، باعلانها القوقاز « جمهورية اتحادية ديمقراطية » ، كما انها اعترفت في آخر المطاف بمعاهدة برست — ليتوفسك ، فتشجعت تركيا بذلك (...) خصوصا بعد أن احتل جيشها مدينة قارص المحصّنة . ولكن ما كانت تركيا لتكتفي بما حصلت عليه ، انما كانت ترمي الى أبعد من ذلك ، الى تصفية « سايم » نهائيا واحتلال القوقاز بكاملها ، وذلك ابتداء

---

(١٠) المصدر نفسه : ص ١٣ .

من ارمينيا الشرقية » (١١) .

ان الـدكتور زين نفسه قد توّج بحثه « المسألـة الشرقية ــ المرحلة الاولى » (١٢) ، بنصٍّ استعاره مـن كتاب (John Morley) (١٣) وترجمته كما يلي :

« ... ذلك التشابك المتقلب الوعر مـن مصالـح متضاربة ، ومن شعوب متنافسة ، ومن أديان متنابذة ، تقنّعها بقناع شفّاف ، ونطلق عليها اسماً يسيرا : المسألة الشرقية ، كما يعرفها كل امرىء حق المعرفة ، هي وجـود الاتراك العثمانيين في أوروبا ، واستيلاؤهم على مدينـة القسطنطينية ، وذلك الموقع الفريد الملوكي المنيع الرابض على الارض الاوروبية ، ووجهه ناحية آسيا ، وسيطرتهم كمسلمين أسياد ، على شعوب مسيحية » .

أقول : استعار الدكتور زين ، من جون مورلي ،هذا النص ليبرهن على صحة استنتاجه وهو القائل :

---

(١١) القضية الارمنية : المصدر نفسه ص ٤٠ـ٤١ .

(١٢) عنوان الفصل الثاني من كتاب « الصراع الدولي فـي الشرق الاوسط » (من ص ٢٢ الى ص ٣٧) .

(١٣) (ڤيكونت) John Morely (1838—1923) Viscount of Blackburn England Statesman and Writer .

وكتابه هو :

« The Life of William Ewart Gladstone, Vol. I , (1809 — 1853) London, 1903.

« وما دامت تركيا دولة قوية ، واعداؤها دولا ضعيفة فان جميع الخطط الاوروبية لتقسيمها كانت تبوء بالفشل. ولكن عندما تبدّلت الحال في القرن الثامن عشر ولم تعد تركيا تشكّل خطرا على أوروبا فان الدول الاوروبية لم تعد هي أيضا تكترث بقضية ازالتها مـن الوجود ، لان الامبراطورية العثمانية أصبحت اذ ذاك احد حجارة الزاوية في سياسة توازن القوى بين الدول . وأصبح الحفاظ على كيان الامبراطورية العثمانية ضمانة لتوازن القوى » (١٤).

والواقع هو انه عندما كانت تركيا متزنة ومطمئنة ، كانت ارمينيا (خصوصا ارمينيا) وآذربيجان وجيورجيا وكردستان وكل سوريا ، على حال شبه واحدة ، وبخاصة خلال الربعين الاول والثاني من القرن التاسع عشر ، حيث شهدت البلاد حركة اصلاحية قام بها على التوالي السلاطين: محمود الثاني وعبد المجيد وعبد العزيز . ففي ظل هـؤلاء تأمنت سلامة الارواح والاملاك ، ووزّعت الضرائب توزيعا يكاد يكون عادلا . وعلى الرغم من بعض رجال الـدين المتعصبين ، والباشاوات الرجعيين ، والفئات الحاكمـة ، استطاع الارمن إحداث بعض التغييرات في حيـاتهم ، اذ قام نخبة من الشباب المثقفين مثل : اوديـان وروسينيـان

---

(١٤) زين نور الدين زين : المصدر نفسه ص ٢٤ .

وسيروفيشيان وأوتوجيان وغيرهم من وجوه الجيل المسمى بـ « جيل النهضة » ينشرون الافكار الحرة في أوساط الشعب ، مما أدى الى وضع دستور خاص ، لاول مرة ، بأحوال الارمن ، أقرّه السلطان رسميا بفرمان خاص ، سنة ١٨٦٣ ، فكان سببا لنهضة اجتماعية وثقافية واسعة ، خصوصا في استانبول ، تجسّدت بفتح المدارس وتأسيس الجمعيات واصدار الجرائد وتطوير الآداب والعلوم الارمنية (١٥) .

ولما بدأت « الدولة العظمى » تتراجع أو تتقلص ، تفجّرت التناقضات المتراكمة منذ أمد بعيد ، والتي كانت نائمة نوعا ما ، فاذا هناك صراع أوروبي — أوروبي على التركة الواسعة والغنية ، بدا كأنه شرقي — غربي ، بينما الواقع هو ان الشرق وحده الذي أخذ يغلي ليفتتّ من جديد بأصابع جد غربية ، وتُوزّع شرائحه على الذين شاركوا ، بشكل أو آخر ، في الحرب على الامبراطورية المريضة والمتداعية . وعلى قول لوتسكي ، فان عهد الحكم العثماني في الاقطار العربية قد صادف « فترة انتعاش في التجارة العالمية ونموها السريع . وكانت الصناعة الاوروبية آنذاك بحاجة الى المزيد من الاسواق ، الامر الذي كانت

---

(١٥) القضية الارمنية : ص ١٦ .

توفره لها الامبراطورية العثمانية المترامية الاطراف . فابتاع الاقطاعيون العرب والاتراك الاقمشة الصوفية الانكليزية والهولندية ، والحرير والنبيذ الفرنسيين ، والفراء الروسي ، والزجاج من البندقية ، والبلور البوهيمي ، كما صدّروا الى أوروبا الحبوب والحرير الخام والجلود والصوف الخام والفواكه والجوز وزيت الزيتون والمنسوجات والاقمشة البيتية » (١٦) .

وكما هو معلوم ، فان التجار الذين لعبوا هذا الدور الرئيسي في هذه التجارة ، لم يكونوا أتراكا مثلما يقول فريدريك انجلس (١٧) ، بيد ان الاسلوب الذي اتبعه أولئك التجار الاجانب للقيام بالتجارة هو « نهب القوافل ، وقد أصبحوا أكثر تمدنا ، (اذ) قامت تجارتهم على أساس مختلف أنواع الضرائب القسرية والتعسفية . و (هكذا) رسّخ اليونانيون والارمن والسلاف والاوروبيون الغربيون

---

(١٦) لوتسكي : تاريخ الاقطار العربية الحديث ، ترجمتها عن الروسية الدكتورة عفيفة البستاني ، وراجعها يوري روشين دار الفارابي ، الطبعة السابعة ١٩٨٠ ، الطبعة الثامنة ١٩٨٥ ص ١٨—١٩ .

(١٧) فريدريك انجلس ، القضية التركية ، كارل ماركس وفريدريك انجلس ، المؤلفات ، الطبعة الروسية الثانية ، المجلد ٩ ، ص ٢٥ ، عن : تاريخ الاقطار العربية الحديث ، نفسه ، ص ١٩ .

أقدامهم في المرافىء البحرية الكبيرة قابضين في ايديهم على كل التجارة ، وليس لديهم ما يبرر اطلاقا شكر البكوات والباشاوات الاتراك على اتاحة الفرصة لهم لممارستها»[١٨] . وبالنسبة الى أوروبا فان القول : « ولو تخلصنا من جميع الاتراك في أوروبا لما قاست التجارة من ذلك على الاطلاق » [١٩] يعكس الواقع الذي كان سائدا آنذاك .

يعزز رأينا هذا أيضا الاستاذ مروان المدوّر حيث يقول :

« وجاءت معاهدة السلام التي وقّعتها تركيا في سيفر بتاريخ ١٠ آب ١٩٢٠ ، بمثابة الدواء الناجع لحل مشكلة الانتداب ـ الحماية أو الوصاية (...) اذ اعترفت تركيا بموجب هذه المعاهدة ـ التي اشتركت الجمهورية الارمنية في التوقيع عليها ـ باستقلال الدولة الارمنية . كما خوّل الرئيس الاميركي ولسون (بموافقة ارمينيا وتركيا على المعاهدة) صلاحية تعيين حدود الجمهورية الارمنية وتحديد خطوط ونقاط الفصل بين الجمهورية الارمنية وتركيا بالنسبة للولايات الارمنية: فان (Van) ارزروم (ارضروم)، تروبيزند ،

---

(١٨) المصدر نفسه .
(١٩) المصدر نفسه .

بتليس ، على أن تقبل هاتان الدولتان قرارات الرئيس ولسون الصادرة بهذا الشأن » .

ثم يعود فيقول بأسى وحزن عميقين :

وكالعادة ، كان يمكن لمعاهدة سيفر ، لو قيّض لها البقاء ، أن تهيء أسباب وجود الدولة الارمنية المستقلة حتى هذا اليوم ، الا ان نمو القومية التركية وظهور النزعة الكمالية في تركيا أفسد كل شيء » .

أضاف :

« فقد قامت القوات التركية الكمالية ، بعد شهر ونصف تقريبا من التوقيع على معاهدة سيفر ، وبالتحديد بعد ٤٣ يوما ، أي بتاريخ ٢٤ أيلول ١٩٢٠ ، بفسخ هذه المعاهدة عندما هاجمت تحت قيادة قاظم (كذا) قره بكير، ثم احتلت قبرص وأزْدهان والكسندروبول وأولتي ..ثم طلب الطرفان الهدنة ووقف القتال » .

وقال أيضا :

« والطريف في الامر ، ان الدول كافة ، وقفت ، ازاء هذه العمليات الحربية المنافية لمعاهدة سيفر ، التي لم يجف

حبرها بعد ، لا تحرك ساكنا » [٢٠] .

وعندئذ أخذت الحكومة الارمنية ــ وهي بعد في دور الطفولة ــ تتردى يوما فيوما ، حتى « وجدت نفسها مضطرة لتوقيع معاهدة الكسندربول بتاريخ ٢٢ / ١٢ / ١٩٢٠ مع حكومة الجمعية الوطنية الكبرى في تركيا الكمالية في أضنة » [٢١] (*٢) . ومن أسف أن الاحداث

---

(٢٠) الارمن عبر التاريخ : ص ٤١٩ ــ ٤٢٠ .
(٢١) المصدر نفسه : ص ٤٢١ .
(*٢) جاءت في هذه المعاهدة (سيفر) المواد التالية الخاصة بالارمن :
« المادة ٨٨ ــ تعلن تركيا انها تعترف بارمينيا كدولة حرة مستقلة ، كما سبق واعترفت بذلك الدول الحليفة .
المادة ٨٩ ــ تعترف كل من تركيا وارمينيا ، وكذلك الاطراف المعنية بقرار الرئيس الاميركي فيما يتعلق بتحديد حدود تركيا وارمينيا في ولايات أرضروم وطرابزون ووان وبتليس، كما انهما تخضعان لقراره الخاص بجميع الترتيبات العثمانية المتاخمة لحدود ارمينيا ،خالية عسكريا ومحايدة.
المادة ٩٠ ــ عند تحديد الحدود بموجب المادة ٨٩، تتحول جميع اراضي الولايات المذكورة أعلاه ، أو قسم منها الى أرمينيا ، وتعلن تركيا ، حال صدور القرار بهذا الخصوص، تخليها عن جميع حقوقها في تلك الاراضي المنقولة ملكيتها ..
المادة ٩١ ــ عند تحويل قسم من الاراضي المذكورة في المادة ٨٩ الى ارمينيا ، تتألف خلال الاشهر الثلاثة التالية
=

بعد ذلك ، تتالت على الجمهورية الارمنية ، وبدأ « الضغط الروسي ، فضلا عن تحركات القوات التركية ، يشكل تهديدا خطيرا لاستقلال هذه الدولة » [٢٢] ، مما أضاع الحدود السياسية للدولة الارمنية والمعاهدات التي وقعتها

=
لذلك ، لجنة لتحديد الحدود تعمل على تخطيطها في المكان نفسه. أما طريقة تأليف هذه اللجنة، فيبت بأمرها فيما بعد.
المادة ٩٢ ــ يجري تحديد الحدود بين ارمينيا وجيورجيا وآذربيجان باتفاق جماعي بين الحكومات المعنية .
واذا أخفقت الدول المعنية في الوصول الى اتفاق جماعي فيما بينها حول تحديد حدود كل واحدة منها ، عندئذ يحق للدول الحليفة الكبرى تعيين تلك الحدود وتخطيطها في المكان ذاته .
المادة ٩٣ ــ تقبل ارمينيا نصوص اتفاق يعقد بينها وبين الدول الحليفة وتنفذ منها ما تراه تلك الدول ضروريا لحماية مصالح الشعوب القاطنة في ارمينيا والتي تشكل اقلية من حيث الجنس واللغة والدين ..
« تجدر الاشارة الى صدور خريطة لارمينيا ــ بتاريخ ٢٢ــ١١ــ١٩٢٠ ــ وضعت حسب تخطيط الرئيس ولسون مساحة قدرها ٦٨٥٠٠ كلم ، تشمل ولايات وان وبتليس وأرضروم وطرابيزون،معاعتبار مرفأ طرابيزون مرفأ أرمينيا.
ولكن هذه القرارات الطيبة الوقع في قلوب الارمن بقيت هي أيضا حبرا على ورق نتيجة ظهور حركة مصطفى كمال ».
(القضية الارمنية : ص ٤٨ــ٤٩ــ٥٠)
(٢٢) الارمن عبر التاريخ : ص ٤٢١ .

مع الروس والاتراك .

« وعندما هاجمت الجيوش التركية الجمهورية الارمنية وأجبرتها على توقيع معاهدة الكسندربول المجحفة ،قامت روسيا بدورها بالدخول الى الجمهورية الارمنية ،وسكتت انكلترا وفرنسا عمليا ، ولم تتداخلا ، لمنع سقوط هذه الجمهورية التي اعترفتا باستقلالها » (٢٣) (*٣) .

---

(٢٣) المصدر نفسه : ص ٤٢٩ .

(*٣) عن معاهدة الكسندر بول يقول كرسام اهارونيان :

« ان قيادة الجيش التركي المنتصر ، بعد ان اوقفت اطلاق النار على الجبهة ، نزولا لطلب حكومة اريفان ، لم تقبل المباشرة بمحادثات الصلح ،الا اذا أعلنت الجبهة الارمنية تخليها عن معاهدة سيفر . فقبلت حكومة اريفان المعزولة والمحرومة من أي مساعدة خارجية ، بذلك الشرط .

«وبعد مفاوضات أسبوع في مدينة الكسندر بول ، فرض كاظم قرابكير، في ٢ كانون الاول من عام ١٩٢٠ شروطه القاسية التي بموجبها سلخت تركيا من ارمينيا الشرقية مساحة تبلغ عشرة الاف كيلو متر مربع » .

أما أهم ما جاء في هذه المعاهدة من شروط مذلة ، فهو :

١ ـ يسحب الارمن اعترافهم بمعاهدة سيفر ويستدعون جميع ممثليهم ولجانهم العاملة في اوروبا ولا يعترفون بأي تمثيل للحلفاء في بلادهم ، الى ان تعقد تركيا معاهدة صلح معهم .

٢ ـ يحق لارمينيا انشاء جيش وطني، شريطة الا يتعدى عدد جنوده الـ ١٥٠٠ نفر ، مع صف ضابط مناسب ... وتلغى الخدمة الاجبارية ..

=

المسألة في اسباب وجود الدولة :

ان المسألة ، اذن ، هي في اسباب وجود الدولة فحسب. وحيث يكون للدولة ، أي دولة ، البقاء الطويل والسيادة المحترمة ، يجب أن تكون قوية ومتماسكة وذات شخصية واضحة ومستقلة . ومن الثابت ان التاريخ يحفظ ، بين دفتيه ، اسماء دول وممالك وامبراطوريات شتى انقرضت أو زالت ، لانها ولدت ان لم يكن مصادفة ، ففي ظروف غير عادية . ومعظم هذه الدول تضخمت من دون هضم ، واتسعت رقعة نفوذها من دون ان تكون واعية لما يجري

=

٣ ـ عند وقوع اعتداء على ارمينيا ، تقوم تركيا بالدفاع عنها تلبية لطلب من حكومة ارمينيا .

٤ ـ جميع الاتفاقات التي وقعتها ارمينيا ضد تركيا تعتبر ملغاة .

٥ ـ لكل من تركيا وارمينيا حق الترانزيت الحر المتبادل عبر اراضيهما، باستعمال السكك الحديدية والطرقات..الخ.

ويقول اهارونيان :

« وكان بامكان الوفد الارمني الا يوقع هذه الاتفاقية ، اذ كانت الحكومة التي اوفدته قد استقالت قبل يوم من توقيعها وانتقلت السلطات في ارمينيا من يد حكومة حزب الطشناق الى « اللجنة العسكرية الثورية الموقتة » الممثلة لسلطة سوفياتية في ارمينيا ، وذلك على اساس اتفاق وقع بين حكومة اريفان وروسيا السوفياتية » .

(القضية الارمنية : ص ٥٥ـ٥٦)

لها ، فلما سقطت سقط معها كل شيء ، وكانت المآسي ، والانهيارات ، التي تخللتها المذابح والمجازر ،وكانت أيضا الفظائع والاهوال ، وما تلاها من تهجير قسري وتشرد وشتات من جهة،وتسلط واغتصاب واحتلال من جهة أخرى. من المؤكد ان أرمينيا هي واحدة من تلك الدول التي تجرعت كأس المر والغيظ ، وان الارمن هم من بين الشعوب التي عرفت القهر والويلات والنكبات،وطُردت من بلادها،أو من جزء منها،فيما «العالم المتمدن» يرد على المستغيثين بالبيانات والنداءات العقيمة .

والحقيقة هي ان بين الزحف المغولي على ارمينيا وبين الاحتلال العثماني ، غير نكبة وغير بلية ، وكما يقول الاستاذ كرسام اهارونيان :

« وبعد قرن ونصف القرن (على الزحف المغولي) ، بلي الارمن بمصيبة جديدة ، دهماء هي احتلال المماليك مدينة « سيس » في سنة ١٣٧٥ م وتصفيتهم المملكة الارمنية المستقلة في كيليكيا » .

ويتابع قائلا :

« لسنا نبالغ في التقدير اذا قلنا ان عدد الارمن في القرن الحادي عشر — أي عشية غزو السلجوقيين — كان يبلغ ستة ملايين ، على وجه التقريب ، في حين كان عدد سكان المملكة الانكليزية حوالى مليوني نسمة . أما مساحة

الوطن الارمني البالغة ثلاث ماية الف كلم ، فكان معظمها تحت حكم المماليك والامارات الارمنية وكانت غالبية سكان تلك البقاع من الارمن . وبالاضافة الى هؤلاء ، كانت تجمعات أرمنية كبيرة قائمة في بلدان آسيا الصغرى وكيليكيا » (٢٤) .

ويذهب اهارونيان بتاريخ القضية الارمنية بعيدا حتى يصل الى اواسط القرن الحادي عشر فيقول :

« ان في جملة المصائب والبلايا التي حلت بالارمن ، سياسة بيزنطة الماكرة الغادرة والمعادية للارمن . ففي سنة ١٠٤٥ وقعت ارمينيا تحت حكم البيزنطيين الذين نسفوا سلطة ملوك البكرادونيين وغيرهم من ممالك الارمن .لقد بلغ من اهمال البيزنطيين ولامبالاتهم بحماية سلامة ارمينيا درجة تمكن معها الغزاة السلجوقيون ، في اواسط القرن الحادي عشر ، من احتلال ارمينيا بكل سهولة ، ففي سنة ١٠٦٤ م دخل ألب أصلان مدينة آني — وهي اكبر مركز حضاري للارمن — ونهبها ودمرها هي وغيرها من المدن الاهلة المزدهرة كـ « توين » و « ارزن » و « وان » الخ.

ويقول :

« في الربع الثاني من القرن الثالث عشر ، طرقت

(٢٤) القضية الارمنية : ص ٨-٩ .

أبواب ارمينيا عاصفة هوجاء مروعة ، لم يسبق لتاريخ ذلك الزمان ان رأى مثيلا لها، من حيث عنفها في التخريب والتهديم كان ذلك عهد تدفقت غزوات جنكيز خان وخلفائه » .

ويقول أيضا :

« لقد قاست ارمينيا قرنا ونصف القرن تحت حكم الهولاكيين الوحوش ، الذين استنزفوا كل مقدرات الشعب بضرائب لا حصر لها ، الى ان جاء تيمورلنك في سنة ١٣٨٧ ليستكمل تخريب وتهديم ما تبقى » (٢٥) .

وبذلك « اصبحت ارمينيا ممرا لكل غاز ومزرعة للنهب ، وتوالى صراعها مع الغزاة من المغول والسلجوقيين والقبائل الطورانية والفرس والاتراك العثمانيين الذين تعاقبوا على ارض ارمينيا » (٢٦) .

وبتأثير هذه الوقائع والاحداث تلاشت قوى الشعب الارمني حتى بلغ شفير القلق ، وقد خربت دياره وتضاءل عدده الى ثلاثة ملايين وشل نشاطه العمراني (٢٧) . « واما الهجرة فكانت بلية أخرى نزلت به ، اذ أخذ عشرات الالوف

---

(٢٥) المصدر نفسه .
(٢٦) المصدر نفسه .
(٢٧) المصدر نفسه ص ٩ـ١٠ .

من أبنائه ينزحون مرغمين عن ديارهم المهدمة ويغتربون ، الأمر الذي أدى الى احداث تغيير في طبيعة التركيب القومي البلاد الارمنية ، اذ أخذ الاكراد والاتراك وغيرهم من القوميات يملأون الفراغ الجغرافي الناجم عن نزوح الارمن المتلاحق عن ديارهم الاصلية » (٢٨) .

لا استقلال للضعفاء

ان ما تقدم من تاريخ ارمينيا والمسألة الارمنية يطرح سؤالا كبيرا وجوهريا : ما هو الاستقلال وما معناه ؟ فنقول :

الاستقلال حالة لا تكون الا حيث الشدة والقوة والثقة بالنفس .

وهو أيضا صفة للكيان ـ أي كيان يُعرف بها ، وتُعرف به، كأن نقول: الكيان المستقل،واستقلال الكيان . على ان الضعيف والقاصر والمحبوس لا يُعد مستقلا .

ولذلك قيل : « الاستقلال يؤخذ ولا يعطى » . ومن علامات هذا الاستقلال : الحرية . والعكس صحيح .فكما لا حرية بدون استقلال ، كذلك لا استقلال بدون حرية .

---

(٢٨) المصدر نفسه .

وبما ان الاستقلال « يؤخذ ولا يعطى » ، فان الذي يطلب الاستقلال ينبغي له أن يكون قويا ومتمكنا ومقتدرا . ومطلبه يجب ان يكون حقيقا بل جديرا بالاحترام ونافذا لا يقبل التراجع والتسامح ، ولا يرضى بالغموض والتسويف والمماحكة والتأجيل . ومن لا يستطيع انتزاع استقلاله والمحافظة عليه ، فهو تبعي ، يُؤمر فيطيع ، ويدعى فيجيب ، وتختلس منه حقوقه وممتلكاته فلا يعترض ولا يحتج ، بل يغمض عينيه ويعقد لسانه ، فاذا ما عاتبه أحد ، قال : انها من شدائد الدهر ، و « ليس المخاطر بمحمود ولو سلم » .

قال ابن منظور :

« ... واستقل الطائر في طيرانه : نهض للطيران وارتفع في الهواء . واستقل النبات : أناف » (٢٩) .

يستفاد من هذا القول ان الاستقلال انما هو ارتفاع وانافة واشراف .

فالطائر لكي يطير ويحلّق يجب أن يكون ذا جناحين متساويين أولا ، وقويين ثانيا . والنبات لا يثمر الا اذا ارتفع وتكامل . كذلك الامم والشعوب . وكل أمة لا ترتفع الى

(٢٩) لسان العرب : المجلد الحادي عشر ص ٥٦١ ، مادة : قلّ .

صف الامم الكبرى لا تعد مستقلة ، بل تابعة وضعيفة ومهددة بالزوال . وكما في الهواء ما يعوق الطير عن الطيران والنبات عن النضوج ، كذلك في السياسة الدولية : لا حق الا للقوة ، ولا اعتبار الا لمن له القدرة والسلطان .

هل يكفي الارمن التغني بالمجد الذي أحرزه ملك آسيا العظيم ، واعظم ملوك الارمن قاطبة ، ديكران الثاني (٩٤ — ٥٥ ق.م) الكبير ؟

الى متى سيظل صلاح الدين الايوبي أمل الاكراد الاوحد وسفينة نجاتهم ؟

الاشوريون والتتار والشركس والمماليك ، متى سيكفون عن قراءة التاريخ على ضوء زيت العُتْم (٣٠) .

اما آن لهذه الشعوب (...) أن تدرك خطر الواقع وعجز التاريخ ؟!

بين أرمينيا السوفياتية الحمراء وأرمينيا التركية الاسلامية أسداد لا تخرقها الصواريخ عابرة القارات ، ولا « الاشعاعات الذرية » .

يرى الاستاذ اهارونيان أن القبول بالحكم السوفياتي

(٣٠) العُتم والعَتَم : شجرة الزيتون البري .

الذي اذاعته «اللجنة الثورية في ارمينيا» في ٢٩–١١–١٩٢٠ « كان لا بد منه بالنسبة الى ارمينيا ، اذ كان بامكان ذلك الحكم وحده ، أن يوقف المتدخلين الاتراك عند حدهم ، بل أن يدحرهم ويضمن السلام والطمأنينة للشعب الارمني المنهار القوى والواصل الى شفير الهاوية » (٣١) .

ويرى أيضا انه « باقامة الحكم السوفياتي في ربوع ارمينيا ، بدأت مرحلة جديدة في حياة الشعب ، مرحلة التنظيم والنهوض والعمل من أجل البناء والتصنيع (٣٢) ، على ان الذي استلم زمام الحكومة آنذاك ، هو الكسندر مياسنيكيانوقد عد «اكثر رجالات الارمن السياسيين كفاءة في ذلك الزمان » (٣٣) .

– جاثيليقية سيس (بيت كيليكيا) انتقلت الى انطلياس – لبنان ، فصارت « منارة على البحر المتوسط ، وثاني بيت – بعد بزمار والمنشآت الارمنية الكاثوليكية في بيروت – للارمن اللبنانيين ، منذ ما يزيد على خمسين

---

(٣١) القضية الارمنية : ص ٥٩ .
(٣٢) المصدر نفسه .
(٣٣) المصدر نفسه .

سنة (٣٤) (*٤) .

– يريفان شيوعية حمراء لا تُمس . وفيها ممنوع « اثارة قضية الاراضي الارمنية المغتصبة في ارمينيا التركية » (٣٥) . وممنوع التطلع نحو الغرب ، بل دائما

---

(٣٤) انظر كتابنا « رسالتي الى المسيحيين » الطبعة الثانية الفصل الثالث ١٩٨٦

(*٤) جاء في دائرة المعارف « البستاني » :

« ... وفي سنة ١٩٢٠ م انتخب ساهاق الثاني جنايان من رهبان اورشليم ، فتابع اعمال التنظيم والانشاء ، وفتح مدرسة اكليريكية . الا ان ما مني به الارمن في هذا العهد من نكبات ، ومذابح ، وهجرات متتابعة كان منها تخريب مركز الجاثليقية في سيس (عاصمة كيليكيا) ، دفعه الى مرافقة شعبه المضطهد في طريق الجلاء ، على رغم سنه العالية ، فجال معه مدة حتى الجأ اخيرا الى لبنان ، فاقر مركز الجاثليقية في انطلياس (المتن) منذ سنة ١٩٣٠ » .

« وكانت الجاثليقية قد استقرت اولا في بناء استأجرته من « جمعية الشرق الادنى » الاميركية تستعمله ميتما للارمن في انطلياس . ثم اشترته سنة ١٩٣٧ . وأقامت بنايات جديدة للمدارس الاكليريكية والتعليمية في سبيل تخريج الكهنة والمعلمين للاهتمام باللاجئين تثقيفا وتربية . ثم أنشأت مكتبة ومطبعة سنة ١٩٣٢ وباشرت نشر مجلة خاصة سميت « هاسك » أي « السنبلة » .

(دائرة المعارف – البستاني ، المجلد العاشر ص٣٢٧)

(٣٥) القضية الارمنية : ص ٦٠ .

الى « الشرق » فحسب (*٥) .

— العالم كله، اليوم ، وطن للارمن ، ولكن في القلب ما هو اكبر من ذلك « الفرح » ... لان الوطن — الام

(*٥) في عام ١٩٢٢ اصبحت ارمينيا الشرقية احدى جمهوريات اتحاد ما وراء القوقاز الاشتراكية السوفياتية الذي ضم ايضا كلا من جمهوريتي أذربيجان وجيورجيا» .

« وعندما قامت حكومة الاتحاد السوفياتي بتعديل الصيغة الدستورية لكيانها الاداري، تناول هذا التعديل دول الاتحاد المذكورة حيث اصبحت ارمينيا الشرقية بموجب القانون الاساسي (الدستور) للدولة السوفياتية الصادر عام ١٩٢٦ جمهورية مستقلة ضمن جمهوريات الاتحاد السوفياتي الخمس عشرة التي تألف منها وقتذاك (وما زال) وحملت اسم جمهورية ارمينيا السوفياتية الاشتراكية وعاصمتها يريفان.

« يبلغ عدد سكان ارمينيا السوفياتية (حسب احصاء ١٩٧٩) ٣،٠٣١٠٠٠ نسمة يشكل الارمن منهم ما نسبته ٨٩،٤ في المئة، اما ما تبقى فتتوزع نسبته (وحسب الترتيب) على الاذربيجانيين والروس والاكراد والسريان (الاشوريين) ويقطن ثلث السكان في العاصمة يريفان، وان ما تبقى فيتوزع على المدن والقرى الاخرى » . (الارمن عبر التاريخ ص ٥٧٥ — ٥٧٦) ، مع العلم ان عدد سكان هذه الجمهورية ، قد نزل اثر الحرب العالمية الاولى ، من مليون الى ٧٢٠ الف نسمة على قول أهارونيان : (القضية الارمنية) ص ٥٩ .

اكبر من الدنيا بكل ارجائها .. (*٦)

ونسأل ثانية : الارمن ، اذن ، ماذا لهم ؟ وماذا عليهم؟

خصائص الشعب الارمني :

يقول الاستاذ مروان المدور :

(*٦) استنادا الى احصاءات عام ١٩٧٠ (وتقديرات عام ١٩٧٢) بلغ عدد الارمن ستة ملايين ومئة ألف نسمة تقريبا ، وهم موزعون على الشكل التالي :

— جمهورية ارمينيا السوفياتية ٢،٦٠٠،٠٠٠ ، الاتحاد السوفياتي (آذربيجان وجيورجيا وموسكو واستراخان والقرم الخ ..) ١،٤٤٠،٠٠٠ — الدول العربية (في لبنان ٣٣٠،٠٠٠ ، في سوريا ١٥٠،٠٠٠ ، في مصر ٥٠،٠٠٠ ، في العراق ٥٠،٠٠٠) — اميركا ٣٥٠،٠٠٠ ، كندا ٢٥٠،٠٠٠ — فرنسا ٣٥٠،٠٠٠ — تركيا ٢٠٠،٠٠٠ — دول العالم ٥٠٠،٠٠٠ (الهند ، ايران ، بولونيا ، بلجيكا ، دول اميركا اللاتينية ، اوروبا الغربية) .

ومما يجب ذكره هو ان عدد الارمن ، في عام ١٩٥٠ ، حسب الموسوعة العلمية السوفياتية ، كان ٣،٢٤٥،٠٠٠ . وبهذا يكون الشعب الارمني قد حقق خلال ربع قرن زيادة قدرها حوالي ثلاثة ملايين انسان . ويتوقع خبراء علم الاسكان ان يصبح عدد الارمن في العالم سنة ٢٠٠٠ بحدود عشرة ملايين موزعين على دول العالم ، هذا اذا استمرت معدلات نموهم الحالية .

(الارمن عبر التاريخ ص ٥٩١—٥٩٢)

« على مدى التاريخ عُرف عن الشعب الارمني ثلاث خصائص :

انه فرد مقاتل وعنيد . يلعب الموقع الجغرافي (وهكذا نرى هـذا العنصر يبرز امامنا دائما) لارمينيا ، وكذلك طبيعتها ومناخها ، دورا بارزا في تحديد طبائع الشعب الذي يعيش فيها . فهم اشداء ، ككل شعب يقطن الجبال ، أما مناخها فهو شديد البرودة في الشتاء وشديد الحرارة في الصيف ، مما يوفر للارمن المزايا والصفات التي تجعل منهم محاربين اقوياء اشداء البأس » (٣٦)

ولكن الارض المفتوحة والطبع الصلب (Rigid) مشروعان خاسران ، بل الى زوال ، مهما طال بهما الزمن . ويمكننا القول ان الواحد منهما هو عدو للآخر ، تماما مثلما الزيت والنار ، واللحم والاسيد ، والملح والعسل . فالذي أرضه سائبة أو لا حفاظ عليها يجب أن يكون مرنا وليّن العريكة ، وهادئا وحكيما . والا ضاع وضاعت معه أرضه وكل حقرقه . وربما لهذا السبب حدد حزب (الرامكافار) سلوكه منذ مؤتمره الاول المنعقد في سنة ١٩٢٢، كما يلي :
« بالنظر الى ان كيان الشعب الارمني في ارمينيا السوفياتية مرهون بالعلاقات السياسية لحكومته القائمة ،

(٣٦) الارمن عبر التاريخ : ص ٣٨٣ .

فان مؤتمر الحزب يقرر : (١) مواصلة الاهتمام بقضية ارمينيا الغربية عن طريق هيئة مستقلة ، مؤيدا ، في الوقت نفسه ، جهود حكومة ارمينيا الهادفة الى انهاض البلاد الاقتصادي والمعنوي والحفاظ على كيان الشعب الارمني . (٢) تجنب كل عمل قد يعود بالضرر عـلى كيان الشعب والدولـة ، ومنعه » (٣٧) .

وكأني بهذا الحزب يقول مع المثل القائل : « اليـد التي لا تستطيع عضّها قبّلْها وادع لها بالكسر » . وليس من الضرورة ان يعني هذا الموقف « الرامكافاري » تخطئة حزب « الطاشناق » المناوىء لارمينيا السوفياتيـة ، ولا استصابة موقف حزب «الهنشاق» الممالىء لها، وفي كل الاحوال يهمنا أن نرى الارمن والاحزاب الارمنية في موقـع واحد موحد لا يتأثر بالعوامل الخارجية الاتية غالبا من الـدول ذات المطامع والمصالح المعروفة منها وغير المعروفة .

و «الفرد الارمني على مدى تاريخه الطويل ، يخوض دائما حروبا ثقيلة » (٣٨) ، « واذا ما تيسّرت له القيـادة الحكيمة فانه كان جنديا صلْبا ، وأكبر دليل ،الامبراطورية التي أنشأها ديكران الكبير بجنوده الارمن ، حتى شملت

(٣٧) القضية الارمنية : ص ٢٦ .
(٣٨) الارمن عبر التاريخ : ص ٣٨٣ .

أرمينيا بحدودها الطبيعية وكيليكيا ، وامتدت من بحر قزوين الى المتوسط ، باسطة جناحيها أيضا على القفقاس وكبدوكية وكردستان الجنوبية والموصل وآذربيجان ونصيبين والرها وولاية صوفين (الارمنية) وأنطاكية »[٣٩] .

نسارع الى القول : ليس المهم أن نجتاح أراضي الغير ونوسّع حدودنا ومناطق نفوذنا ، وانما المهم ، بل الاهم ، أن نكون استقلاليين نصون أرضنا ونحميها ، ونحترم حق الغير ونشاركه الدفاع عنه ضد الغازين أياً كانوا . وما فعله ديكران الكبير فعل مثله ، أو أكثر ، ملوك الآشوريين ، والاسكندر ، وملوك الفرس ، وأباطرة الرومان ، والعرب ، والصليبيون ، والاكراد ، والمماليك ، والاتراك ، ونابليون ، ومحمد علي باشا ، ثم انكلترا ، وهولندا ، وفرنسا ، وايطاليا ، واسبانيا ، والبرتغال ، وحاليا : الولايات المتحدة الاميركية ، والاتحاد السوفياتي . ونحن لا نعلم من الذي سيخلف ، غدا ، هذين العملاقين العالميين .

وعندما انهارت هذه الامبراطورية (الديكرانية الارمنية) أخذت الامبراطوريات الاخرى تستعين بالجيوش الارمنية وتستخدمها لمقاتلة الدول المجاورة »[٤٠] . الفرس

---

(٣٩) المصدر نفسه .
(٤٠) المصدر نفسه .

والرومان استنجدوا ، في حروبهم ، بالفِرَق الخيّالة الارمنية . المغول أرغموا الملوك الارمن على القتال الى صفهم . وكذلك فعل الصليبيون في ارمينيا الصغرى ـ كيليكيا . وفي كل عهد ، كان الارمن ، وما زالوا ، فِرقا وأحزابا ، لا يجمع بينها ، يا للأسف ، سوى الارض التي لم يبق لهم منها الا الاسم : أرمينيا ، فحسب .

والاخطر من كل ما تقدم هو ان الارمن كانوا « ينخرطون ويجنّدون في هذا الجيش أو ذاك ، ويحاربون مع هذه الدولة أو تلك ، ويفقدون أرواحهم دون قضية يدافعون عنها ، أو هدف ، بل تبعاً لرعويتهم للدولة المعنية »[٤١] .

ويتحدث الاستاذ أهارونيان عن مساهمة الارمن في الحرب ضد ألمانيا الهتلرية فيقول :

« ان الشعب الارمني ، رغم صغر عدده ، ساهم مساهمة فعّالة مشرّفة في الحرب الوطنية الكبرى وفي الانتصار على الغزاة الهتلريين . اذ قاتل زهاء ٣٠٠ ألف من أبنائه في صفوف الجيش الاحمر وسقط منهم خمسون ألفا في مختلف قطاعات الجبهة . وقد رُقّي سبعون من

---

(٤١) المصدر نفسه : ص ٣٨٤ .

العسكريين الارمن الى رتب عالية ، بين قائد جيش وقائد بحرية ومريشال للاتحاد السوفياتي ، كما نال مئة وستة مقاتلين لقب « بطل الاتحاد السوفياتي » وحاز آخرون (قدّر عددهم بالآلاف) على أوسمة حربية مختلفة » .

أضاف :

« وقد اشترك المقاتلون الارمن في الدفاع عن مدن أوديسا وسيفاستابول وموسكو ولينينغراد . فخلال المعارك في جوار موسكو ، برز القادة كينوسيان وهايك مرديروسيان وسركيس مرديروسيان وغيرهم . أما في معارك الدفاع عن لينينغراد وتحريرها فاشتهر القائد كالوستيان وغيره من العسكريين الارمن » .

ويقول أيضا :

« وقد أظهر أبناء الشعب الارمني بطولات خارقة ، خصوصا في معارك القوقاز وستالينغراد ، التي اشتركت فيها الفرق الارمنية ٨٩ ، ٣٩٠ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ . وكانت أشهر هذه الفرق : الفرقة ٨٩ المسماة « بطامانيان » ،التي لعبت دورا بارزا في الدفاع عن شبه جزيرة القرم وتحريرها ، وتابعت هذه الفرقة سيرها المظفر حتى برلين ، فنال ٧٣٣٣ من جنودها البواسل أوسمة عسكرية عالمية ،كما استحق تسعة

منهم لقب « بطل الاتحاد السوفياتي » وكان من أشهر قواد هذه الفرقة : سافاريان ، كسباريان ، كرابتيان ، باباجانيان » [٤٢] .

ومن القادة العسكريين الذين استحقوا تنويه مؤرخي الحرب العالمية الاولى : المريشال أوهانس بغراميان ، قائد القوات البرية ، والمريشال ارميناك خانبريان ، قائد أركان القوات الجوية : وايساكوف القائد في الاسطول البحري السوفياتي [٤٣] .

ومن جهة أخرى ، كان لنساء جمهورية ارمينيا وشيوخها أيضا دور كبير في تأمين « حاجات الجيش (الاحمر) والجبهة » [٤٤] . وفي الوقت عينه انضم عشرات الالوف من الارمن « المهاجرين » و « المهجّرين » ، ولا سيما في أوروبا ، الى صفوف القوات الحليفة ، ومنهم من عمل في جمع التبرعات لانشاء فرقتين للدبابات ، الاولى باسم « بغراميان » والثانية باسم البطل الاسطوري الارمني : « ساسونشي تافيد » [٤٥] . وكان أن ردّت جمهورية

---

(٤٢) القضية الارمنية : ص ٦٣ .
(٤٣) المصدر نفسه .
(٤٤) المصدر نفسه .
(٤٥) المصدر نفسه .

ارمينيا على هذه «المبادرة الطيبة» (٤٦) ، بقبول عودة زهاء ١٠٠ ألف من ابنائها المهجَّرين ، وقد تم ذلك في العامين ١٩٤٦ — ١٩٤٧ (٤٧) .

ومهما قيل فان الارمن ، مقيمين ومهجّرين ، هم : « فرس » و « رومان » في آن معا ، و « أكراد » و « صليبيون » ، و « سوفياتيون » و « أميركيون » ، و«ايرانيون» و « عراقيون »،و«بغداديون»و«دمشقيون»، و « لبنانيون » و « فلسطينيون » ، و« طشناق » و « طشناقسوتيون » ، و « اشتراكيون ديموقراطيون » (هنشاق) و « معتدلون » (رامكافار) (٤٨) . على ان

---

(٤٦) المصدر نفسه .

(٤٧) المصدر نفسه .

(٤٨) عن نشوء الاحزاب الارمنية يقول الاستاذ كرسام أهارونيان :

« وكان الحزب المسمى « حزب ارميناكان » أول منظمة ذات طابع سياسي ، وقد تأسس في مدينة « وان » سنة ١٨٨٥ . واتخذ هذا الحزب (مؤسسه : مكرديج ديرآويد ميسيان) جريدة « ارمينيا » الصادرة باللغة الارمنية في مرسيليا لسان حاله . وكان من اهداف هذا الحزب تربية النشء الطالع تربية وطنية و(تنظيمه)و (تدريبه)وجمع السلاح وتخزينه في مختلف أماكن ارمينيا لاستعماله عند توفر الظروف للقيام بانتفاضة عامة .

« وفي سنة ١٨٨٧ تألف في مدينة جنيف ،بمبادرة من
=

« فرقهم وجيوشهم كانت تدخل المعارك المستمرة وتنزل بها الخسائر البشرية الفادحة تحت أطماع الدول

= الطالب اويديس نازار بك وبعض رفاقه « حزب الهنشاق الاشتراكي الديمقراطي » الذي الى جانب هدفه التحرري الوطني ، اعتنق الفكرة الاشتراكية . وكانت صحيفة « الهنشاق » (ناقوس) الصادرة في جنيف لسان حال هذا الحزب ، الذي اخذ ينظم فرقا في المدن الرئيسية من أرمينيا .

« وفي سنة ١٨٩٠ ، تألف حزب ثالث ، هو « اتحاد الثوريين الارمن » ، (أي حزب الطاشناق) بزعامة كريستابو مكايليان . وما لبث ان نقل هذا الحزب من مركزه من مدينة تفليس في جيورجيا ، حيث تأسس ، الى مدينة جنيف فأخذ يصدر هناك صحيفة « تروشاك » (العلم). وحزب الطشناق كحزب الهنشاق انتحل هو الآخر المبدأ الاشتراكي فانضم الى الاممية الاشتراكية الثانية وقام ينظم فرقا من الفدائيين وفروعا له في انحاء أرمينيا » .
(القضية الارمنية : ص ٢٢/٢١)

وبالنسبة الى الحزب الجمهوري (الرمكافار) فقد تأسس عام ١٩٠٨ في القاهرة . ومن مؤسسيه :ناظاريان وبوزيكيان . ويتمتع هذا الحزب بنفوذ كبير بسبب غناه. وهو يشرف على مؤسسات عديدة منها : الجمعية الخيرية الارمنية ، مركز موسيسيان .وقد طالب في البدء باستقلال ارمينيا ثم عاد وحصر همه في المحافظة على كيان الشعب الارمني (الارمن عبر التاريخ : ص ٥٠) .

الاخرى » (٤٩) ، مما لا يراه الذين يميلون الى هذه الدولة أو تلك من المؤرخين والمحلّلين .

الشخصية الارمنية :

والارمني ، منذ كان ، هو مثل القهوة ، التي يشربها الغني والفقير ، والابيض والاسود ، والعدو والصديق ، والمالك والاجير ، والحاكم والمجرم ، والقائد والمجنّد ، والسياسي والشاعر ، والنحّات والحلاّق ، والمصوّر والطبيب ، والكاتب والحفّار ، والرسّام والحذّاء ، والحدّاد والخبّاز ، والصوفي والعبثي ، وسائر الطبقات والهيئات ، في كل زمان ومكان . واذا ما وجد من لا يرغب التعامل مع الارمني ، أو يؤثر الابتعاد عنه ، فيكون مثله مثل ذلك الذي يكفّ عن القهوة لاعتقاده انها تُحدث قلقا ، وتُتعِب القلب ، وتقلّل من قبول الطعام وارتياح النفس اليه . بينما هي في بيته سيّدة لها مكانتها عند الاب والام والزوجة والاخوة والابناء والضيوف . فالكل يسأل عنها ، وهي مطلب الجميع . وأي لقاء إن لم يكن حول فنجان قهوة لا يُعدّ «لقاءً سعيدا» . هكذا الارمني، الذي لا تجارة بدونه ولا صناعة ، ولا فن ، ولا سياسة ، ولا مغامرة ، ولا إبداع ، ولا جنون ، ولا مهارة ، ولا

---

(٤٩) الارمن عبر التاريخ : ص ٣٨٤

عمران . وبدونه أيضا لا تشتعل حرب ، وان اشتعلت فلا تستمر طويلا ، ولا تُبرم معاهدة سلام أو صلح . فهو شرس اذا قاتل ، وأمين اذا عاهد ، ومدمّر اذا حُشِر ، وارهابي اذا اعتدي عليه (الجيش الارمني السري ، مثلا ، وتهديداته المتكررة لفرنسا وتركيا وغيرهما) ، وكريم اذا اطمأن، ومُقِل حتى البخل اذا خان أو ارتاب .

لا يستعجل الارمني الوصول ، ولكنه لا يتراجع ولا يستسلم . فهو مثابر على عمله ، وصَبور ، وعنيد ، وشجاع ، وانتهازي ، وبارد ، وحار . يعيش شتاءه والصيفُ في عينيه ، واذا ما أتى الصيف لا يرزّ له الاوتاد ، بل يستمر في الاخذ منه حتى يرحل . وقلّما يبكي الارمني على شيء ذهب منه . فالخسارة ، عنده ، غير مستغرَبة ولا مستهجنة ، اذ هي ، في رأيه ، موجودة بوجود الربح ، والذي لا يخسر لا يربح .

لذلك نرى الارمني يميل الى الصيرفة والإتجار بالذهب والالماس والحجارة الكريمة . ويعشق الارمني « الانتيكا » (Antiqué) والاشغال الدقيقة ، والميكانيك ، والتصوير ، والترميم ، والحفْر ، والرصْع ، والرصْف ، والنسج ، والخرْط ، والدبْغ ، والخلْط ، والحياكة ، والزخرفة ، والدبْج ، والنقْش ، والهمْس ، والغمز ، والجَس ، والكَبْس باليد ، واللّمز .

اذا ضحك الارمني ارتجّ وارتجّت معه الارض • وإن هو بكى فوحيداً ، كما لو أنه لا يعرف كيف يكون البكاء • دموع الارمني باردة ، لانه يُشغل عينيه ويديه أكثر من اللزوم • وعلى الرغم من قصره ، فهو يحب « الفضفضة » و « الفلفشة » ، وقد بنى القصور وأنشأ الحدائق والمنتزهات •ويحب أيضا الرقص والغناء والطرب والمجون والعربدة والسير في المنعطفات والطرق الملتوية • وأما في الشدائد وأيام الحاجة والعوز فهو يرتد الى نفسه ويتقبّض ويحني رأسه الى أن « يفرجها الله عليه»• وعنده ما يشبه الحاسة السادسة ، ولهذا « يكوّع » ولو في منتصف الطريق مهما يكن ضيّقا هذا الطريق • ونادرا ما يباغَت الارمني أو يفاجأ الا اذا كان قد أخذ فيه الشراب مأخذا كبيرا •

من أين للارمني كل هذه التناقضات ؟

قد يكون فاتنا الكلام عن تاريخ الشعب الارمني وأصوله العرقية وأوصافه الفيزيولوجية ، ومصدره الاساسي ، فهذا الموضوع تركناه لعلماء السلالات البشرية، الذين أثبتوا عقب دراسات مفصّلة ودقيقة ان الارمن ينتمون الى فصيلة الشعوب الهندو ــ أوروبية ، سواء من الناحية اللغوية أو العرقية ، مع اعترافهم بتأثر هذا الشعب،

ولو بحدود ، بالشعوب القديمة التي خالطوها من حثيين وآشوريين ومشيانيين وغيرهم،وان كانوا قد بقوا (الارمن) محتفظين بنقاوتهم الاصلية (٥٠) •

ألا يكون هذا هو السبب الرئيس في تكوين الشخصية الارمنية كما بيّناها ؟

وماذا لو عرفنا ان متوسط ارتفاع الهضبة الارمنية يتراوح بين ٢٥٠٠و٥٠٠٠قدم (أي مايعادل ٨٥٠ــ١٨٥٠م) فوق مستوى سطح البحر ، وان ثمة مناطق في ارمينيا ينخفض ارتفاعها عن ٣٠٠٠ قدم ، كما هو الامر بالنسبة الى سهل آراكس ، في حين أن بعض مناطقها الشمالية « ديبيداشن » (Debedashen) ــ على الحدود الجغرافية ــ تهبط ارتفاعاتها الى ١٢٠٠ قدم (٥١) ؟

أليس هذا سببا آخر يضاف الى ما قبله ؟

ولنا أن نؤكد على وجود عامل آخر ، لا يقل أهمية عما سبقه ، وهو ان ارمينيا ، في الحقيقة ،تعتبر أكثر علواً وارتفاعا من البلدان التي تجاورها • بل هي تبدو للناظر

---

(٥٠) المصدر نفسه : ص ٨٢
(٥١) المصدر نفسه : ص ٦٨

اليها من بعيد وكأنها « جزيرة » من الكتل البركانية تنهض من بين البلدان التي تحيط بها (٥٢) .

ولماذا لا يكون الارمني ،اذن، مثله مثل بلاده ، أو هو بعض منها ؟ وكما حافظت ارمينيا على « مميزاتها » الطبيعية، كذلك احتفظ الارمني لنفسه بهذه « النوعية » التي تبدو غريبة عن محيطنا وربما أبعد منه .

كيف يتعامل الارمني مع مسألته

ان الارمني والمسألة الارمنية هما واحد لا ينقسم ولا يتجزأ، فهي منه مثلما هو منها . يعطيها من لحمه ودمه ، وتعطيه من روحيتها وجوهرها . فإنْ شرَّق شرَّقتْ معه ، وإنْ غرّب غرّبتْ معه . يدعو لها بكل الوسائل المادية وغير المادية . في الاعياد الوطنية والدينية ينشد لها ويغنّي ويجدد الميثاق ــ ميثاق الشرف . يصدّرها ، الى كل جهات الدنيا ، مع العقود والاساور والخواتم والاقراط . ومع السُّبَح والنياشين والساعات والجلد المدبوغ . بل مع كل ما صنعت وتصنع يداه .

من « برج حمود » و « انطلياس » و « بزمّار »

---

(٥٢) المصدر نفسه .

و « عنجر » (في البقاع اللبناني) و « دمشق » و « حلب » والجزيرة السورية وسائر بلاد العرب ، ومن أوروبا وأميركا وافريقيا وكل الشرق الاقصى ، يبعث الارمن الى تركيا وايران والاتحاد السوفياتي ، يوميا ، بالرسائل والمذكّرات والتقارير ، يطالبون فيها بالرجوع الى ديارهم وأرضهم ، فهل يسمع « العالم الحر » ؟ أم أن ما حدَث قد حدث ؟ وهل غضبُ الارمن كغضب الاكراد والآشوريين والسريان « لا يُنتفع به » ؟

أليس الحق على الارمن ؟

بحث على الجذور الاولى :

قبل الابجدية الارمنية « كانت الطقوس الدينية ، والتراتيل الكنسية ، والمؤلفات المسيحية ، تُكتب (في أول دولة مسيحية في العالم) (٥٣) بالحروف الفارسية أو السريانية أو اليونانية ، حسب المناطق والاقاليم الارمنية الخاضعة لنفوذ احدى الدول صاحبة هذه اللغات » (٥٤) .

---

(٥٣) لقد اختلف المؤرخون حول تحديد السنة التي اعلن فيها الملك ورطاد الثالث تنصّر أرمينيا رسميا . فمن قائل ان ذلك حصل عام ٣٠١ ميلادية ، ومنهم من قال انه جرى عام ٣١٤ ميلادية . والثابت أنه لم يكن بعد النصف الثاني من العقد الثاني من القرن الرابع (٣١٤) .

(٥٤) الارمن عبر التاريخ : ص ٢٩٨

وقبل التأريخ الارمني ، باللغة الارمنية ، اطلقت أسطورة آرا (ARA) الارمني وسميراميس ملكة آشور ، فصدّقها الارمن أنفسهم ، وما علموا ان هذه الاسطورة قد اخترعها البعض ليبرروا قتل الارمن والقضاء عليهم .

تقول الاسطورة :

« وخلّف آرام ، ثاني ملوك الارمن الكبار ، ابنه آرا المشهور بجماله ، سنة ١٧٦٩ ق. م. وفي أيامه ظهرت شميرانه (سميراميس) ، ملكة آشور ، التي يسميها الارمن شميرام . فأرادت التزوج به ، فامتنع . فحاربته ، فقُتل . وأخذت المملكة ، ودخلتها سنة ١٧٤٣ ق. م. ثم حباً منها لآرا وحفظاً لذكراه ،أجلست مكانه ابنه كارطوس ،وسمّتْه باسم ابيه . وبنتْ مدينة « شميرا مكرد » التي دُعيت ، فيما بعد ، « وان » . فخضعت الدولة الارمنية للسريان (الآشوريين).ثم صارت دولة سريانية (آشورية)محضة. بعد ذلك ، لما قَتل نينوس بن شميرانة أمه ، وكارطوس بن آرا » .

وتقول الاسطورة أيضا :

« وملك نينوس البلاد مدة . الى أن شبّ قانو شافان بن كارطوس ، فحكّمه نينوس على قسم من ارمينية بشرط دفع الجزية ، وذلك سنة ١٧٢٥ ق. م. فأخذ يدبّر

الامور بمهارة وحذق حتى استرجع ملك ارمينية ، وصار ملكا مطلقا ، وملك ٦٣ سنة . ومات ، ولم يعقب » (٥٥).

هكذا بدأ العالم يتعرف الى أرمينيا . وهكذا بدأ الارمن يقرأون تاريخهم (٥٦) . ومن ثَمّ أخذت المآسي تتكرر وتتجدّد ،حتى أُلغيت الدولة الارمنية من الوجود.

ونسال الارمن :

ماذا بين الامس واليوم ؟

هل الحقّ على الارمن ؟ أم على الشرقين : الاوسط والادنى ؟ أم على الغرب ؟

هل نحتْكم الى القانون الدولي ؟ وماذا عساه يفعل هذا القانون ؟

---

(٥٥) دائرة المعارف ـ البستاني ، المجلد العاشر ، ص٢٩٧

(٥٦) لم يذكر المؤرخون شيئاً مهماً عن دولة الارمن خلال القرنين السابقين على ملك آرام ، والد آرا (شهيد سميراميس) ، لان ملوكها (من سنة ٢٠٢٦ الى سنة١٨٢٧ ق. م.) كانوا قليلي الهمة ، فلبثت مملكتهم لا أهمية لها، ولا سلطة قوية . ولذلك طمعت اليها عيون الاعداء،وامتدت اليها الايدي فكانت فريسة بين ذئاب يأخذ كلّ منهم ما امكنه بدون معارض ولا ممانع ، حتى استولوا على أكثر أقطار البلاد .
(دائرة المعارف ـ المصدر نفسه ص ٢٩٧) .

ثلاثة ملايين أرمني باعهم « العالم الحر » ـ « العالم المتمدن » ـ الى تركيا والاتحاد السوفياتي ؟!

« ان المصالح الدولية ـ لا القانون الدولي ـ هي التي تملي على الدول مواقفها السياسية النهائية ، سواء بالنسبة للارمن أو العرب أو غيرهما » (٥٧) .

والأصح هو ان اعتراف الدول العظمى بحرية الاقليات وعْد لا يتحقق ، وعهد مولود ميتا . وعلى قول خريميان هايريك : « لقد طُبخت الحرية في برلين (٥٨) ، ولكننا لم

(٥٧) الارمن عبر التاريخ : ص ٤٧١

(٥٨) « بعد عام من جلوس السلطان عبد الحميد على العرش ، وعلى اثر الاضطهادات التي قام بها الاتراك في بلغاريا ، سارع الروس الى اعلان الحرب على تركيا عام ١٨٧٧ وانتصروا عليها في غضون ثمانية شهور (١٨٧٨) . حيث تم التوقيع على معاهدة الصلح في سان ستيفانو (في القصر الصيفي لثري أرمني هو « دادايان ») ، والتي كرست استقلال بلغاريا ومنحت روسيا بعض الاراضي التركية (اعيدت فيما بعد الى تركيا) كما نصت المادة ١٦ منها .

« وفي هذا الوقت بالذات كانت بريطانيا تنظر بقلق الى توسع الروس القيصريين ، وتقدم سيطرتهم على المضائق ، ووصولهم الى البحار الدافئة ، فخشيت أن تؤدي معاهدة سان استيفانو الى زوال الامبراطورية العثمانية وظهور =

تتمكن من أكلها بملعقة من الورق .. لا ترجوا يا أولادي أي أمل من الاجانب واعتمدوا على أنفسكم بأنفسكم» (٥٩) .

وطُبخت الحرية أيضا في غير برلين . والنتيجة هي هي . وكما حرية الارمن كذلك حرية الشعوب الشرقية كافة .

حصل هذا في الامس القريب ، وحصل مثله في الامس البعيد ، والأبعد ، ثم الابعد .

واليوم ، تأبى المأساة الا أن تلاحق الارمن أينما

= العملاق القيصري الروسي كقوة جديدة .. فكان أن سارعت الى عقد معاهدة سرية مع تركيا نالت بموجبها جزيرة قبرص ، مقابل تعديل شروط المعاهدة المذكورة . وبالفعل ، فقد دعت بريطانيا الى التخفيف من قيود معاهدة سان استيفانو واستطاعت اقناع القيصر الروسي بذلك ، فكان أن عقد مؤتمر برلين في نفس العام ، حيث جرى التوقيع عليها بتاريخ ٧/١٣ واستعيض عن المادة ١٦ بالمادة ٦١ التي تنص :

« يتعهد الباب العالي دون أي تأخير ، بتحقيق الاصلاحات وادخال التحسينات التي تقتضيها ظروف المقاطعات التي يقطنها الارمن ، وبضمان سلامتهم ، وسيقدم الباب العالي ـ دورياً ـ بياناً بالخطوات التي يتخذها بهذا الصدد الى الدول المعنية بمراقبة عملية تنفيذ هذه الطلبات» .

(الارمن عبر التاريخ : ص ٣٩٦/٣٩٧) .

(٥٩) الارمن عبر التاريخ ، ص ٥٦ ، عن كتاب « تاريخ الامة الارمنية » لمؤلفه : ك. ل. استارجيان .

كانوا ، وخصوصا في لبنان • وفوق هذا يتبادل « اتحاد ثوار الارمن »ـ« طشناقسوتيون » و« الطاشناق »ـ الحركة الثورية » من جهة ، و « حزب الطاشناق » من جهة أخرى، التهم والتهديدات • فالفريق الاول يصف الفريق الثاني بـ « العميل » ويتوعد باطلاع الرأي العام العالمي والارمني على « تفاصيل كاملة حول (دوره) في الاستخبارات الاميركية ضد قضايا الشعوب المضطهدة ، خصوصا في لبنان » [٦٠] ، بينما يرد الثاني (الطاشناق) فيقول بأن هذا الاتحاد ليس سوى منظمة الجيش السري الارمني[٦١] ويتهمه بالارتباطات المشبوهة والاعمال التآمرية » [٦٢] • كما يرى حزب« الطاشناق »ان ما يفعله« اتحاد الثوار الارمن ـ الحركة الثورية » هو « حلقة من ضمن المؤامرة التي تستهدف الوطن اللبناني والطائفة الارمنية عن طريق زرع الشقاق في الطوائف اللبنانية وضربها بعضها ببعض وزجها في اتون الصراعات الطائفية الدموية المدمرة (•••) »[٦٣] و « الحقيقة الجلية » في رأي « الطاشناق » هي « ان شن الحملات وتوجيه الضربات (اليه) يرمي الى تفكيك وحدة

---

(٦٠) جريدة «النهار» ١ـ٢ـ١٩٨٧

(٦١) جريدة «النهار» ٣١ـ١ـ١٩٨٧

(٦٢) جريدة «النهار» ٣١ـ١ـ١٩٨٧

(٦٣) المصدر نفسه .

الطائفة الارمنية ويخدم مصالح تركيا صانعة الابادة الارمنية » [٦٤] • وكذلك يهم حزب « الطاشناق » أن يؤكد على أنه « يعمل وسيعمل بكل الامكانات والوسائل مكافحا لتحرير الارض الارمنية السليبة ونيل الحقوق من تركيا الغاصبة » [٦٥] •

لقد وقعت هذه « الحرب البيانية » بين الفريقين المذكورين ، اثر اغتيال ثلاثة من عناصر حزب « الطاشناق » هم : وارتكس ديرقرهبديان وليفون بربريان ونرسيس خودافرديان وخطف رابع هو هاكوب برصوميان ـ تمّ ذلك في أواخر سنة ١٩٨٥ ـ على ان الاخير « كان مرتبطا بالأجهزة الاميركية ارتباطا مباشرا ، وهو من المستحصلين على الجنسية الاميركية ويمثل قيادة الطاشناق العميلة في عدد من المفاوضات السرية التي كانت تجري بين الطاشناق وأنظمة متعددة » حسبما يقول « اتحاد الثوار الارمن ـ الحركة الثورية » [٦٦] (؟!) •

وفي لبنان أيضا ، كانت الصحف اللبنانية قد طالعتنا، صباح الثلاثين من أيار ١٩٨٦ ، بالنبأ التالي :

---

(٦٤) المصدر نفسه .

(٦٥) المصدر نفسه .

(٦٦) « النهار » ١ـ٢ـ١٩٨٧

« بدأ امس (الخميس ٢٩ ــ ٥ ــ ١٩٨٦) الارمن في لبنان اضرابا عاما شمل كل المدارس والمؤسسات التجارية في بيروت والمنطقة الشرقية وجبيل ، استنكارا لاغتيال خمسة مواطنين أرمن في الغربية (الشطر الغربي من بيروت) كان آخرهم طبيب الاسنان فاهي هيكازجاراجيان والمصور كريكور أوهانس » .

« وجال عدد من الرؤساء الروحيين للطوائف الارمنية [٦٧] على المسؤولين والمراجع في المنطقة الغربية الذين دانوا هذه الاعتداءات وأكدوا ضرورة وضع حدّ لها » .

أضاف النبأ :

وصدر بيان عن رؤساء الطوائف الارمنية الذين اجتمعوا وتشاوروا في « الموجة المعادية لابناء الطائفة الارمنية في بيروت الغربية » جاء فيه :

(ان هذه المحاولات الأليمة ضد ابنائنا الذين يعملون من أجل وحدة لبنان وتقدمه وازدهاره ، تؤلمنا وتدمي

(٦٧) هم المطران آرام كشيشيان عن الطائفة الارمنية الارثوذكسية ، والمطران اندرياس بدوغليان ، عن الطائفة الارمنية الكاثوليكية ، والقس ابراهام سركيسيان عن الطائفة الارمنية الانجيلية ، والنائب سورين خان اميريان وعدد من الفاعليات الارمنية .

قلوبنا . ونحن واثقون بأنها تؤلم أيضا قلوب جميع اللبنانيين المخلصين . وتؤكد على تمسّكنا بلبنان وطن المحبة والاخوّة والعيش المشترك بين جميع الاديان السماوية والثقافات المختلفة) .

وقال البيان أيضا :

« وناشد رؤساء الطوائف الارمنية السلطات اللبنانية والجهات المسؤولة ولا سيما رؤساء الطوائف في المنطقة الغربية من بيروت اتخاذ كل الخطوات الفورية والفعالة لوضع حدّ لمثل هذه الممارسات الشاذة »[٦٨] .

عندما حاولتُ المقارنة بين نداء الرؤساء الروحيين للطوائف الارمنية ، وبياني « الطاشناق » و« اتحاد الثوار الارمن ــ الحركة الثورية » ، تملّكني الخوف على الارمن اللبنانيين ، الذين لي فيهم أصدقاء كرام ونبلاء . فما ان شعرت بالاعتزاز وأنا أنظر الى الوفد الارمني الذي شملت جولته القيادات الروحية والسياسية في بيروت الغربية ، حتى عاجلتني « الحرب البيانية » ، التي أشرنا اليها ، بسهم حاد أصاب مني هذا الشعور الرائع ، فقلت حينئذ : ان عمليات الإبادة العنصرية (Genocide) التي نفّذت في الامة

(٦٨) صحف ١٩٨٦/٥/٣٠ ، وايضا صحف ٥/٣١ و ١، ٢، ٣، ٤، ٦ ــ ٦ ــ ١٩٨٦

الارمنية خلال عقدين من السنين (١٨٩٤ — ١٩١٥) ، ليست غلطة الامبراطورية العثمانية والدولة التركية الكمالية فحسب ، بل هي غلطة « العالم الحر » (ومعه الصهيونية) أيضا ، فضلا عن غلطة الارمن أنفسهم .

فهل للارمن أن يتذكروا مقولة خريميان هايريك ، ويدركوا أن هذا العالم قد شُلَّت أخلاقه ، وتعطّل ضميره ، وقتِلت النزعة الانسانية التي كانت فيه ؟

إنّ أعجب ما في المسألة الارمنية ، اذن ، هو ان البحث عنها لا بد أن ينتهي بسؤال ربما لن نجد جوابا عنه .

الفصل الثاني

"اليهودانيّة" حُلْمُ ليلةٍ سَوداء

"إن الصليب عثرة لليهود وجهالة لليونانيّين لأنهم لم يعرفوه"

الدكتور القس فهيم عزيز
الأستاذ بكلية اللاهوت الانجيليّة
من كتاب المدخل الى "العهد الجديد"
الصادر عن دار الثقافة المسيحيّة
طبعة ١٩٨٠ ، ص ٤٢٢

تمهيد

لا أعرفُ كتابا تفصله عن مقدمته مئات الاميـال ومئات السنين ، مثل كتاب « قيامة الساميّة » (مخطوطات بيروت ـ ١٩٨٣) [1] للاستاذ فريد سلمان ، الخـائف والمرعوب والمصرّ على نبش النيّـات (Intentions) دون سواها ، وقد غاب النّور الذي به نستضيء ! ذلك لان « قصة المخطوطات » التي شاءهـا المؤلف مدخلا الى كتابه ، انما هي من عمل الخيال فحسب ، غايتها الترغيب في القراءة ليس الا ، ولكنها ، على كل حال ، مقبولة ، الى أن تصبح « القيامة » التي يبشر بهـا سلمان أمرا مفعـولا .

---

(١) ١٧٦ صفحة من القياس الكبير ، مجلدا . دار بشاريـا للطباعة والنشر والاعلام . الطبعة الاولى ١٩٨٦ . والاهداء : « الى يسوع ابن مريم الناصري : لانك : بالحب ، أخفتهم ، قتلت منذ الفي سنة ، على صليب . فمت وحيدا . وما تزال كما الحب ، وحيدا » .

وعندئذ تتفتح أبواب ونوافذ تتسع للحشود المشرقية الآتية « من التاريخ الى المستقبل » [٢] ، على صوت « رجل بحجم موسى الرجل : (ناحوم) غولدمن » [٣] .

لقد زعم الاستاذ سلمان أن ميتاً حمل اليه ، « في ليلة رعب من ليالي بيروت الاثنين والثمانين » [٤] حقيبة فيها « مجموعة أوراق كثيرة . مخطوطة كلها باليد . تقارير مفصلة » [٥] . وزعم أيضا انه لا يعرف هذا الراحل ، كما ان أحدا لن يعرف من هو . ومن أين أتى . ولا من أرسله . ولا كيف مات [٦] .

ولكي يثبت سلمان « براءته » من دم « ضيفه » هذا ، نفى متسائلا : « لماذا لقيته على باب بيتي ؟ وهذه التقارير المخطوطة كلها ، لمن كانت موجّهة ؟ من طلب منه أن يكتبها ؟ وهل هو كاتبها ؟ ولماذا هذا الميت على بابي وفي يده الحقيبة ؟ » [٧] . بيْد ان الاستاذ سلمان سمع بابه يُدق على قوله [٨] ، وكأن الميت هو الذي فعل ذلك. هنا نبادر الى السؤال : هل الضيف مات على الباب ؟ أم

(٢) صفحة ٢٤ .
(٣) ص ٢٨ .
(٤) ص ١٣ .
(٥) (٦) (٧) المصدر نفسه
(٨) ص ١٢ .

هو جاء ميتا ؟

من المفترض أن يكون كاتبنا شعَر بحرارة « الجثة» عندما فكّ« الاصابع المجمدة من الموت عن جلد الحقيبة الاسود » [٩] ، الا اذا كان « الرسول » قد مات من قبل، على الطريق أو في مكان ما ، فحُمل اليه مع الحقيبة لتكتمل القصة وما هي بقصة .

المهم ان « الرسالة » وصلت « نظيفة » من كل عيب أو أثر لمحاولة تعديل أو شطب أو محو أو إفساد . أما « الميت » فقضيته من شأن العدالة ، والاخيرة ، كما نعلم ويعلم الاستاذ ، غائبة أو متقاعدة . وان هي عادت ، نرجو أن يكون قريبا ، فلها أن تتصرف حسبما تراه مناسبا . ولربما أهملت العدالة هذه القضية أو ألغتها ، كونها من حصاد حربنا الطويلة ، وليس على العدالة حرَج إن حصل مثل هذا . وإنه لحاصل بكل تأكيد ، ولا سيما اذا ما استمر « الشهيد » مجهول الحسَب والنسَب .

قبل الجولة على مضامين الكتاب وموضوعاته، ينبغي لنا أن نترسَّم القيامة والساميّة ، مبنى ومعنى ، ماضيا وحاضرا . وعسى أن يكون في عملنا هذا ، المتواضع ، ما يعوّض عن المقدمة التي استُبعِدت أو نُسيت .

(٩) ص ١٣ .

القيامة :

ان القيامة ، لغةً ، هي الانبعاثُ من الموت ، بل نصرة الحياة على الموت . ويومُ القيامة يومُ البعث من الأرْماس.وبهذا المعنى يكون الموت من ضرورات القيامة، التي لا بد أن تكون جسدية . وعلى الرجاء في القيامة اندفع الرسل ، عبر التاريخ ، للمخاطرة في التبشير .

لذلك ، فان القيامة (Resurrection) ، بالنسبة الى المسيحية مثلا ، هي « مجيءُ السيد (المسيح) الى الجماعة التي خلقها ، وخلقها بمحبته وغفرانه . (اذ)القيامة هي المحبة وعنوانها » [١٠] . وان اردْنا التوضيح أكثر ، فهي تساوي المجيء الثاني ، ما يجعل موت المسيح «الذي يُعتبر في أعين بعض الناس انهزاما ، تمجيدا لاهوتيا وتاريخيا معا » [١١] . وما يجب أن نعرفه هو « ان الذي يؤمن دون أن يرى يؤمن على أساس شهادة الشهود الذين رأوا وهم تلاميذه ، هؤلاء هم التلاميذ الذين قدّموا شهادتهم للعالم .. هؤلاء خلقتهم القيامة خلقا جديدا .. وفعلت ذلك بالمحبة الابدية التي تدفقت من قلب يسوع

---

(١٠) الدكتور القس فهيم عزيز : المدخل الى العهد الجديد، دار الثقافة ، القاهرة طبعة ١٩٨٠ ص ٦٣٢ .
(١١) المصدر نفسه .

المحب » [١٢] .

السامية :

يقول مدرّس اللغات الساميّة في الجامعات المصرية الدكتور أ. ولفنسون (أبو ذؤيب) :

« تُطلق كلمة لغات سامية على جملة من اللغات التي كانت سائدة منذ أزمان بعيدة في بلاد آسيا وافريقيا سواء منها ما عفت آثاره وما لا يزال باقيا الى الآن »[١٣] .

أضاف :

« وأول من استعمل هذا الاصطلاح هو العالِم شلوتسر (Schlozer) في ابحاثه وتحقيقاته في تاريخ الامم الغابرة من سنة ١٧٨١ م.

« وقد استخلص (شلوتسر) هذه التسمية من الجدول الخاص بأنساب نوح عليه السلام الواردة في التوراة (*١) .

---

(١٢) المصدر نفسه .
(١٣) تاريخ اللغات السامية : تأليف أ.ولفنسون (أبوذؤيب) دار القلم ، بيروت ، طبعة ١٩٨٠ ، ص ٢ .
(*١) سفر التكوين ، الاصحاح العاشر .

« وهذا الجدول من أقدم ما وصل الينا عن أنساب الامم السامية و هو (...) يقسم الأسرة البشرية الى آل سام وحام ويافث (*٢) » (١٤) .

والساميون ، كما في « الموسوعة العربية الميسّرة »، « اسم اشتق من سام بن نوح ، ويتسع المصطلح الآنحتى يشمل الشعوب الآتية : العرب ، الآكاديين ، من قدماء البابليين،الآشوريين ، الكنعانيين : (الآشوريون،المؤابيون، الأدوميون ، العمونيون ، (الفينيقيون) ، القبائل الآرامية المختلفة (وفيها اليهود) ، وجزءا كبيرا من سكان اثيوبيا (الحبشة) » (١٥) .

ان تلك الشعوب جميعا يشملها « الساميون » وخصوصا لان لغاتها قاطبة انحدرت من أصل لغوي واحد، أي اللغة السامية (١٦) .

ولكن « تسرّب الى نفوس بعض الباحثين شيء من

(*٢) « The descendants of Noah's sons are Shem, Ham and Yaphet . These three had sons after the flood». (Holy Bible, American Bible Society, New-York , Genesis 10 : 1) .

(١٤) ولفنسون : المصدر نفسه .

(١٥) الموسوعة العربية الميسرة ، دار النهضة ، لبنان ١٩٨٠. المجلد الاول ، ص ٩١٨ .

(١٦) المصدر نفسه .

الشك في صحة ما جاء في الجدول(الخاص بأنساب نوح) بسبب عدم ذكره الكنعانيين بين أبناء سام في حين أن هناك روابط عنصرية ودموية ولغوية وثيقة تربط الاسرائيليين بالكنعانيين وقد عدّ أبناء يعقوب من بني سام فكان حتما أن يعدّ الكنعانيين منهم » (١٧)

وإذ يحسب العالِم بروكلمان (Brockelman) أن بني اسرائيل قد أقصوا الكنعانيين عن جدول بني سام لاسباب سياسية ودينية ، فان الدكتور ولفنسون يميل الى الاعتقاد بأن الرابطة التاريخية التي كانت تربط العبريين بالكنعانيين قد تفككت عراها وامّحت آثارها منذ عهد بعيد قبل خروج بني اسرائيل من الجزيرة العربية التي كانت وطنا مشتركا لجميع الامم العبرية والكنعانية ، وهذا هو السبب في عدّ الكنعانيين من بني حام (١٨) .

ويجب التذكير بأن الجدول التوراتي يعتبر آل عيلم وليديا من الساميين ، مع ان لهجتهم كانت غير سامية .ان هذا الامر لا يملك أي من الباحثين الى اليوم ، امكانية البت به يقينا ، وربما بادرت التوراة الى اتخاذ هذا الموقف بسبب خضوع هؤلاء (آل عيلم وليديا) للامبراطورية

---

(١٧) ولفنسون : المصدر نفسه .

(١٨) ولفنسون : ص ٢ — ٣ .

الآشورية السامية [١٩] ، في القرن الثامن قبل الميلاد، يومة اتخذ الآشوريون العيلاميين جنودا مرتزقة في جيشهم، وقد اشترك هؤلاء المرتزقة في الهجوم على القدس [٢٠] .

أول من اخترع هذه التسمية

مما لا شك فيه ان الاصطلاح : « الساميّة » هـو أصلح وأوفق ما اهتدى اليه العلماء لتسمية كتلـة الامم التي كانت تقطن في بلاد آسيا الدنيا التي كوّنت وحـدة دموية ولغوية مستقلة » [٢١] .

و « الواقع انه ليس أمامنا كتلة من الامم ترتبط لغاتها بعضها ببعض كالارتباط الذي كان بين اللغات السامية» [٢٢] .

فلا عجب ، اذن ، ان كان اول من تنبّه الـى هذه العلاقة التي بين الامم السابقة « هم علماء اليهود الـذين كانوا في الاندلس في القرون الوسطى » و«جاء المستشرقون بعدهم فأخذوا يبحثون في علم اللغات السامية بعناية وتوسع حتى وضحت هذه العلاقة وضوحا تاما » [٢٣] .

---

(١٩) ولفنسون : ص ٣ .
(٢٠) قاموس الكتاب المقدس ، منشورات مكتبة المشعل طبعة ١٩٨١ ، ص ٦٥ .
(٢١) ولفنسون : ص ٣ .
(٢٢) المصدر نفسه .
(٢٣) المصدر نفسه .

وما أن تمكّن الباحثون من الكشف عن تلك العلاقة المتينة بين اللغات السامية كافة ، حتى « ساقتهم هذه العلاقة الى الاعتقاد بأن جميع هذه اللغات متفرعة عـن دوحـة واحدة » [٢٤] كما « استنتجوا من بعض الظواهر أن تلك الدوحة أو تلك اللغة الاصلية لجميع اللغات السامية كانت منتشرة في منطقة واسعة الاطراف » [٢٥] وقد « نجمت منها لهجات مختلفة وظلت هذه اللهجات غير ظاهرة المخالفـة للاصل ، الى أن انتشرت قبائل الاسرة السامية في بلاد شتى وهاجر بعضها من مهده الأصلي » [٢٦] ثم « بدأت تأثيرات البيئة في ألسِـنة المهاجرين ، فأخذت المخالفة تبرز وتنمو حتى أصبحت تلك اللهجات مغايرة للاصل مغايرة واضحة كأن كلاً منها لغة مستقلة » [٢٧] لأمة مستقلة أيضا .

موت السامية

بعد هـذا الاطار التاريخي ، الذي أردناه مقدمة أو بعض مقدمة لقراءة كتاب الاستاذ فريد سلمان ، يمكننـا القول بأن الساميّة قد ماتت تماما ، ولكن مثلما تمـوت حبة القمح في الارض ، لتنبت حبات ، هي أيضا مـاتت

---

(٢٤) المصدر نفسه .
(٢٥) المصدر نفسه .
(٢٦) المصدر نفسه .
(٢٧) المصدر نفسه .

فأنبتت ، ومع الزمن نأت المسافة بين الاصل وفروعه بعيدا وبعيدا • فهل من مجال ، بعد ، للتفكير في اختصار هذا البعد الزمني والفكري واللغوي ، ولملمة ما مزّقته الاحداث والازمان ؟

لقد ماتت الساميّة ، فانقلب ورثتها بعضهم اعداء لبعض ، حتى ان الروابط أو الجوامع المشتركة التي كانت تعزز وحدتهم وتعايشهم وتضامنهم ، على ما يقال ، ماتت هي أيضا • وليس في الافق ما يدعونا الى انتظار قيامة أو شبه قيامة ، حتى ولو أخذَنا طوفان جديد •

ان قيامة الساميّة تحتاج الى ايمان قوي وشديد لا يتزعزع ولا يلين ولا يهادن • فهل بقي مكان ولو بحجم رأس دبوس لهذا الايمان ؟

قيامة السامية

كانت بيروت على الصليب عندما نزل على فريد سلمان « الوحي » (Revelation) في حقيبة سوداء • ليس« البيارتة » هم الذين صلبوا المدينة الحبيبة • وانما فعل ذلك اليهود والفلسطينيون ، وتبعتهم بعد ذلك « الاحزاب الوطنية » و « التقدمية » و « القومية » و « اللبنانية » و « الاسلامية » • فتباً لها من جريمة لا تُغتفر وعار لا يُمحى •

منذ الفي سنة تقريبا ارتفع في بيت المقدس اول صليب• واليوم ارتفع في بيروت الصليب الثاني •

ترى الم يهيىء هؤلاء « الساميون » صليبا ثالثا او اكثر ؟!

هذا الغضب « السامي » الوحشي الافتراسي اين سيحط غدا ؟

كنا ، لعقد من السنين خلا ، نحسب ان بيروتنا « محروسة » من الله والعالم الحر ، ومحبوبة من الله و « العالم الحر » • وفجأة انفجر البركان ، فسقطت الاقنعة عن الوجوه الخبيثة التي تخفي اسرارا واحقادا ، وبانت الانياب والنيات •

فريد سلمان رأى بيروت على الصليب ، فلم تمكنه قدماه من الوقوف مع الواقفين ، اذ أحس بالانهيار من تحت ، مثلما لو وقع زلزال عجيب رهيب • وقبل ان يسقط مضى الى بيته ليستنزل آيات الخلاص والرحمة • وفي لحظة خاطفة ، هبطت عليه « النعمة » كلها كاملة غيرمنقوصة•

واذا « الغولدمانية » (Goldmanism) (نسبة الى اليهودي المعاصر : ناحوم غولدمن) هي الوحي كله ، والخلاص كله ، وقد جاءت على الصورة التالية :

« يجب تخطي الرمز المحدد كما ورد في دعوةموسى

من متابعة الرسالة اليهودية في مداها الكوني وهو قدرها التاريخي » .

« فمفهوم الارض ــ الشعب ، كما تتقيد به الصهيونية السياسية ، وهو الارض ــ اسرائيل ، والشعب ــ اليهود، لا بد ان يتحول الى المفهوم الاوسع والاكمل : الارض : الكون، والشعب ــ الانسان » .

« يجب ان يصبح الدين اليهودي حضارة شمولية وان لا يظل مجرد قومية مقفلة . يجب ان تنطلق اليهودية من المراهقة الرمزية الى الحكمة . من القومية الى الكونية » [٣٨] .

هنا بيت القصيد . بل « الآية العظمى » . بل « آية الآيات » التي ضمنتها « الحقيبة الغولدمانية » الهابطة من عل في ليلة لم تنته بعد .

ولكن ما علاقة اليهود بالحكمة ؟

اليهود يكونون توراتيين أو لا يكونون . وأهل « الحكمة » يكونون عقلانيين أو لا يكونون .

واذاً ، فان يهودانية غولدمن وسلمان هي الرجوع

---

(٣٨) قيامة السامية : ص ٢٨ .

الى المشرق .. الى الارض السامية ، بعد الفي سنة ؟

لا حول ولا قوة الا بالله . ولنقل : لا حول ، ولا قوة الا بالعقل .

هل غولدمن هو نبي يهودي جديد ؟ صحيح ، كل اليهود أنبياء . ولكن ليس كل الانبياء « اصحاب عزم » !

هذا النبي او المتنبىء يحمل سلاما قال عنه تلميذه فريد سلمان :

« .. هو : سلم عادل وشامل ودائم . وليس هو من الانواع المطروحة في بازار العالم السياسي » .

وقال ايضا :

« انه السلم الذي لا يقتصر ، بمفهومه ، على وقف نار النزاع الاسرائيلي ــ العربي المرحلي . فهذا سلم لا يفيد أحدا . واذن ، فهو ليس ضروريا لاحد . ان السلم الغولدماني يطال جميع النزاعات القائمة في المنطقة . وهي نزاعات مزمنة بين الطوائف «الشقيقة» والمصالح «الشقيقة» والانظمة « الشقيقة » ، والعقائد « الشقيقة » ، الى آخر تناقضات الاخوة العربية والاسلامية الخرافية . لان العرب المسلمين قبليون، متشيعون، ورُحّل في الارض وفي الحضارة

بارث ساميتهم الاصيلة .. وبحكم صحرائيتهم الاصيلة أيضا » (٢٩) .

ويستطرد التلميذ ـ الرسول قائلا :

« ولان العروبة التي توهم بالابوّة أو (بالاخوّة) ليست أصلا ، اكثر من حيلة صهيونية ـ بريطانية ، ذات حدين ، ما تزال شعوب المشرق الساذج تصدقها ، وتتجرع بها .

« ولان وجوب ترتيب وضع هذه الشعوب في دولها التاريخية المريحة حتم من حتميات هذا السلم العادل والشامل والدائم بالذات .. » (٣٠) .

لذلك ، وعلى قول التلميذ النجيب :

« فالسلم الذي يريده غولدمن ، حاجة وضرورة . اذن ، فهو حتم . لانه وليد اقتناع حدسي وعقلي بأن الزمن قد حان لليهودية الالفية ، المشتتة دون هوية سافرة ، ودون كرامة قومية أو وطنية ، رغم كونها المتفوقة الخلاقة والفاعلة في عالم الامس واليوم ، لان تلملم طاقاتها وطموحاتها الموزعة والمقنّعة » (٣١) .

---

(٢٩) المصدر نفسه ص ١٢٠ .
(٣٠) المصدر نفسه .
(٣١) المصدر نفسه .

هذا سلم أم حرب ؟

انها البداية التي تنبىء عن النهاية .

لكل أمة سلمها وحربها .

والعرب ، قبل الاسلام ومعه ، يقولون سلاما لمن يسالمهم ، ويحاربون من يحاربهم .

والعرب كغيرهم من الامم والشعوب مبدأهم : السلم له وقته ، والحرب له وقته أيضا .

« النبي » غولدمن هارب من اليهودية ـ الصهيونية الى اليهودية السامية التاريخية . و « الرسول » فريد سلمان هارب من الدروزية ـ المحمدية ، الى الدروزية اليونانية اللا دينية . وما دامت مهمة « الرسول » سلمان نبش النيات (Intentions) مثلما قلنا ، فمن الحكمة أن نسارع الى القول بأن نية هذا « النبي » لا تشبه نية هذا « الرسول » واذا ما اختلفت النيات اختلفت ، لا شك ، الاهداف والاعمال . فأين سيلتقي الهاربان ما داما في اتجاهين معاكسين ؟ ومن الحكمة أن نذكّر بما فعله اليهود بالكنعانيين قبل الخروج من الجزيرة العربية .

ان حكمتنا هذه ليست كصب الزيت على النار ...
ولا هي لتفشيل « النبي » الجديد أو « رسوله » أو الاثنين معا .
انها مرآة فحسب ، نقدمها للذين ليس عندهم مرايا ينظرون

اليها . وعلى قول المثل : أعْلمُ بها من غصّ بها . أي من جرب الامور ومارسها وعرفها كان اعلم بها ، بدون ريب .

كل الانبياء (*٣) بدأوا مثاليين ـ طوباويين ، وانتهوا ماديين ـ سياسيين .

لماذا ؟

لان السياسة ملْحُ الارض ، والطوباوية عرْش في السماء ثابت مكين . وكما قيل : الارض ارض والسماء سماء .

ما اكثر الفلاسفة والمصلحين الماديين الذين ارغمتهم الايام على الاعتراف بـ « ضحالتهم » ، ثم تراجعوا أو انحرفوا نحو المثالية،إما طمعا بالاعلى أو خوفا منه !ومعظم هؤلاء فعلوا ويفعلون هذا بدافع من الاثنين: الخوف والطمع و « الله وحده يعلم بما تخفيه الصدور » !!!

في ليلة سوداء طويلة ومتوحشة رأى فريد سلمان اليهودانية تنطلق من « ارض الاسرائيلانية المسالمة في اتجاهات المشرق السامي كله ، وبدت له كأنها سيدة جليلة عليها كساء بلون الارض يغطي المشرق من أقصاه الى أقصاه

(*٣) نعني « اصحاب العزم » منهم .

وقد جمعت تحته « المسيحية المشرقية الخلاقة » [٣٢] ، و « الاسلام الثري الكثيف » [٣٣] ، وكان يطلع من تحت هذا الكساء اصوات غريبة عجيبة لم يفقه منها شيئا ، حينئذ صرخ قائلا: انها «أعظم قاعدة كونية لعام الالفين المقبل »[٣٤]؟

وأفاق الاستاذ من نومه أو من سكرته ليجد نفسه على ارض الممر الصغير بين غرف البيت المطفأة يوجعه الخوف [٣٥] والحزن و « الاغتراب » .

وقبل أن يغسل سلمان وجهه ويلقي نظرة الى المرآة قال او يُفترض أن يكون قد قال : ما أعظم أحلامنا . ولكن لماذا تهرب الاشياء الجميلة منا مثلما يهرب الضوء من شقوق الابواب ؟ طبعا ، هو لم يسمع جوابا ما . ولا كلف نفسه عناء البحث عن الجواب .وكمن يخدع نفسه بالوعد الاعظم الذي لا يمكن الا تحقيقه ، عطف قائلا :

«وان السلم الغولدماني حاجة وضرورة حتميتان أيضا لان غريزية البقاء ، موجهة بالمعرفاتية العلمية المعاصرة تنذر العقل والضمير في اليهودية الكونية ، وبالحاح متزايد

(٣٢) المصدر نفسه ص ١٢١ .
(٣٣) المصدر نفسه .
(٣٤) المصدر نفسه .
(٣٥) المصدر نفسه .

من خطر ردات لا سامية متجددة • وتنبه ، بالحاح متزايد أيضا ، الى ان هذه اللاسامية ، اذا ما تفجرت في الولايات المتحدة الاميركية فانها سوف تكون قاسية جدا • لان التحالف الكاثوليكي الزنوجي الموقوت ، مضافا الى تحالفات المتضررين من اليهودانية والحاقدين عليها لاسباب كبيرة مختلفة ، وهم كثر واقوياء ، يهدد هذه المرة بانهاء دراماتيكي للنفوذ اليهودي المتضخم في أهم مواطنه المعاصرة » (٣٦) •

وكمن يستخرج الذهب من التراب ، استخرج فريد سلمان اليهودانية من العالم الغربي اولا ، ومن اليهودية ـ الصهيونية ثانيا • وكأني بهذا المثقف المتورط نسي أن رقبة العالم هي بين جبارين شديدي القوى • واذ فرغ من عمليتي الفرز (Separation) والتصنيف (Classification) الآليين اصطدم بالواقع ، فعاد وهو يخفي شعوره بالخيبة ليقول :

« ولكن هذا السلم (الغولدماني) لا يمكن تحقيقه الا بموافقة الكبيرين السيدين على العالم المعاصر بل انه يشترط مساهمتهما الفعلية أيضا » (٣٧) •

(٣٦) المصدر نفسه .
(٣٧) المصدر نفسه .

كيف ؟

الشاطر اليهوداني كالشاطر اليهودي • ولسان حال كليهما يقول : بقرش تشتري أو تقتل كنعانيا أو عربيا ، والكنعاني أو العربي لا يساوي قرشا • لكنما المسألة فيها موت ، وفيها قيامة • واليهودي ، صهيونيا كان أم يهودانيا ، لا يعرف ولا يستطيع أن يتعلم كيف تمت قيامة المسيح بعد موته (٣٨) • وقد وصف الرسول بولس اليهود بـ « الجهلاء » ولكن ليس جهلا عقليا ، فعلماؤهم كثر ، بل جهل ديني لاهوتي ، اذ انهم جهلوا القصد الاسمى من الناموس ، ولم يعرفوا أن غاية الناس هي المسيح للبر لكل من يؤمن بأن الله أقام المسيح من الاموات • ومن اعترف بذلك وآمن خلص من العذاب الذي ينتظره • فاذا كان اليهود يسألون آية ، فان اليونانيين يسألون حكمة • واما الله فقد استحسن ان يخلص المؤمنين بجهالة الكرازة • ولماذا ؟ لان حكمة هذا العالم قد « ضلت ولم تستطع أن تعرف طريق الله » • بل على العكس من ذلك ففي حكمتهم البشرية ، صلبوا « رب المجد » ، وهذا دليل على مدى ما وصلت اليه هذه الحكمة البشرية من جهل • ولاجل ذلك فسوف يبيد الله حكمة الحكماء ويرفض فهم الفهماء (؟!) وفي مقابل هذه الحكمة

(٣٨) فهيم عزيز : المصدر السابق ص ٥١٧

البشرية الجاهلية » اعلن الله حكمته وكانت دنيوية قاسية على حكمة البشر • انها الصليب : فالصليب عثرة لليهـود وجهالة لليونانيين لانهم لم يعرفوه (٣٩) •

بين جماعة الشهوديين ، أي جماعة المسيحيين الذيـن جاؤوا من أصل يهودي وظلوا يدققون في التمسك بالناموس حتى بعد ايمانهم بالمسيح فاثاروا القلاقل الكثيرة في كنائس غلاطية وكورنتوس (٤٠) ، وبين اليهود أنفسهم ، ضـاع الرسل والمفسرون ، مثلما ضاع من بعدهم الفقهاء والرواة والمحدّثون المسلمون ، حينما اشتدت الفتن والنزاعات بين خلفاء النبي محمد ، اذ دخل في الاسلام يهود وشهوديون لم يكن لهم دور سوى تأجيج نار الفتنة والتحريض عـلى الجدال العقيم، الذي غالبا ما يؤدي الى الخصومة والمفارقة• وليس الاسلام من صنع اليهود كما يزعم البعض ومنهم فريد سلمان نفسه ، بل الاسلام حتمية عربية ، وتحديدا قرشية، فرضت نفسها ردا على الحتمية اليهودية والحتمية المسيحية• مع ما في كل واحدة من هذه الحتميات الثلاث من مداخلات غريبة وارادات مؤثرة من هنا وهناك وهنالك ، بـاتت في معظمها معروفة للجميع •

ومهما تصعبت المسائل وتعقدت ، فالامر هين عـلى الشاطر اليهوداني كما هو هين على الشاطر اليهودي •فبكل بساطة قال التلميذ الغولدماني فريد سلمان :

(٣٩) المصدر نفسه ص ٣٩٩/٤٠٠
(٤٠) المصدر نفسه ص ٥١٦

« وهل أقدر من اليهودية الكونية ، وهي فعالة ومتفوقة ومشاركة في العالمين، على توفيق الاميركي والسوفياتي حول مصلحة مشتركة جديدة ومقنعة ، ترتب لهما فوضى ما بعد الحرب ، « الفوضى البريطانية » ، وتريحه من الاستمرار في سلبيات النزاع التقليدي المكلف والعقيم » (٤١) •

وبهذا يكون النبي غولدمن وتلميذه فريد سلمان قد أسسا لنا مشرقا « سعيدا » و « فاضلا » ــ على طريقـة المدينة الفاضلة ــ في ظل عملاقين « طوباويين » ان لم نقل « قديسيْن » •

هل تصدقون ؟

يجب أن تكون اليهودانية قوة خارقة لا تخطىء ولا تتراجع • بل يجب ان يكون غولدمن هو ابراهيم ويعقوب ويوسف وموسى وداود وسليمان ودانيال وحزقيال واشعيا وكل انبياء اليهود مجتمعين • والا بقي كل شيء في مكانه•

التهدئـة

قد يعتب الاستاذ سلمان أو يسأل : لماذا القسوة ؟ وجوابنـا اليـه هـو : ولمـاذا السيْـر الشـديـد ؟ اننا آثرنا الانطلاق من القلب الى الاطراف ، والذي فرض

(٤١) قيامة السامية : ص ١٢١

علينا هذا هو اننا رأينا هذا القلب الدروزي ـ الهارب الى المجهول يخفق بسرعة هائلة وجنونية ففزعنا منه وعليه ، فكانت هذه التهدئة ولا نقول المعالجة، وما زلنا على يقين بأننا لو انصرفنا عنه أو أجّلنا المبادرة، لتمزق من شدة الضغط والانفعال ، الناجمين عن النقلة العجائبية من الغرب الآلي المحدث الى المشرق الصوفي القديم .

« مخطوطات بيروت »

يضم كتاب «قيامة السامية» خمسة وعشرين «مخطوطا» الى « مخطوطين » في « القصة اللبنانية » هما : « روما وأثينا في لبنان الموارنة والدروز » و « الثورة التصحيحية» وكلها مجتمعة هي جزء مما حمله الرسول الميت المجهول الى الرسول الحي المعروف . والاخير صرح قائلا :

« .. وما يزال في الحقيبة الجلدية السوداء تقارير كثيرة أخرى . محفوظة في آمان . تضيء حقائق مدهشة من المسألة اللبنانية وفواجعها . وعن التحولات والتحركات في عالم اليوم . تنزل اقنعة . تصحح في مزورات . تروي نيات بعيدة . تفاجىء في كشف ورائيات حروب الشرق الاوسط ومجازر لبنان . توضح المستقبليات . وسوف تنشر لاحقا » (٤٣) .

(٤٢) نفسه ، ص ٧

تدور هذه « المخطوطات » التي تؤلف « قيامة السامية» حول مسألة واحدة ذات وجهين متوازيين لا يلتقيان حسبما يظن الكاتب ، الذي يصر على الفصل بينهما، بطريقة فضّاحة لا تسمح بالرجوع ، بعد اليوم، الى تلك الازدواجية الرهيبة المدمرة . فهو قد استعمل لها كل ادوات التجميل والتحسين والزخرفة من جهة، وكل ما يشنّع ويقبّح ويكشف المساوىء والمعايب من جهة أخرى .

ان المسألة ، اذن ، هي المسألة اليهودية وما يحيط بها في الشرق والغرب . أما الاسلوب ، الذي اتّبعه الكاتب أو «الرسول» ، فخفيف رشيق، خرج من التاريخ بدون وثائق ولا مستندات ، ولامس الواقع بدون صحافية ولا تقريرية، ولولا سلامة الانشاء والتركيب ولو بطريقة « العسراوي» لقلنا انه لمن أعمال بعض « الصالونات » الادبية اللبنانية ، التي تقام في ايامنا هذه، بصمت وبمعزل عن الصحافة وسائر وسائل الاعلام . فهو يتعامل مع الحدث المنتقى بشفهية مطلقة، وذاكرة سريعة لا تملك التفاصيل ولا الادلة المطلوبة. فيتّهم ويخوّن ثم يحكم على غير بيان . ولنحسب اننا صدّقنا ما زعمه الاستاذ سلمان في « قصة المخطوطات » غير ان هذا لا يمنع من المطالبة بمراجعة « المخطوطات » ودرسها وتحقيقها . فلننظر الى كتب التراث كيف يراجعها ويحققها المحققون المقتدرون ، ولولا هؤلاء لظل معظم تراثنا

اما مجهولا أو غير مرغوب فيه .

ان اول انطباع (Impression) خرجتُ به وأنا أطوي الصفحة الأخيرة من « قيامة السامية » ، هو ان كاتبه يرى الى العالم – كل العالم ، كما لو انه غابة قد يبست وماتت فيها كل علامات الحياة فاضرم فيها النار ، على أمل أن تقوم في الجنوب السامية العادلة بقيادة غولدمن الحكيم، وفي الشمال الشرقي شيوعية بيضاء هادئة ،وفي الشمال الغربي امبريالية « برونزية » مسالمة . وعلى هذا أحرق الكاتب العالم ، وجلس يكتب ، على ضوء اللهب المتصاعد ، ما يلي:

« ان اقامة المشرق السامي ، في شكل اتحاد مستقبلي التنظيم ، تشترك فيه الأسرة السامية التي أثبتت جودة نوعيتها وتفوقها في العالم الواسع ، وما تزال متخاصمة وسلبية فوق ارضها التاريخية ، هو ذروة الطموح الذي ترمي اليه اليهودية الكونية . ولقد وظفت من أجل اعداده والمباشرة في تنفيذه ، جميع الطاقات اليهودية الفاعلة في عوالم اليوم : السوفياتي ، والاميركي ، والاوروبي ، والعربي – الاسلامي ، الخ » ..

أضاف :

« وأوجد عقل هذه اليهودية الكونية الجوامع المشتركة

اللازمة لكل توفيق دولي ، او ثنائي ، تتطلبه خطتها السامية من أجل ضمان نجاحها في مراحل تنفيذها المتلاحقة . ولقد فرضت طبيعة هذا العقل الدولي، بحكم التغييرات الاساسية التي يخططها في العلاقات بين الدول ، السرية الكاملة والاساليب الازدواجية أو .. المتعددة الهويات » [٤٣] .

هذا هو وجه السعْد اليهودي ، الذي تهابه القوميات والمذاهب والفِرق والاحزاب والملل، القائل بازالة القوميات وبخاصة : العروبة والصهيونية [٤٤] اللتين « انتهت مهمتهما وبلغتا الحائط المسدود» [٤٥] ، وباعث « الهوية السامية الابوية التوحيدية » [٤٦] ، و « المصالحة التاريخية المرجوّة » [٤٧] ، وبالتالي كل « ما لا يستطيعه ،قطعا ،أي نظام قائم في أي من عواصم الزعامة والقرار في دول العروبة الاسلامية ، أو الاشتراكية الاسلامية » [٤٨] .

ألا يُخشى على هذا الوجه المرسوم أو المصنوع من الحسد وشرّه ؟

---

(٤٣) نفسه : المخطوطة التاسعة عشرة (الشرق الاوسط عشية المصالحة السامية) ص : ١٢٦/١٢٧

(٤٤) ص ١٣٢ من المخطوطة العشرين .

(٤٥) المصدر نفسه : ص ١٣٢/١٣٣

(٤٦) المصدر نفسه : ص ص ١٣٢/١٣٣

(٤٧) المصدر نفسه : ص ص ١٣٢/١٣٣

(٤٨) المصدر نفسه : ص ص ١٣٢/١٣٣/١٣٤

لا أعتقد أن الاستاذ سلمان نسي المثل القائل : «لكل عود دخان » . عفواً ، لقد نسيتُ أنا ان العالم قد احترق ... ونسيت كذلك ان «الغولدمانية» هي «الضمانة الوحيدة للاستقرار المستقبلي الضروري»(٤٩) ،لا في المشرق فحسب، بل في العالم بكل أرجائه أيضا .

ان «الغولدمانية» ،اذن،هي سفينة النجاة « الى أرض جديدة ..» (٥٠) ، فالويل لمن لا يصعد هذه السفينة ويخلّص نفسه !

وعلى رأي شهود يهوه :

« لقد أصبحت النجاة شأنا رئيسيا في أزمنتنا .لكن ما يجابه الجنس البشري هو أكثر هولا بكثير من حروب نووية . انه حساب مع الخالق نفسه . ونبوّات الكتاب المقدّس المذهلة تظهر بوضوح انه سوف يكون هنالك ناجون وأن آمالا عظيمة تنتظرهم هنا على هذه الارض»(٥١) بحيث « ان النجاة عبر نهاية العالم الفاسد الحاضر هي رجاء عظيم »(٥٢)" . ومن الطبيعي « أن تتوق (نحن) الى أن

---

(٤٩) المصدر نفسه : ص ١٣٤ .

(٥٠) النجاة الى أرض جديدة : كتاب جيب ، ١٩٠ صفحة، منشورات شهود يهوه . صدر بالانكليزية سنة ١٩٨٤ ، وبالعربية سنة ١٩٨٥

(٥١) نفسه : ص ٢

(٥٢) نفسه : ص ٩٨

تتخلّص من ظلم هذا العالم وجشعه وعنفه »(٥٣) .

وجْه غولدمن وجه اسرائيل الروحي ، « اسرائيل الله » . فهلاّ أدركنا لماذا أحرق كاتب « قيامة السامية » العالم .. ومضى خلف معلمه الاعظم ؟!

ويعتقد شهود يهوه :

« وقت اعادة بناء هيكل يهوه في اورشليم ، دفع نبيه حجي (Haggai) ليعلن : (أزلزل كل الامم ويأتي مشتهى كل الامم فأملأ هذا البيت مجدا قال رب الجنود (٤*) . ان زلزلة وزعزعة الامم تقود الى هلاكهم، ولكن قبل أن يحدث ذلك يجب تجميع « مشتهى كل الامم » من بينهم واحضارهم الى هيكل يهوه الروحي العظيم ، بيته الكوني للعبادة . وهنا سيجدون الامان عندما ينهار العالم الى الحضيض » (٥٤) .

من النبي حجي (Haggai) (٥٢٠ ق.م.) الى النبي غولدمن ، ما الذي تغيّر ؟

---

(٥٣) نفسه : ص ٩٨

(٤*) « The Lord Almighty said to Haggai : « Before Long I will shake heaven and earth , land and sea . I will over throw all the nations , and their treasures will be brought here , and the Temple will be filled with wealth » .

(Holy Bible , Haggaie 2 : 6—7)

(٥٤) النجاة الى أرض جديدة : ص ١٥٥

وكما الهيكـل لن يستمر خربا ومهجورا ، كذلـك العالم لن يستمر فاسدا وملوّثا .

فاذا كانت اليهودانية هي الساعد الذي يبني ويعمّر، فان اليهودية ـ الصهيونية هي التي ستهلك الامم حتى يعاد ترتيبها وتنظيمها من جديد .

لذلـك ، هبّ الاستاذ فريد سلمان يحقّر ويقرّع الكاثوليكية والبروتستانتية والشيوعية والماسونية والاسلام وجميع القوميات والانظمة الدولية والعربية، يسوقه الى هذه « الفورة النخاعية » الرفض الشديد الذي بـه قـابلت الصهيونيـة النبي غولدمن ومشروعه الكوني : اسرائيـل الروحي ـ « اسرائيل الله » .

وقذف الاستاذ سلمان وجه الصهيونية بالأسيد ، بعد أن حمّلها شرور العالم كافة .

ينبغي لليهودية أن تكون ذات وجه واحد لا وجهين .

وينبغي أيضا لوجه السعد (اليهودي) أن يلغي وجه الشؤم اليهودي وغير اليهودي .

عناوين « مخطوطات بيروت ١٩٨٢ مكتوبـة إمـا

بزعفران النخاع الفائر ، أو بزعفران الحديد (٥٥) .

كثيرون هم القائلون بأن خطايا العالم سببتها وتسببها اليهودية المادية . واحد من هؤلاء الاستاذ فريد سلمان؟! انما الحقيقة ليست كذلـك تمامـا . فالخطأ والصواب موجودان دائما وأبدا ، الواحد منهما يبرر الآخر .وليس موضوعيا حصر المسؤولية في « الصهيونية » دون غيرها من المنظمات والمؤسسات الفكرية منها والدينية والسياسية والعسكرية . فلكل أمة مصالحها وأهدافها ومشاعرهـا وآمالها وأحلامها وأوجاعهـا وأحزانها . وما من أمة الا سعت وتسعى حثيثا في سبيل ما تصبو اليه . واليهود طبعا، أمة ككل الامم .

هل اليهود أذكى من غيرهم مثلا ؟

لا . نقولها بكل تأكيد .

من قال ان للذكاء وجها واحدا لا غير ؟

ان الاستخفاف (Disparagement) بشعب أو أكثر

(٥٥) الزعفران : جنس نبات بصلي زهره أحمر الى الصفرة، من فصيلة السوسنيات .يستخدم لتطييب بعض أنواع من المرق والحلويات ، وبنوع خاص لتلوينها بالاصفر .زعفران الحديد : صداه (قاموس) . نعني بزعفران النخاع :السائل الذي يخالط الدم في ساعة الغضب والهيجان (م.ج.) .

هو الخطأ عينه • فكيف اذا ما استُخف بكل الشعوب وكل الامم ؟!

تقول المخطوطة الرابعة : « قوميات الصمود الاوروبي » :

« وكان الغرب ، المشتت والموزّع والمقسّم ، قبل دخول المسيحية الرومانية عليه ، قد اكتشف ، مدفوعا بالحاجة والضرورة ، السلاح الدفاعي الافضل لمواجهة اليهودية السامية ومقاومة غزوها : اكتشف القومية• تعلمّها من الحصرية اليهودية ، بالذات ، فتحصّن بها ، وطوّرها ، وراح يحارب بها عدوه الدخيل » •

أضافت :

« وكانت اليهودية عاجزة ، هي ، عن استعمال السلاح نفسه ، رغم انه سلاحها الاصيل ، لان القومية أرض ، ولم تكن هي على أرضها في الغرب الاوروبي•

« ثم جاءت البابوية •

« ورغم التناقض بين كونية المسيحية ، ومثلها الانفتاحية ، وبين الحصرية والعرقية في القومية ، أياً كانت، فقد أسهمت الكنيسة الرومانية في حربها ، هي أيضا ، ضد

اليهودية الغازية والآتية من أرض يسوع ومن شعبه ، بتطوير وتقوية القوميات الاوروبية المسيحية • وأشهرها اطلاقا النازية » •

وتقول المخطوطة نفسها :

« وهكذا ، أصبحت القومية سلاح المعركة وأرضيتها •

« واتخذت ، في يد كل فريق ، وعلى ساحته ، هوية مختلفة ، واهدافا مختلفة •

« الى أن جاء السلاح الجديد ليفصل في المعركة •

« وكان على اسم الاشتراكية الشيوعية والاممية اللادينية ، أو الالحادية الشعوبية ، في قيادة ماركس اليهودي » •

وتقول أيضا :

« تمكنت اللاقومية الاشتراكية من التحالف القومي، بين الكنيسة والانظمة الاوروبية الكاثوليكية ، فهزّت ، هذه المرة ، دعائم الكاثوليكية في غربها بالذات •

« وكأنما الكنيسة البابوية قد نسيت تماما انها قامت

في الاصل،باسم المسيحية الكونية اللاقومية ،وأن الناصري، معلمها ، كان الردة الكبرى على القومية اليهودية • وقعت كنيسة روما ، وأوقعت معها المسيحية الغربية كلها ، في فخ تنكرها للاصل اليسوعي •

« وهي تكتشف اليوم ، بعد فوات الاوان ، انها في حربها الطويلة ، مع اليهودية ، كانت تحارب بسلاح الخصم •• لا بسلاحها •

« ولذا خسرت» (٥٦) •

تُرى أين الخطأ ؟ وأين الصواب ؟

القوميات بعضها يحارب بعضا • والكونيات أيضا بعضها يحارب بعضا • فأين وجه الغرابة ؟ بل الغرابة أن لا يكون هنالك صراع ومتصارعون •

لكل عصر نزاعاته وتحالفاته ودسائسه ومؤامراته •

فريق يربح وفريق يخسر • أمة تتوسع وأمة تتراجع • قومية تزدهر وتتعاظم فتتمدد ما استطاعت الى ذلك سبيلا، وقومية تتضاءل وتنحسر حتى درجة الزوال ربما • وقد دل التاريخ على انقراض غير أمة وغير قومية • وفي كل

(٥٦) قيامة السامية : ص ٤٠-٤١

الاحوال ، فان المصالح الامية والقومية والاقليمية اذا ما اصطدمت أو تنافرت ، صنعت حربا وجحيما • واذا ما اتفقت أو تفاهمت صنعت سلاحا ونعيما • ولا أظن أن احدا غير يهودي يريد لأوروبا مثلا أن تتهود ، كما لا أظن أن كل اليهود يرغبون في أن يبقوا شوكة في عين الكنيسة أو الاسلام أو غيرهما • واذ فكّر ماركس « اليهودي » في ايجاد حل انساني عقلاني للمعضلة اليهودية،عبر الاشتراكية الشيوعية أو الامية الالحادية ، فانما فكّر أيضا في اسعاد اليهود وسائر الشعوب • ولكن هل سمحت وتسمح المصالح الدولية وغير الدولية بذلك ؟

مرة أخرى ، نقول ، ونكرر القول بأن العالم ليس مادة فحسب ، ولا هو روح فحسب • العالم مادة وروح معا • فلا المادة تلغي الروح ، ولا الروح تستغني عن المادة•

تبقى المسألة الكبرى : هل يوجد توازن بين المادة والروح ؟ واذا ما وُجد هذا التوازن فهل يستمر ؟ والى متى ؟ أم ان النزاع بينهما هو الدائم أبدا واللامحدود ؟

ويتابع الاستاذ سلمان جَلْد الوجه اليهودي الآخر، بدون رحمة ولا شفقة ، متجاهلا ان « سوطه »المثلث الاطراف انما يجلد وجوها أخرى ، بعضها مشرق وعزيز، وبعضها مظلوم ومغبون •

تقول المخطوطة الخامسة : « حرب المعرفة الفاصلة »:

« حين اختُرعت المطبعة ، وهي أعظم ثورة حضارية انسانية ، لانها تعتق المعرفة من احتكار القلة ، وتعيدها الى الحق العام ، وتسرّع في تطور الانسان والكون ، تصدّت لها الكنيسة بالقوة • وكانت غلطة انتحارية •

« اذ ، سارعت اليهودية الى تبني الثورة الطباعية ، ثم الى توظيفها في اتجاهين رئيسيين :

«الاول، محاربة الكنيسة الكاثوليكية بالسلاح الذي تخشاه ، أي بنشر العلم والفلسفة • وبنشر كل فكر ثوري أو رافض أو مقاوم ينال من مصداقية الكنيسة ، وخاصة من وحدتها ، أو من حلفائها وشركائها في سلطات الحكم الزمنية • وهي سلطات استعبادية ألوهية الادّعاء •

« وقد أدى هذا الفعل الاول الى تقسيم الكنيسة الغربية، وقيام المذاهب الكثيرة المتلاحقة داخل «الفدراليتين» الكبيرتين : الكاثوليكية والبروتستانتية » •

أضافت المخطوطة الخامسة :

« الثاني ، تطوير الصناعة الطباعية ، واستثمارها تجاريا كذلك ، والسيطرة على عقول الجماهير ، وفي العالم أجمع •

« فكانت ولادة الحضارة الاعلامية ، حضارة اليوم •

« وما يزال عرّابها الاول : الذكاء اليهودي •

« وما تزال ضحيتها الدائمة : الكاثوليكية المنافسة » (٥٧) •

وتقول المخطوطة السابعة : « اليهودانية في أساس الامبراطورية العظمى » :

« منذ البدء ، قاومت الجزيرة البريطانية ، وريثة حضارات الشمال، كنيسة روما وتصدّت لغزو الكاثوليكية •

« منذ قيام البروتستانتية ، الخصم الديني الجديد للكاثوليكية ، اتخذتها انكلترا دينا ملكيا لها ، ووقفت بها في وجه روما وحلفائها •

« عزلة الجزيرة عن أوروبا الارضية ، وطبيعتها البحرية ، طوّرت لدى الانكليز عبقرية البحار ، والغزو •

« وجدت اليهودانية الاوروبية في الواقع البريطاني حليفا طبيعيا لحروبها مع الكنيسة الرومانية ومع القوميات

---

(٥٧) المصدر نفسه : ص ٤٤

الكاثوليكية ، ومنفـذا مثاليا وقادرا لمشاريـع الغزو في طموحاتها الخفية » .

أضافت :

« ابتكرت (اليهودانيـة) أعظم تحالف استعماري سري في تاريخ الغرب ، شغل الدنيا ، وروّضها ،واستثمر شعوبها وخيراتها طيلة قرون .

« قدّم الانكليز طاقاتهم البحرية والقتالية ، وهوية الدولة وغطاءها .

« قـدّم اليهـود المال والخبرة في اكتشاف مناطق الثروات السهلة في العالم والتعامل معها .

« وهكذا أسّس التحالف السري ، بهويته البريطانية المعلنة ، وطاقاته اليهودية الخفية ، الامبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس » .

وتقول المخطوطة السابعة أيضا:

« وهكذا تأسس أيضا ، في انكلترا ، أول مصنـع في التاريخ لتصدير الافكـار والعقائـد ، وهي السلاح الاقـوى . وكـان أشهرهـا : الشيوعية الـلاقوميـة

اللاكاثوليكية ، وقد هندسها اليهودي ماركس في المصنع اللندني . وقبلها ، الماسونية التي تسجلت ولادتها الثانية في العاصمة البروتستانتية الكبرى » (٥٨) .

يفهم مما تقدم ان اليهودانية لا تصطاد الا في الماء العكر. فلماذا نطالب ، اذن ، برجوع هذه اليهودانية الى المشرق؟ أليس في الشرق ماء عكر وأوحال لزجة؟ حتى ان الصحراء ، وان لم تكن ذات ماء، فرمالها متحركة أيضا، ولا أحسب أن اليهودانية ستنجح في مهمتها ، ولو هي نجحت فلن تقف عند حد ما ، بل ستتوغل أكثر فـأكثر ، وهناك ستتكرر الكارثة ــ المأساة ، وسيتكرر الشتات !

ماذا بقي من الامبراطورية البريطانية ؟

لقد غابت عنها الشمس .. أليس كذلك ؟

في لندن ــ الضباب ، اليوم ، قلق عظيم يخفي شعورا كبيرا بالخطأ العظيم .

الافكار التي انبثقت من بلاد الضباب ، هي في معظمها تصحيحية ولا شك ، كانت تهدف الى « أنسنة » الصياد القذر والدولة المتكبرة .

---

(٥٨) نفسه : ص ٥٢/٥١

هل الافكار اللندنية حققت أهدافها هذه أو بعضا منها؟

أجل ، والدليل على نجاحها هو ان العالم الذي فصَّلت اليهودية والامبراطورية البريطانية من جلده أحذية وحقائب ، انتفض ، ذات يوم شديد الحرارة ، فطرد الملكة والصياد ، مستعملا أبسط « الاسلحة » ومنها الاحذية البريطانية التي كانت تملأ أسواق العالم الثالث . وهكذا انتهى العصر الكولونيالي السقيم ، من دون أن تشفع له اليهودية ذات الطاقات « الخارقة » .

وجاء العصر الاميركي . وان شئت فقل العصر الاميركي — اليهودي . ومرة أخرى أكد العالم الثالث رفضه الظلم والقهر والتسلط والاستغلال .

ان عظمة الانسانية تتجسد في استيعابها كل الامور، وكل القضايا ، العامة والخاصة . فهي أكبر من اليهودانية والشيوعية والرأسمالية،وأكبر أيضا من الاديان والمؤسسات الدينية .

من الانسانية تنبثق الثورات والحركات التصحيحية، ومن الانسانية أيضا تولد الاديان والرسالات العظيمة. فالحاكم والمحاكَم ، والثائر والمتقاعس ، والصياد القذر ، والذي يحرّم الصيد ، كلّهم انسانيون في شكل أو آخر. حتى ان الذي لا يأكل الا الحرام يحمل في ضميره بعض

الانسانية . فلماذا لا نحكم على الاحداث من دون أن نغتال الواقع والذاتية القومية والوطنية ؟ لماذا لا نرى الى النيات الا بعين واحدة ؟ لماذا هذا الاصرار على اغتيال انسانيتنا؟ لماذا التمسك بالنظرية الواهية القائلة بأن اليهود هم من وراء كل سوء ؟

نقرأ في المخطوطة الثامنة : « الثورتان ، الفرنسية والاشتراكية » ما يلي :

« تصدّت اليهودانية ، بواسطة الثورة الفرنسية ، للكنيسة ، فأبعدتها . وتصدّت للحكم الملكي الحصري فكسرته . وختمت الباب التاريخي لمشاركتها المباشرة في الحكم والسلطة .

وحين قاومت الكنيسة ، بواسطة القوميات ، وجعلت منها حواجز مانعة في وجه الغزو اليهودي ، ردّت اليهودانية بالماركسية . فضربت ، بالثورة الالحادية اللاقومية ، ومن الكنيسة ، بالذات ، وضربت معه القومية المتحالفة » (٥٩) .

ونقرأ في المخطوطة التاسعة : « حقيقة نابوليون ،بعد الاسطورة » :

---

(٥٩) نفسه : ص ٥٣

« لعلّ المغامر الكورسيكي (نابوليون)،الاسطوري، الذي أقام قوس نصره في قلب باريس بعد أن حوّله الى نجمة داودية ، مات من دون أن يعرف انه كان قد اختير ، في الاصل ليحارب الكاثوليكية الرومانية والقوميات اللاسامية • وأن روسيا الارثوذكسية ، وبريطانيا البروتستانتية ، لم تكونا في لائحة المهمات الموكولة اليه• فهما حليفتان دائمتان في مقاومة روما » (٦٠) •

وعلى هذا النمط واصل الاستاذ فريد سلمان قراءة بعض الاحداث العالمية •• حتى المخطوطة الخامسة والعشرين ، التي عنوانها « القيامة الساميّة والمشرق المقبل » •

حريّ بنا أن نذكّر الاستاذ سلمان بأن الثلج الروسي العنيد انما هو محطّم القائد الفولاذي ، الذي قيل عنه « انه هبط مرة ، على فرنسا •• (فكان متفوقا) (و) بامكانه التفكير في سبعة شؤون في آن واحد » (٦١) • كما ولن ننسى تلك الحالة البائسة التي انتهت اليها مغامرة نابليون التوسعية في الشرق،بعدما خدع المصريين وضلّلهم•

لن نستعرض ، بعد ، أحداثا واضطرابات حلّلها الاستاذ سلمان في « المختبر اليهودي الغولدماني » •

(٦٠) نفسه ص ٦٢
(٦١) نفسه : ص ٦٣

ولكننا لن نهمل قصة اغتيال الرئيس المصري أنور السادات، التي سها عنها المؤلف ، حينما حلّل ، في المخطوطة الرابعة والعشرين مسألة« العروبية المعاصرة بين السامية والفرعونية» (من ص ١٥١ الى ص ١٥٦) ، عسى أن لا يكون أكثر من مجرد سهو ،مع انه (المؤلف) عمل مسْحاً شاملا ــ تقريبا ــ على أولئك الذين اغتيلوا أو ماتوا في ظروف غامضة ، من الملوك والرؤساء العالميين • والذي جعلني استغرب حتى هذا السهو هو ان الاستاذ سلمان يبصر ، في الخفاء والعتمة الشديدين ، الاصبع الصهيوني يضغط على الزناد لقتل هذا الزعيم أو ذاك ، بينما لم يبصر الاصولية الاسلامية السلفية التي ترى « ان اراقة دماء غير الموثوق فيهم هي امر مستحب من قبل الله » ، وتصرع في وضح النهار، الرئيس المصري العتيد (٦٢) !

نحن لا نسعى ، طبعا ، الى تبرئة الصهيونية ونفي

(٦٢) كتابنا « جزيرة الكلمات » طبعة ١٩٨٢ ،انظر رسالتنا الى الوزيرة السورية الدكتورة نجاح العطار . ويجب التذكير بكتاب « خريف الغضب » (قصة بداية ونهاية عصر أنور السادات) للكاتب الاجتماعي محمد حسنين هيكل ،بيروت ١٩٨٣ ، وبكتاب « هدى الطريق » للمرحوم سيد قطب . وهنالك أيضا دراسة عن الروسية عنوانها « التطرف الديني في مصر » كتبها ي. ل. تيغين و أ. أ. فيلونيك وعربها ايليا انطون ، نشرت في « السفير » ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ /٢/ ١٩٨٧، وهي موضوعية ودقيقة ومفيدة .

التهمة عنها ، كما لا نجدّ في تنظيف سجلها العدلي من الجرائم المثبتة فيه والتي لم تكن من ورائها كلها • ولكننا لا نريد أن نسلّم بأن العالم غبي الى هذا الحد • وما يهمنا تأكيده هو ان المشاعر الوطنية والدينية والقومية ، لدى الامم والشعوب ، ومعها الاطباع الشخصية والمطامح الفردية ، كانت وستبقى هي الفاعلة والموجهة مهما نازعتها الظروف والعوامل المغايرة الكثيرة والخطيرة •

أيضا وأيضا ، ليس العالم أعوادا من الثقاب • فلماذا نشتهي أن نرى العالم يحترق هكذا ؟

صحيح ان « هذا العالم ليس عقلا » على قول عبدالله القصيمي • ولكن الصحيح أيضا هو أن هذا العالم ليس قلبا فحسب • ان هذا العالم وكل عالم هو عقل وقلب ، جسد ونفس • ولكي نبحث عن الخطأ لا بد لنا من البحث عن الصواب ، الذي وحده الدليل الى ما نرمي ونهدف • وفي كل الاحوال ، عندما نخطّىء اليهود ـ الصهاينة دون سواهم ، ونحمّلهم رزايا العالم ومفاسده ، فكأنما نعرّي الانسانية من استعداداتها الطبيعية الهائلة على الحب والكره والخير والشر والأخذ والعطاء • وأخشى ما أخشاه أن يكون الاستاذ سلمان ينظر الى العالم كأنه قطيع غنم واليهود بمثابة الراعي المزاجي واللئيم الذي يحمل العصا بيد والسكين بيد أخرى •

القصة اللبنانية

تبقى « القصة اللبنانية » ، وهي ضمن المخطوطتين الاخيرتين : « روما وآثينا في لبنان الموارنة والدروز » ، و « الثورة التصحيحية » • ولن نناقش ما فيهما من آراء ومطارحات ، على أهميتها ، وانما سنكتفي بالعرض لها ، ولو بشكل يسير ، على أمل أن يتم نشر المجموعة الكاملة المتعلقة بلبنان و« الجاهزة للنشر »، لاحقا باسم « القصة اللبنانية »[٦٣] كما وعدَنا الاستاذ سلمان نفسه • فهي على قوله « مجموعة تروي وقائع كثيرة ومخفيات مدهشة ، وتكشف حقائق تاريخية وسياسية وخيانية ، قديمة وحديثة ، أدّت الى انفجار الكارثة على أرض لبنان • كما تروي مفاهيم منسيّة عن المحيط الاسلامي ، والشيعة المعاصرة ، وعن المسيحيات الانطاكية • وبها يكتمل نشر المحتويات المعرّبة لحقيبة المخطوطات »[٦٤] التي حملها اليه ذات ليلة سوداء ، الرسول الميت والمجهول حسبا ونسبا •

قدر غربي في المشرق الاسمر

استعدادا للانضمام الى مشرق السامية العائدة ، في مطلع القرن الحادي والعشرين (؟!) يدعو الاستاذ سلمان ،

(٦٣) قيامة السامية : ص ١٦٤
(٦٤) قيامة السامية : ص ١٦٤

بالحاح منقطع نظيره ، الى « اللبنـان الاساس » (٦٥) ، و « وطن التحالف الماروني الدرزي » ، الذي « بلغ ذروته في عهد فخر الدين ، امير القرن السابع عشر » (٦٦) • هذا « اللبنان » هو عنده « غير اللبنان الاسطوري الالفي الذي يعشق بعضهم (سعيد عقل ومي مر وسواهما) التـذكر بفينيقيته ، والتكني بها » (٦٧) ، و « غير لبنان العربي أو الاسلامي » الذي يتصارع عليه المتصارعون ، وما أكثرهم!

أية مارونية ؟ وأية دروزية ؟

لقد « رَوْمن » الاستاذ سلمان الموارنة ، و«أثّن» الدروز ، فكشف القناع عن « صيغة سنة ١٩٤٣ المارونية ـ الاسلامية السنّية ، التي هي أصل القضية اللبنانية »(٦٨)، وكشف أيضا عن الوجه « الأرسلاني العربي » (٦٩)، والوجه « الجنبلاطي الكردي » (٧٠) ، مؤكـدا على حاجة لبنان المستقبل الى « لبنان كبير ، رؤيوي عنيد ، مدرك ارثـه وقدره،ويجمع في ذاته الواحدة الدروزية والمارونية ، في مفهوم الحاجة والضرورة للحتمية الاستقلالية ، وينفتح على

---

(٦٥) نفسه : ص ١٦٨
(٦٦) نفسه : ص ١٦٦
(٦٧) نفسه : ص ١٦٦
(٦٨) نفسه : ص ١٧٢
(٦٩) نفسه : ص ١٧١
(٧٠) نفسه : ص ١٧١

الآخرين • وعلى المستقبل • ليولّد اللبنان المنطقي في الشرق المتجدد » (٧١) •

أما كيف « رَوْمن » الموارنة ، و « أثّن » الدروز، فاليك بيانه التحليلي الذي قد لا يكون مستقلا عن الارادة « الغولدمانية » ، وما عليك الا أن تدعـو « بالتسهيل » و « التوفيق » و « العزّة » و « الكرامة » •

١ ـ المارونية :

يقول البيان السلماني :

« فالمارونيـة اللبنانية المعاصرة ، وتقودها السياسة المخضرمـة لا الفكر ، تقـوم على ادعـاء تمثيل جميـع المسيحيـات المشرقية باسم حمايـة الاقليـات في الشرق الاسلامي • ولكن المارونية المعاصرة نسيت انها ،في هذا المشرق بالذات،أصبحت تمثل الحضور الروماني الكاثوليكي في أرض الاسلام والمسيحية المشرقية • وذلـك منـذ أن تحالفت المارونية الاولية مع روما وتحوّلت ، منذ القرن السابع ، من مشرقية الى مغربية • فرفعت البابوية عنهـا الغضب والحرمان لتتبنّاها ، وتقوّيها ، وتعتبرها رسولا لها ، مشرقي الملامح ، في داخل الشرق المتمرد على كنيسة بولس الرومانية » •

---

(٧١) نفسه : ص ١٧٣

أضاف :

« ولذافقد حاربتها الكنائس المشرقية وحملت شعبها القليل على اللجوء ، من الخصب السوري ، الى جبال لبنان الفقيرة ولكن المنيعة •

ولم يهرب الموارنة الاوائل من الاسلام » •

ويتابع قائلا :

« ان هذه المارونية بالذات ، وهي اذن شرقية المولد رومانية المهمات ، لا يمكن أن تحالف ، في مصالحها المستقبلية وفي طموحاتها الاستقلالية ، أية طائفة مسيحية مشرقية أخرى •

« لان الطوائف المسيحية المشرقية الاخرى كانت على خير وفاق مع الاسلام ، تشارك في الحكم وفي المغانم • وتنعم بالحرية الكاملة • ولا تسعى الى استقلالية وطن بأي ثمن » (٧٢) •

وكمن لا يعترف بما استجد ، خلال نصف قرن على الاقل ، من تغييرات في السياسات والافكار والعلوم والاقتصاديات ، يقول الاستاذ سلمان ، الذي لم يحدد لنا أصله ومصدره قبل الدروزية (؟) ما يلي :

«فالمارونية هذه ، اذن امتداد لروما في المشرق السامي •

---

(٧٢) نفسه : ص ١٦٦

انها قاعدة الغرب في الشرق • كما ان الدرزية ، حليفتها في صنع لبنان ــ الوطن ، قاعدة ثانية للغرب في هذا الشرق •

ولذا فقد تحالفتا » (٧٣)

ب ـ الدروزية

ان الجرأة البارزة في التحليل البياني للمسألة الدرزية ، هي ، حسب رأينا ، جديرة بالدرس والاعتبار ، وان كنا لا نوافقه في بعض آرائه ، وقد قال :

« لان المارونية والدروزية تمثلان، وحدهما ، النزعة الاستقلالية القومية ذاتها ، بفضل تواجدهما في لبنان • فهذه الاستقلالية هروب من الكثرة الاسلامية ، بالنسبة للدروز • وهي بالنسبة للموارنة ، هروب من الكثرة المسيحية المشرقية ، صديقة الاسلام ، أكثر مما كانت في بدئها ، هروبا من الاسلام نفسه •

«وهذا ما تتجاهله أيضا الدروزية السياسية المعاصرة، مثلما يجهله الادراك الدرزي الشعبي » •

وقال :

« فالدروزية ، في ممارسة عقيدتها الباطنية ، حصيلة

---

(٧٣) نفسه : ص ١٦٦/١٦٧

مفجعة من الجهل والتجهيل والتناقص وسوء الفهم والانتحار .

« فالعقيدة الدروزية ، في حقيقتها ، ترفض الدين والايمان المطلق ، وتعلّم العقل والحرية المطلقة . تحمل الى المشرق السامي فكر آثينا . تقيم ، في الشرق ، قاعدة للغرب . تواجه نبي الصحراء بسقراط . تواجه الإله النهائي بالعقل التصاعدي . تقاوم الاسلام ، دينا ودولة . وتنكر نبيّه وتعاليمه وفروضه . ويقاومها الاسلام بالتكفير وبالقتل .

فتصبح ، هكذا ، بشعبها الخائف المتخفي ، أقلية استقلالية تبحث عن وطن آمن ودائم » (٧٤) .

بعد هذا التحليل للمارونية والدروزية ، يستنتج الاستاذ سلمان الآتي :

« وعليه ، فان الدروزية ، والمارونية ، هما الاقليتان الحقيقيتان ، الوحيدتان ، في مجموعة الشخصيات الطائفية المشرقية .

ولذا ، تواحدتا في بناء لبنان الوطن . وطن الحاجة والضرورة .

ولذا ، فان تباعدهما يهدد هذا اللبنان الوطن . وافتراقهما النهائي ، اذا وقع ، يلغيه نهائيا .

---

(٧٤) المصدر نفسه : ص ١٦٨

«فالمارونية والدروزية قدر غربي الملامح في المشرق الاسمر » (٧٥) .

وهنا يتساءل الاستاذ سلمان قائلا :

« روما ، وآثينا ، تستمران في لبنان فخر الدين،وطن الموارنة والدروز .

« فهل يستمر هذا اللبنان ـ الاساس بالذات ، في مشرق السامية العائدة ؟ وهي سامية اليهودية والمسيحية المشرقية والاسلام ؟ » (٧٦)

ولربما كان أفضل تفسير للدروزية، في رأينا، ما سمعته من المحامي الشيخ فريد حماده (٥٧ سنة) (٧٧) في لقاء معه في منزله بالزلقا ـ المتن ، يوم الرابع من كانون الثاني ١٩٨٧ ، اذ سألته : كيف تحدّد

---

(٧٥) المصدر نفسه .
(٧٦) المصدر نفسه
(٧٧) هو ابن شيخ عقل الدروز السابق الشيخ رشيد حسين حماده ، الذي اشتهر بعلمه ووطنيته وتقواه. ويعتبر الشيخ فريد الخصم التقليدي للسياسة الجنبلاطية في الشوف. ترك بلدته بعقلين على اثر اعتداء وقع على منزله هناك حينما كان شيوخ دين يمارسون شعائرهم الدينية في الخلوة الكائنة بالمنزل عينه ، وقد أسفر هذا الاعتداء آنذاك عن سقوط بعض القتلى . دعا الى تأسيس « تجمع الدروز الاحرار » بمشاركة شخصيات درزية تتمتع بروح وطنية عالية .

دروزيتك؟فقال:« أنا درزي عربي لبناني يزبكي . امارس وأنفّذ الدرزيــة الاجتماعيــة : الوفاء للصديق والجار والقريب والحليف . الدفاع عن الشرف والعرض والارض والحق العــام . التواضع مــع التمسك بحقي وحريتي وعاداتي . وعربي من حيث الانتماء القومي . ولبناني في انفتاحي على كل من ليس درزيا ، لبنانيا كان أو عربيا او أجنبيــا . أؤمن باستقلال لبنان وسيادته ، لانني أؤمــن بالتعايش والتفاهم بين جميع اللبنانيين . ويزبكي العنفوان والرفض والنضال . على ان صورة الشيخ أمين حمــاده وهو يصفع المستشار الفرنسي بالكف على درج سرايا بعقلين عــام ١٩٢٠ هي ، بالنسبة الي ، بمثابة الحِرْز الحــافظ لكياننا وشخصيتنا ورسالتنا » .

أما محنة لبنان فهي انه لا يستطيع أن يكون مشرقيا صافيا ، ولا غربيا صافيا . كل القواعد الغربية في الشرق ضُربت ماضيا ، وتُضرب حاضرا ، وستُضرب مستقبلا .

لماذا ؟

لانّ الغرب يريد مشرقا على مزاجه وهواه ، والشرق يريد غربا على مستواه الروحي والمادي . وهذا هو سر فشل التحالف الماروني ــ الدرزي ، الــذي يطالب باحيــائه الاستاذ سلمان .

ماذا ستقدّم « السامية » للبنان اذا قامت ؟

ربما لن تقدم له شيئا يستحق ذكره .

ولكن الثابت ، هو ان لبنان ، في عهد « السامية »، لــن يكــون « الا حــارسا لأورشليم الارث والــرمز والخلود » (٧٨) ،وهذا هو أقصى ما يرجوه الاستاذ سلمان نفسه .

ما أتعسنا إذاً ؟!

نلأم جرحا لنفتح جرحا جديدا أعمق وأخطر !!

حراس أورشليم ؟!

كنت أحسب أن لبنان الاستاذ سلمان سيأتينا متطورا عن لبنان التحالفات الواهية ، لبنان فخر الدين ، الذي هو أيضا كان حارس المصالح الايطالية عندنا ومن قبلها المصالح العثمانية ! ولكن الحساب لم يطابق ما قرأت .. فقلت : أصلحَ العقلُ شأننا . أين كنا ؟ وأين أصبحنا ؟

لنتذكرْ جميعا ما الذي حدث لفخر الدين ، عندمــا انشغلت توسكانــا عن امارته .. لبنــان .. الوطن .. التحالف الدروزي ــ الماروني !..

ولنتذكرْ أيضا ان لبنان هو لكل المسيحيين اللبنانيين وكل المسلمين اللبنانيين ومن ليس مسيحيا ولا مسلما .

لقد « أسقطه العثمانيون (المسلمون) ، بموافقــة الغرب (الروماني ــ الآثيني) المساوم » (٧٩) على قــول الاستاذ سلمان نفسه .

---

(٧٨) المصدر نفسه : ص ١٧٤

(٧٩) المصدر نفسه : ص ١٧٠

في الحقيقة ان لبنان فخر الدين هو تجربة ـ اختبار ، نجحت عندما شاء لها الغرب أن تنجح ـ نسبيا طبعا ـ وفشلت فشلا ذريعا طبعا ، عندما تخلّى عنها الغرب كرمى عيني السلطان حارس الثغور والممرات ، والذي سبق له أن عيّن فخر الدين نفسه واليا لا على جبال لبنان فحسب، بل وعلى المناطق الساحلية التابعة له وكذلك على قسم كبير من سوريا وفلسطين ، لانه قام بدفع جزية ضخمة للخزينة العثمانية ارضاء للسلطان في بادىء الامر [٨٠] .

وفي الحقيقة أيضا ، ان الاستاذ سلمان يعرف تماما أن حراس المدن والملوك والرؤساء هم أول من تطالهم العواصف التغييرية ، اذا ما وقعت ، بالتطهير والعقاب ،كلاً حسب موقعه ومسؤولياته . ويعلم أيضا أن هؤلاء (الحراس) ، كبروا أو صغروا ، انما هم شهود زور على ما يحدث غالبا في القصور،من تفاهات وتجاوزات ودسائس ومؤامرات ، فضلا عن الفساد والانحطاط وما يرافقهما من مآسٍ ونكبات نفسية وعقلية وخلقية .

فلماذا لا تفكّر في بناء وطن لكل اللبنانيين ، يكون سيّدا لا حارسا ، ومستقلا لا تابعا ، وموحّدا لا مجزّءاً، ودولةذات كرامة وعنفوان، لا قاعدة لهذه الدولة أو تلك؟!

---

(٨٠) لوتسكي : تاريخ الاقطار العربية الحديثة ، ص ٣٥/ ٣٦

الفصل الثالث

الدّولة المهدويّة حُلْمُ الشيعة الأكبر

"ان الكعبة المعظّمة هي المركز الوحيد لتحطيم الأصنام والتي أُعلن خليل الله ابراهيم (ع) منها نداء التوحيد في اول الزمان ومن ثمّ حبيب الله محمّد (ص)، وسيصْدح به ابنه العزيز المهدي الموعود روحي فداه في آخر الزمان"

الإمام الخميني

مجلة "المنطلق" الصادرة عن الاتحاد اللبناني للطلبة المسلمين العدد الثاني والعشرون، محرم ١٤٠٣هـ تشرين الثاني ١٩٨٢م ، ص ٥

تمهيد

منـذ مصرع الإمـام الحسين بن علي بن أبي طالب (٦١ هـ / ٦٨٠ م) والشيعة على السطوح ، وقد أقسموا ألاّ ينزلوا حتى يظهر الامام المستتر والمنتظَر ، محمـد المهدي ، فيثأر للمظلوم من ظالمه ، ويردع الظالم عن ظلمه، الى أن تمتلىء الارض قسطا وعدلا بعدما ملئت جـوراً وظلما [1] .

---

(١) بهذه الكلمات حدّد العلامة الحلي (الحسن بن يوسف ابن علي مطهر الحلي : ٦٤٧ ــ ٧٢٦ هـ / ١٢٥٠ ــ ١٣٢٥ م)، وظيفة الامام بعد أن عرّفها بأنها « رئاسة عالمية في الامـور الدينية والدنيوية تلقى على عاتق شخص نيابة عن النبي ». وعن الحلي هذا أخذ علماء الشيعة وفقهاؤهم وكتّابهم ، وقلّما استغنى كاتب شيعي عن مصنفات الحلي الكثيرة في الاصول والفقه والمناظرة والتفسير والفلسفة والحديث . (انظر كتابنا « نحن وصنمية التاريخ » طبعة ١٩٨٦ــالفصل السابع من الباب الرابع ، وعنوان الفصل : « الامامة بين الطوسي والحلي والقوشجي » من ص ٤٦٦ الى ص ٤٨٦).

وإذ ظن الشيعة انهم سيمكثون على هذه الحال طويلا ، تمسّكوا بالراية السوداء والسيف ، واستعانوا بالشّعر على العزلة والوحدة ، فاذا هم في غمّ وهمّ دائمين ، ويحلو لهم أن يروا الناس يتفرجون عليهم ولو من مكان قصي . فالحياة ، بالنسبة اليهم ، مسرحية ، بدايتها بكاء ، ونهايتها لطْم وندْب .

الادلة الالهية

وبسبب تراكم السنين والانكسارات ، أصيب الشيعة بما يُدعى « حساسات الحيا » ، وهي كناية عن الشعور بالانقباض عن المنكرات والخجل من المخزيات ، وبات الرفض للرفض هو نهجهم وسبيلهم الى حياة شيعية إمامية اثني عشرية ، ولا يُعدّ شيعيا من يُظهر ميلا الى الهدوء والتعقل والمصالحة . فكل الادلة الشرعية تفرض مذهب أهل البيت (الأئمة) ، ولا دليل على الاخذ بمذاهب سواهم ، أو كما جاء في رد السيد عبد الحسين شرف الدين (٢) ، على سؤال وجّهه اليه الشيخ سليم البشْري

---

(٢) هو عبد الحسين بن يوسف بن شرف الدين العاملي الموسوي (١٢٩٠ – ١٣٧٧ هـ / ١٨٧٣ – ١٩٥٧ م) : فقيه إمامي،له اشتغال بالحديث ومشاركة في الحركات السياسية الوطنية ببلاد الشام . ولد في شحور (قضاء صور) (جبل عامل) وتعلم بالنجف . وأقام في صور . وناوأ الفرنسيين لما احتلوا لبنان ، فآذوه ، فرحل الى سورية وفلسطين . ثم =

المالكي (٣) ، شيخ الجامع الازهر ، حيث يقول شرف الدين:

« إنّ تعبّدنا (يقصد الشيعة) في الاصول بغير المذهب الاشعري (٤) وفي الفروع بغير المذاهب

عاد الى صور (١٣٣٩ هـ) وزار العراق وإيران (١٣٥٥ – ١٣٥٦ هـ) ومصر . وتوفي بصور ودفن في النجف . من مؤلفاته المطبوعة : « المراجعات » ترجم الى الفارسية والأردية ، و « الفصول المهمة في تأليف الامة » و « ثبت الاثبات في سلسلة الرواة » و « الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء » ومؤلفه « الشيعة في صدر الاسلام » نشر بعضه في مجلة العرفان ، و « زكاة الاخلاق » نشرت فصول منه في العرفان . وللمعاصر (القاضي) الشيخ عبد الحميد الحر، كتاب « الامام السيد عبد الحسين شرف الدين » في سيرته . وكان يؤخذ عليه إباحته للعوام ضرب أجسامهم بالسيوف والسلاسل في ذكرى سيد الشهداء الحسين (الاعلام للزركلي ، دار العلم للملايين ، المجلد الثالث : ص ٢٧٩) .

(٣) هو سليم بن أبي فراج بن سليم بن أبي فراج البشري (١٢٨٤ – ١٣٣٥ هـ / ١٨٦٧ – ١٩١٧ م) شيخ الجامع الازهر . من فقهاء المالكية . ولد في محلة بشر (من أعمال شبرخيت – بمصر) وتعلّم وعلّم في الازهر . وتولى نقابة المالكية ، ثم مشيخة الازهر مرتين (١٨٩٩ – ١٩٠٩) بالقاهرة . كان من اكبر المناهضين لجمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده . له مؤلفات كثيرة منها : « المقامات السنية في الرد على القادح في البعثة النبوية – خ » ، كراس واحد . يقول الزركلي : « رأيته في خزانة الرباط =

الاربعة (٥) لم يكن لتحزّب أو تعصّب . ولا للريب في اجتهاد أئمة تلك المذاهب ، ولا لعدم عدالتهم وأمانتهم ونزاهتهم وجلالتهم علما وعملا » .

(٢٣٨٩ كتابي) . توفي بالقاهرة ، ودفن بقرافة السيدة نفيسة ، بمدافن السادة المالكية » (الاعلام ، المجلد الثالث: ص ١١٩) و « الموسوعة العربية الميسرة » ،دار نهضة لبنان، طبعة ١٩٨٠ ، المجلد الاول ص ٣٧٤ .

(٤) المذهب الأشعري ، أو الاشعرية : نسبة الى ابي الحسن الاشعري (٨٧٣ – ٩٤١ م) مؤسس المذهب الكلامي الاسلامي الذي ينسب اليه ويعرف باسمه ، وأصبح اسم الاشعرية علما على الفرقة التي تعتنق ذلك المذهب ، وتعارض به مذهب المعتزلة ومذاهب الفرق الاخرى التي ترمى بالزيغ والضلال، على حين أصبح مذهب الاشعري مذهبا لاهل السنة واصحاب الحديث ولا سيما الشافعية منهم . والاشعرية هم تلاميذ الاشعري الذين تخرجوا عليه ، وغيرهم ممن جاء بعده وذهب مذهبه : انتشروا بمختلف البلاد الاسلامية ومنهم الباقلاني وابن فورك والأسفراييني والقشيري والجويني إمام الحرمين والغزالي . والاشعرية وان كانوا يذهبون مذهب إمامهم في ان العقل يستطيع ادراك وجود الله الا انه ليس للعقل عندهم ما له من شأن عند المعتزلة، فهو لا يوجب شيئا من المعارف، ولا يقتضي تحسينا ولا تقبيحا ، ولا يوجب على الله رعاية لمصالح العباد ، والواجبات كلها واجبة بالسمع « ومعرفة الله بالعقل تحصل وبالسمع تجب » (الموسوعة العربية الميسرة، المجلد الاول ص ١٦٦) .

(٥) يعني بالمذاهب الاربعة : الشافعي والمالكي والحنفي والحنبلي .

أضاف :

« ولكن الادلة الشرعية أخذت بأعناقنا الى الاخذ بمذهب الائمة من أهل بيت النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة ، ومهبط الوحي والتنزيل ، فانقطعنا اليهم في فروع الدين وعقائده ، وأصول الفقه وقواعده ،ومعارف السنّة والكتاب ، وعلوم الاخلاق والسلوك والآداب ، نزولا على حكم الادلة والبراهين ، وتعبّدا بسنّة سيد النبيين والمرسلين ، صلى الله عليه وآله وعليهم أجمعين» .

ويقول أيضا :

« ولو سمحت لنا الادلة بمخالفة الائمة من آل محمد، أو تمكنّا من تحصيل نية القربة لله سبحانه في مقام العمل على مذهب غيرهم ، لقصصْنا أثر الجمهور ، وقفوْنا إثرهم ، تأكيدا لعقد الولاء ، وتوثيقا لعرى الاخاء ،، لكنها الادلة القطعية تقطع على المؤمن وجهته ، وتحوّل بينه وبين ما يروم » (٦) .

الواضح ، اذن ، ان الشيعة لم ولن يفكروا في الرجوع الى الجمهور ، بل يطلبون ، من الناس كافة، والمسلمين خاصة ، أن يبدلوا أدلتهم « البشرية » بالادلة

---

(٦) عبد الحسين شرف الدين : المراجعات ، مؤسسة الوفاء – بيروت ، الطبعة الواحدة والعشرون ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨٠ م. ص ٤٠ .

« الإلهية » ، ويعملوا مثلهم اذا كانوا ينشدون «الشفاعة» و « الخلاص » • لان الجماعة والأمة لا يمكنها اختيار إمامها ، ما دامت الإمامة « سلطة من الله ورسوله » ، وكل إمام يعيِّن خلَفه ، باعتبار الامام هو « أفضل الناس اطلاقا » و « أعلمهم » و « أورعهم » و « اتقاهم » و « معصوم » و « منزَّه عن الخطأ » و « أهل لان يتّقوه » ؟!

لا يُعير الشيعةُ أسبابَ التفرقة والتباين بين شعب وشعب ، وقطر وقطر ، أي اهتمام ، الا من خلال الولاء لاهل البيت • وهم يحسبون أنفسهم ، مهما تباعدوا وتناءوا ، ابناء أسرة واحدة ، اسمها : المهدوية • وما تجمعه المهدوية لا يفرّقه اختلاف اللغات والاجناس ، ولا تضارب المصالح السياسية والاقتصادية وغيرها • فالمسائل القومية، عندهم ، محسومة الى الابد ، وهم تجاوزوها ،كما تجاوزها من بعدهم ، الاسماعيليون والعلويون والدروز وسائر الاقليات والفِرق الدينية الصغيرة المنبثقة من الاسلام •

وكون الشيعة هي الطائفة الاسلامية الاكبر ، بعد السنّة ، فان لها ، ولا شك ، أثرا قويا وعميقا في السياسة، في الشرقين : الادنى والاوسط • وإن لم تؤخذ مصالح

هذه الطائفة وقضاياها بالاعتبار ، فمن الصعب جدا ، بل من المستحيل ، حسب رأينا ، أن تعرف بلادنا ، وربما العالم أيضا ، الاستقرار والطمأنينة ، ولو تأمّن الحل العادل والمطلوب للمسألة الفلسطينية ، مصدر المتاعب والحروب الدائرة ، على أرضنا ، منذ حوالى نصف قرن •

أساس المهدوية

ان المهدوية هي انتظار الإمام الغائب والعمل من أجل تعجيل عودته • وكما في العمل حركة ، كذلك في الانتظار ثورة • والذي ينتظر يعمل ، ولا يجوز الفصل بينهما على الاطلاق•

أساس المهدوية الاعتقاد بأن الامامة العامة امتداد للنبوّة • فالذين عدلوا عن أهل البيت هم « المُلتَوون » عن الاسلام والحق • وقد قال السيد شرف الدين :

« وانما عدل عن أهل البيت في فروع الدين وأصوله ساسة الامة وأولياء أمرها ، منذ عدلوا عنهم بالخلافة فجعلوها بالاختيار ، مع ثبوت النص بها على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، اذ رأوا ان العرب لا تصبر على أن تكون في بيت مخصوص فتأوّلوا نصوصها ،وجعلوها بالانتخاب، ليكون لكل حي من أحيائهم أمل بها ولو بعد حين ،فكانت

مرة هنا ، وأخرى هناك ، وتارة هنالك ، وهبّوا بكل ما لديهم من قوة ونشاط الى تأييد هذا الملأ ، والقضاء على كل ما يخالفه ، فاضطرتهم الحال الى التجافي عن مذهب أهل البيت ، وتأوّلوا كل ما يدل على وجوب التعبد به من كتاب أو سنّة » .

أضاف :

« ولو استسلموا لظواهر الادلة فرجعوا الى أهل البيت ، وأرجعوا الخاصة والعامة اليهم في فروع الدين وأصوله ، لقطعوا على أنفسهم خط الرجعة الى مبدئهم ، ولأصبحوا من أكبر الدعاة الى أهل البيت ،وهذا لا يجتمع من عزائمهم ، ولا يتفق مع حزمهم ونشاطهم في سياستهم، ومن أمعن النظر فيهذه الشؤون علم ان العدول عن امامتهم العامة بعد رسول الله (ص) ، وان تأويل الادلة على امامتهم الخاصة ، انما كان بعد تأويل الادلة على امامتهم العامة ، ولولا ذلك ما التوى منهم ملتوٍ »(٧) .

ان هذا يؤكد طبيعة الصراع بين الشيعة ، الذين على السطوح ، وبين القائلين بالشورى والانتخاب . وليس عجبا أن يستمر هذا الصراع ، وهذا الصدام ، على الرغم من حاجة المسلمين الى الوفاق والاتفاق .

(٧) المراجعات : ص ١٤٢ .

والحقيقة هي ان الائمة أنفسهم ، زرعوا هذا الصراع في طول بلاد المسلمين وعرضها ، وغذّوه ، وأذكوا ناره ، بحيث فرضوا على القوم لا الطاعة فحسب ، بل الجهاد في سبيلهم والذود عن ديارهم وكراماتهم وامتيازاتهم ، ما جعل الشيعة مثاليين في السياسة ومثاليين في القتال ومثاليين في معاملاتهم اليومية . وقد خاطب الامام أبو جعفر محمد ابن علي زين العابدين (٨) صاحبه جعفر الجعفي (٩) قائلا :

« يا جابر أيكتفي من ينتحل « التشيع » أن يقول بحبنا أهل البيت ، فوالله ما شيعتنا الا من أتقى الله وأطاعه، وما كانوا يُعرفون — يا جعفر — الا بالتواضع والتخشع والامانة (...) ومن كان لله مطيعا فهو لنا وليّ ، ومن كان لله عاصيا فهو لنا عدو ، وما تُنال ولايتنا الا بالعمل»(١٠) .

(٨) هو الإمام الخامس للشيعة (٥٧ — ١١٤ هـ / ٦٧٦ — ٧٣٢ م) دعي « الباقر » لانه كان عالما كبيرا ، ولد وتوفي بالمدينة . تابع توسيع مدرسة ابيه وتخريج العلماء فيها من كل الاقطار الاسلامية .

(٩) هو جابر بن يزيد بن الحارث الجعفي أبو عبدالله (... — ١٢٨ هـ / ... — ٧٤٥ م) : تابعي ، من فقهاء الشيعة ، من أهل الكوفة . اثنى عليه بعض رجال الحديث، واتهمه آخرون بالقول بالرجعة . وكان واسع الرواية غزير العلم بالدين . مات بالكوفة (الاعلام — المجلد الثاني ، ص ١٠٥) .

(١٠) أصول الكافي ج ٢ ص ٧٤ / ٧٥ . وهذا الحديث يتناقله كثير من المؤلفين والكتاب الشيعة .

وكأن الذين عارضوا الائمة أو عدلوا عنهم أو آثروا الحياد ، في معارك الخلافة ، هم أعداء الله فعلا !

هكـذا بدأ الصراع الشيعي ــ السني ، وهكـذا استمر . ولو اكتشف الشيعة خطره على الامة والاسلام لوضعوا له النهاية المرجوّة والمستعجلة . ولكن « زرْع » الائمة سريع النمو ، و « عطاؤه » غير مرهون بالزمان أو المكان . ناهيك بالارض « الخِصْب » وما في الانفس من عزة وأنفة وارادة وعنفوان وهوى ورغبة ، في المبـارزة والمنافسة حتى الخصومة والقطيعة والانفصال ، وممـا لا يسكن حصْره في طائفة دون أخرى .

واستطاع الشيعة أن يجسّدوا حبهم للأئمة ، كمـا أراده الباقر وحدّده ، بنشدانهم « المجتمع الحر المتكامل المتكافىء ، الذي تسوده العدالة الاجتماعية » [١١] . الا ان هذا المجتمع لا يتحقق على غير يد الامام الثاني عشر ، محمد المهدي ، « صاحب العصر والزمان » كما يدعونه .

فالمهدوية ، والحالة هذه ، هي « فكرة تحررية تؤمن بتخليص البشر من ربقة الظلم والاستعباد على يد الامام الثاني

(١١) محمد كامل سليمان : الايديولوجية الشيعية في رثاء الحسين ، دار الكتاب اللبناني ــ بيروت ، الطبعـة الاولى ١٩٨١ ، ص ٥١

عشر ، هذا الذي سيخرج بالسيف انتصارا للمستضعَفين في الارض ليقيم لهم دولتهم كما بشّر بها القرآن فيصبحون هم القادة وهم الوارثون وتمتلىء الارض قسطا وعـدلا بعدما ملئت ظلما وجورا » [١٢] .

تقوم المهدوية على ايمان الشيعة بغيبة المهدي ورجعته. وهم يرون ان الله حضّ على الايمان بالغيب ، اذ قـال « هدى للمتـّقين الذين يؤمنون بالغيب » [١٣] ، ودلّ على حجّية الغيبة في قوله : « واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة » [١٤] . ففي هذه الآيـة ، كما يعتقـد الشيعة ، « حجة على غيبة المهدي ، اذ ان الله طلب مـن الملائكة أن يؤمنوا بخليفة قبل أن يوجد . والغيبة قبـل الوجود أبلغ الغيبات ، اذ لم يشهد الملائكة قبل ذلـك خليفة قط ، بينما نحن البشر شاهدنا خلفاء كثراً ، أخبر عنهم القرآن ، وتواترت الاخبار بذكرهم (و) من هنا كان الايمان غيبا بخليفة لم يُر من قبل » [١٥] .

(١٢) المصدر نفسه .
(١٣) البقـرة : ٣ و ٤ . وفي كتب التفسير المعتبرة عند الاماميين ان المتقين هم الشيعة ، وان الايمان بالغيب هو الايمان بقيام الهدى (الايديولوجية الشيعية ، ص ٥٢) .
(١٤) البقرة : ٣٠
(١٥) الايديولوجية الشيعية ص ٥٣

وعليه ، فان الايمان بالامام حال غيبته « أعظم مثوبة وأكثر اخلاصا »[16] ، لانه « أبعد ما يكون عن الريـاء والتزلف »[17] . وأما الداعي الى هذه الغيبة فهو الخوف من الاعداء (...) وهذا صحيح . وما هو غير صحيح ، بل خطِر ومُضر ، التعامل مع هذا الحدث كأنه راهن ، وكـأن الامـام ، محمد المهدي ، وأعداءه ما زالوا بين ظهرانينا .

أهكذا يكون حب الائمة والولاء لهم ؟!

لماذا لا نقول : ان ما حدث قد حدث ؟

لـماذا الزمن لم يحلّ العِقد ، ويغسل القلـوب ، وينقّ الصدور ؟!

انها السياسة فحسب .

العلّةُ الكبرى أن السياسة صارت هي الامامـة ، والامامة خلَفت النبوّة .

---

(16) المصدر نفسه .
(17) المصدر نفسه .

ماذا في قولة الامام جعفر الصادق[18] : « المنكِر لآخرنا كالمنكِر لأولنا »[19] غير السياسة ؟؟

أليس المنكِر لابي بكر كالمنكِر لعثمان ؟

اذا الائمة بعضهم مثل بعض ، أفلا يكون الخلفاء ، ولا سيما منهم الراشدون ، بعضهم مثل بعض أيضا ؟

الامامة تخلف النبوة

لقد أخرج ابن مردوية[20] عن علي بن أبي طالب :

---

(18) هو جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط الهاشمي القرشي ، ابو عبـدالله ، الملقب بالصادق : سادس الائمة الاثني عشر عند الامامية . كان من أجلّاء التابعين . وله منزلة رفيعة في العلم . اخذ عنه جماعة ، منهم امامان أبو حنيفـة ومالـك . ولقب بالصادق لانه لم يعرف عنه الكذب قط . له أخبار مع الخلفاء من بني العباس وكان جريئا عليهم صدّاعا بالحق . له « رسائل » مجموعة في كتاب ، ورد ذكرها في كشف الظنون ، يقال ان جابر بن حيّان قام بجمعها . مولده ووفاته بالمدينة (الاعلام ، المجلد الثاني ، ص ١٢٦) .
(19) حديث يتناقله المؤلفون والكتّاب الشيعة عن : اكمال الدين واتمام النعمة ، للشيخ الصدوق ، ص ١٤
(20) هو أحمد بن موسى بن مردوية الاصفهاني (٣٢٣ ـ ٤١٠ هـ / ٩٣٥ ـ ١٠١٩ م) ، أبو بكر ، ويقال له ابن مردوية الكبير : حافظ مؤرخ مفسر ، من أهل أصفهان ، له كتاب « التاريخ » وكتاب في «تفسير القرآن »و«سند»و «مستخرج في الحديث » وله « آمال ـ خ » أوراق منه في الظـاهريـة (الاعلام ، المجلد الاول ، ص ٢٦١) .

قال « لما نزلت (الآية) : « وانذر عشيرتك الاقربين » ، قال رسول الله (ص) : علي يقضي ديني ، وينجز بوعدي » (٢١) .

معنى القول ، بمفهوم الصادق ، ان الامام الثاني عشر، الذي هو آخر الائمة ، يقضي دين محمد مثلما يقضيه علي وينجز بوعد محمد مثلما ينجز به علي . ولما شاءت القوة (الجماعة) ان يقضي الدين وينجز بالوعد غير علي ، وهذه مسألة سياسية ، كادت السماء أن تسقط على الارض ، وغرقت البلاد في الدم ، فلا هذا الفريق تنازل عما اكتسبه، ولا ذاك قبل بالامر الواقع . فنشأت عن كليهما ثوابت ومسلّمات ، وبرزت قواعد وأصول ، رسخت العداء مثلما كان قبل الاسلام أو اكثر ، واذا الحالة الجديدة فرصة سانحة ومؤاتية ، طالما تمناها الاقطاب المتنازعون، وسعوا في تحصيلها بشتى الوسائل والطرق .

لقد عاد كل شيء الى مكانه .

---

(٢١) الكنز ج ٦ ص ٤٠٦ . نقله شرف الدين : المراجعات، حاشية رقم (٢) من ص ٢٤٥/٢٤٦

الدولة الاسلامية في اتجاه ، والمعارضة في اتجاه آخر . وبين الحجاز والعراق ضاع الاسلام المتحد ، وجدّدت القوانين غير المدوّنة المتعلقة بالخصومات الجرائمية الجزائية وبالخصومات المدنية بين العشائر »(٢٢) نشاطها ، واستعادت حضورها وسيادتها ، وهي كانت عرضة للنسيان والزوال . ثم تمددت الحجاز شرقا وغربا وجنوبا وشمالا ، عبر السلطة الاسلامية الشرعية ، في حين تمدد العراق في الاتجاهات عينها ، وانما عبر الدعاة الذين كانوا يعملون في السر وبعيدا عن أعين الدولة والمخبرين ، فزاد عدد « المسلمين » ونما ، وزادت مشكلاتهم ، وتعقّدت خلافاتهم ، فتحزبوا وتمذهبوا ، وأخرجت الاحزاب أحزابا ، والمذاهب طوائف ، وكل يدعو لنفسه من جهة ، ويدّعي «الاسلام الصحيح»و«الاصولي» من جهة أخرى . وبهذا أضافوا الى حروبهم التقليديةحرب العقائد ، دعماً للساسة وأولياء الامر ، وما لهم من مآرب وأهداف .

بين مكة والنجف

بعد التصفيات الجسدية والفكرية ، التي نفّذها

---

(٢٢) عبدالله فهد النفيسي : دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث ، دار النهار للنشر ، الطبعة الثانية ١٩٨٦ ، ص ٣٢

المسلمون بعضهم في بعض ، حدث تراجع عقائدي ملحوظ أوجب « التقية » والابتعاد عن السياسة العامة الى السياسة الخاصة . حتى ان بعضهم عاد الى البداوة والعيش الخشن ، مما عزّز الفوارق الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والادبية والفكرية في المجتمع الواحد . واستأثر الحجازيون والعراقيون بمقدّسات الامة وكل اسباب التكريم والتعظيم . فغدت الامة « امتين » : المكية أو الحجازية ، والكوفية أو العراقية الجنوبية ، والاخيرة صارت ، فيما بعد ، تُعرف بالاجتهادية النجفية . واذ ذاك تبلورت الامور التي كانت غامضة أو غير معروفة على اليقين .

ففي الحجازية : الحرَم الشريف ، الذي يضم الكعبة والحجر الاسود وعين زمزم ، وقبر النبي (في المدينة) .

وفي الكوفية او الاجتهادية : ضريح الامام علي (في النجف) ومسجد الكوفة الشهير الذي قتل فيه الامام نفسه ، ومراقد الامام الحسين والحر وعون بن عبدالله (كربلاء) ومدفن الامامين موسى الكاظم ومحمد الجواد (في الكاظمية) ، وضريحا الإمام علي الهادي وولده حسن العسكري وسرداب المهدي (في سامراء) المنتظَر .

لنا ان ندعو الدولة الاولى دولة النبوّة والخلافة ، والثانية دولة الإمامة والاجتهاد . وفي مختلف الظروف

والاحوال فان الدولة الإمامية او الاجتهادية ، على الرغم ممّا لها في بغداد وكل العراق ، والخليج وايران وباكستان والتيبت والهند وسوريا ولبنان ، لا تُعَدّ دولة بالمعنى الكامل والشامل ، وانما هي « معنوية » فحسب . وقد حافظت على استقلالها الذاتي منذ نشأتها ، وعلى سلطتها الروحية والزمنية على الشيعة في العراق وكل الامصار .

يقول الدكتور عبدالله النفيسي :

« والصلوات التي تؤديها جموع الشيعة في زياراتهم لأضرحة الايمة في النجف وكربلاء والكاظمين وسامراء ، او في المدينة (حيث قبر النبي وحفيده الإمام الحسن) تحتوي على ادعية وتضرّعات تعكس عقيدتهم الثابتة ، والتي تؤكدها هذه الصلوات ، من ان هؤلاء الايمة هم شفعاء ويشفعون لهم » .

أضاف :

« ويورد المجلسي [٢٣] في كتابه « تحفة الزائرين »

(٢٣) هو محمد باقر (المجلسي) (١٠٣٧ – ١١١٠ هـ / ١٦٢٧ – ١٧٠٠ م) : شيخ الاسلام في اصفهان . ولد وتوفي بأصفهان . على يده تمت غلبة التشيع على التصوف في ايران. أمر باجلاء الصوفية عن العاصمة أصفهان وذلك بموافقة الشاه حسين الصفوي ١١٠٦ هـ / ١٦٩٦ م. اشتهر بكتابه « بحار الانوار » (اعلام المنجد ـ الطبعة السادسة والعشرون، مادة « مجمع » ص ٦٣٥) .

ــ وهو أشبه بدليـــل للزائر للامكنة المقدّسة عندهـــم (الشيعة) ــ صلوات طويلة تصلح لان تـُتلى في أثناء زيارة النجف الاشرف . ومعظم هذه الصلوات تـُعزى الى ايمة مختلفين ، وقـــد تداولها مئات الالوف من الحجاج على مدى قرون عند زيارتهم مزار علي في النجف الاشرف[٢٤]. ومن ينظر جيـــدا في الالقاب التي يغدقونها علـى الايمـــة لا يتمالك عن القول ان السبيل الوحيد الذي يؤدي الى اللـــه ، بحسب هذه الصلوات ، هو عبر تكريم الايمـــة ومحبتهم وتقديس ذكرهم » [٢٥] .

وعن النجف وتاريخ تأسيسها ، وما لها من أهميـــة سياسية بكونها مركزا شيعيا هاما للدراسة الدينيـــة ، كتب الدكتور النفيسي قائلا :

(٢٤) ومما يردده الشيعة في هذا المقام : السلام عليك يـــا حبيب الله ، السلام عليك يا حجة الله ، السلام عليـك يا خليفة الله ، السلام عليك يا حارس الجنة والنار . اشهد انك كلمة التقوى ، وباب الهداية والاساس المتين والطـور الراسخ والصراط المستقيم . وأشهد انك حجة الله لخلقه، والشاهد لعباده ، والوصي على علمه ، ومستودع اسراره، وموضع حكمته ، واخو رسول الله .. الخ (حاشية رقم (٣) ص ٢٧ من « دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث») .

(٢٥) دور الشيعة ص ٢٧/٢٨

« تأسست النجف على يد عضد الدولة البويهي سنة ١٠٠٢ للميـــلاد [٢٦] . ومقام الامام علي ومزاره المركز الرئيسي الـــذي يتوسط المدينة . فتكون النجف ، اذاً ، نشأت حول مجموعة قرى ودساكر يقطنهـــا اناس ينتمون الى الإمامية . وكان البويهيون يبتغون من وراء تأسيس النجف خلق عصبية عراقيـــة تحميهم وتكون بمثابة اعتراف باستقلالهم السياسي عـــن الزيديـــة . وعملوا جهدهم في تشجيع اقامة الحفلات الدينية التي تقـــام إحياء لذكرى تاريخهم السياسي كإحياء ذكرى استشهاد الحسين الـــذي لا يزالون الى الآن يحتفون به » .

(٢٦) لعل الدكتور النفيسي اخطأ التاريخ ، بحيث ان عضد الدولة (فنا خسرو بن الحسن ركن الدولة) توفي سنة ٩٨٣ (ترى تصحيحه عند الاستاذ حسن الاسدي) . والبويهيون أسرة فارسية من أصل ديلمي . حكمت ٩٣٢ ــ ١٠٥٥ م. أسسها أبو شجاع بويـــه . استولى أبنـــاؤه : علي (عماد الدولة) والحسن (ركن الدولة) وأحمد (معزّ الدولة) على أصفهان وشيراز وكرمان وبغداد (٩٤٥) ففـــدا أمير المؤمنين لعبة في أيدي البويهيين الى أن غلبهم طغرل بـــك السلطان السلجوقي ١٠٥٥ م.

وفي ترجمة عضد الدولة ايضا : ضم العراق وفـــارس في دولة موحـّدة انحلـّت بعد وفاته بسبب الخلافات بـــين ابنائه وهو أول من أظهر قبر الامام علي بن أبي طالب فـــي النجف وبنى عليه . من آثاره بندر أمير بشيراز .

أضاف :

« وإحياء ذكرى استشهاد الحسين تطوّر في ما بعد في عهد الصفويين حتى بلغ الذروة في شكله الدرامي (...) ومن ملاحظة أهمية الاحتفاء بهذه الذكرى ، ومن النظر في ما لها من شأن ومقام لدى الشيعة ، يستدلّ المرء على مبلغ ما للشيعة من قوة سياسية في العراق » .

وقال ايضا :

« وفي خلال العصور التاريخية كان علماء الشيعة فيها (النجف) يحرصون على توكيد استقلالهم الديني والسياسي وكانوا يرفضون مشايعة السلطة المركزية في بغداد ـ ما لم يُرغموا بالقوة على ذلك . ولأن النجف كانت دوما تؤكد استقلالها الذاتي فانها اصبحت ، مع الايام ، مركزا سياسيا مهما ناشطا للشيعة في العراق»[٢٧] .

وأما السيد حسن الاسدي ، وهو نجفي فيقول :

« كانت هناك نجفان : نجف الكوفة ونجف الحيرة . ونجف اليوم هي نجف الكوفة التي انفردت بهذا الاسم لدفن الامام علي فيها ونشوء مدينة حول القبر . فقد

(٢٧) دور الشيعة ص ٤٧

نشأت العمارة حول المرقد العلوي الشريف عام ١٧٠ للهجرة ، حيث كان القبر قبل ذلك . وفي عام ٤٤٨ هاجر اليها الشيخ الطوسي [٢٨] فازدادت مكانتها العلمية وصارت قبلة لرواد العلم ، فازدحمت بالسكان وازدهرت الحركة فيها . ثم تضاءلت بعد ذلك وتناوب عليها مدّ الازدهار وجزره حتى القرن الثاني عشر للهجرة حين استقرت حال النجف وعادت الى ما كانت عليه من حركة وازدهار واستمرت كذلك الى هذا اليوم » [٢٩] .

وعن مدفن الامام علي يقول الاستاذ الاسدي ايضا :

« عندما استشهد الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في الكوفة في ليلة احدى وعشرين من شهر رمضان سنة أربعين للهجرة ، حمله ولداه الحسن

(٢٨) هو الخواجه نصير الدين بن محمد الطوسي (١٢٠٠ـ ١٢٧٣ م) . للدكتور علي مقلد دراسة فيه عنوانها : «النبوة والامامة عند نصير الدين الطوسي » (أطروحة دكتوراه « فئة اولى » في الفلسفة ١٩٨٥ ـ خ) . انظر نقدنا لها في كتابنا « نحن وصنمية التاريخ » الطبعة الاولى ١٩٨٦ (من ص ٤٦٦ الى ص ٤٨٦) .

(٢٩) حسن الاسدي : ثورة النجف ، منشورات وزارة الاعلام في الجمهورية العراقية ، سلسلة الكتب الحديثة (٧٩) ، الطبعة الاولى ١٩٧٥ ص ١٥ .

والحسين عليهما السلام ، بوصية منـه ، الى الغري في ظهر الكوفة ودفناه هناك بين ثلاث ذكوات •ومنذ ذلك اليوم تكونت حول القبر الشريف قريـة اتسعت شيئا فشيئا حتى اصبحت مدينة عامرة تميَّزت باسم « النجف الشريف » •

وتابع يقول :

« وكانت محاطة بالرمال والحصباء ، ولا تزال كذلك الى الآن • كمـا لا تزال آثار الذكوات الثلاث واضحـة المعالم في المدينة ، حيث جرى تشييد الدّور عليهـا • وقد بقي سر القبر الشريف مكتوما طيلة العهد الاموي • ولكن عندما انقرضت دولـة بني امية وتبدّد خوف العلويين من الامويين تصدّى أحفاد علي عليـه السلام لارشاد الناس الى القبر • ومنذ ذلك التاريخ جعـل الموالون يؤمونـه ويتوافدون عليـه زرافات ووحدانا ، ويتعهدون صيانته وحفظه ، ثم وضعوا صندوقا عليه » (٣٠) •

سياسة « القبر الشريف »

اذا قلنا النجف ، قلنا قبر الامام علي • ومن الطبيعي ان تكون سياسة النجف هي سياسة ذلـك القبر ـ الثروة والتراث والميراث الصارخ والمتألم والحزين • ولا اعتقد ان النجف ، من دون مرقد الامام هذا، كان بامكانها العيش

(٣٠) المصدر نفسه ص ٢٠

مستقلة او منعزلة عن العراق الشرعي • وكما قال الاسدي :

« عندما اختلفت نوايـا (نيات) العباسيين تجـاه العلويين هـُجر القبر وبقي كذلـك حتى جاء هارون الرشيد فاظهره واعاد اليـه شأنه واستمر مقصودا بالزيـارة الى الآن • ففي عـام ١٧٠ للهجرة (٧٨٦ م) اقـام الرشيد عمـارة من الطين لحفظه ، فتوافـد الناس لزيارته ودفن موتاهم حوله » •

وقال ايضا :

« وفي عـام ٢٨٠ هـ (٩٥٢ م) بنى محمد بن زيـد الداعي أول قبة محترمة على القبر الشريف ، وأشاد حوله حصنا ، بعد ان كان المتوكل العباسي قـد خرب القبر • وقد جرى بعد ذلـك على القبة عدد مـن الإصلاحات ، حتى جاء عضد الدولـة البويهي فاشاد في عـام ٣٦٧ هـ (٩٧٨ م) أعظم وافخر عمارة بنيت الى ذلـك اليوم • حيث صرف عليهـا اموالا طائلة وجلب لها المعمارين المهرة من جميع الاقطار • ثم جرت على عمارة المرقد بعد هذا كثير من الاصلاحـات والاضافات مـن قبـل البويهيين والحمدانيين • كما ان المستنصر العباسي عني بالمرقد كثيرا وزاره مرارا لتشيعه لعلي • وفي عـام ٧٥٥ هـ (٣٥٤ م)

احترقت عمارة المرقد فأعيد بناؤها من قبل الايلخانيين[٣١] ٧٦٠ هـ (١٣٥٤ م) • وقد أصلح هذه العمارة الشاه عباس الاول [٣٢] وأضاف اليها كثيرا » [٣٣] •

عضد الدولة البويهي وحّد بين العراق وايران •

---

(٣١) الايلخانية : اسرة مغولية استوطنت فارس بين القرنين ١٣ ــ ١٤ الميلاديين ، شملت دولتهم في أول عهدها البلدان التي تتوسط بين نهر جيحون والمحيط الهندي ، والممتدة من السند الى الفرات مع جزء كبير من آسيا الصغرى ومن القوقاز . ثم فقدت فيما بعد بعض أملاكها من الشرق . استولى عليها جغتاي (طان) أمير مغولي ١٢٢٧ ــ ١٢٤٢م (ثاني أبناء جنكيزخان) . فشلت محاولتهم في أخذ سورية من سلطان مصر ، يعتبر عصر هذه الاسرة الى حد ما مزدهرا وبخاصة في العلوم الفلكية والطبية . اشتهر منهم : اباقا وأرغون والجايتو خدا بنده (الموسوعة العربية الميسرة ، المجلد الاول ، واعلام المنجد ، مادة أيوبي ص ١٠٣) .

(٣٢) هو الملقب بالكبير (١٥٧١ ــ ١٦٢١ م) شاه ايران ١٥٨٧ . ضم الى ممتلكاته بغداد وكربلاء والنجف والموصل ودياربكر . دافع عن الارمن واستعان بالاوروبيين . عقد صلحا مع العثمانيين وانصرف الى تنظيم الدولة . انشأ الجسور والمساجد وأكرم الفنانين والعلماء وأحسن السياسة . نقل العاصمة من قزوين الى اصفهان ١٥٩٣ م. بعد ان أخضع الامراء الذين كانوا يسيطرون على البلاط حتى ذلك التاريخ (اعلام المنجد ، مادة عباد ص ٤٤٦) .

(٣٣) ثورة النجف : ص ٢٠

وكذلك عباس الاول الكبير • فهل للإمام الخميني ، « وكيل المهدي الغائب » ، أن يكون كما سلفاه ، ويقيم « الجمهورية الاسلامية » على ان تشمل كل طهران والنجف وبغداد ، وبعلبك وجبل عامل اللبنانيين ؟ وتتوسع سياسة « القبر الشريف » [٣٤] ؟

النجف قالت : نعم للإمام الخميني • فجاوبها الصدى في بعلبك والضاحية والجنوب !

سياسة الخميني هي سياسة « القبر الشريف » الذي انتصر على الأزمنة والخلفاء والملوك والحكام والجنرالات • وحسبما هو معروف فان النجف تعتبر « اول من ثار على الانكليز ، ليس في العراق فحسب ، وانما في جميع أقطار الشرق الاوسط ، بعد الحرب العالمية الاولى »[٣٥] •

أين العروبة ؟

لقد اغتالت الكوفةُ العروبةَ يومة اغتيل الإمام علي في مسجدها الكبير ، وذلك انتقاما للإمامة « المظلومة » و « المقهورة » • وانما هي فعلت ذلك قبل ان تولد النجف ••• وقبل أن يصبح للقبر شأنه ومكانته •

كل الأئمة وقفوا على ضريح العروبة في الكوفة ، وكأنهم على يقين بأن الفرس سيتشيعون لهم ، وانهم لا بد

---

(٣٤) انظر كتابنا « الخميني يقتال زرادشت » ، مقدمة الطبعة الثانية ١٩٨٣

(٣٥) ثورة النجف : ص ٥

قادمون اليهم ليقيموا الدولة الامامية « دولة الحق والعدل » ، وقد صدقت « نبوءتهم » مرتين ، مثلما أسلفنا، فهل ستصدق مرة أخرى ؟

في مناسبة عيد الغدير (١٩٨٦/٨/٢٤) استقبل الزعيم الايراني آية الله الخميني المسؤولين الايرانيين،فأكد لهم ان بلاده مصممة على متابعة الحرب مع العراق (الشرعي) وانها « ترفض اي سلام يفرض عليها ، وهي ستتابع الحرب حتى النصر » (٣٦) .

وبيّن الخميني لمهنئيه « ان انتصار ايران قريب وهو في مصلحة شعوب ايران والعراق ودول المنطقة » (٣٧)، وما على الشعب الايراني « اذا كان يريد بلوغ النصر سريعاً (إلاّ) ان يكون مستعدا للقتال من كل النواحي » (٣٨) .

ثم يرى الرئيس الايراني حجة الاسلام علي خامنئي « ان إبعاد الرئيس العراقي صدام حسين عن الحكم وقيام نظام شعبي (؟) في العراق يمكن أن يغيّر من شروط ايران لإنهاء الحرب »(٣٩) ويمكن أيضا أن يجعل البقاء

---

(٣٦) النهار : ١٩٨٦/٨/٢٥
(٣٧) المصدر نفسه .
(٣٨) المصدر نفسه .
(٣٩) السفير : ١٩٨٦/٩/٢٢

الايراني ، في الاراضي العراقية ، « موقتا » وليس « الى الابد » (٤٠) .

ومهما يكن ، فان النجف ــ القبر او المرقد ، تنتظر الدولة الخمينية ، والخميني ، كانتظارها الامام المهدي . فوكيل الامام مثل الامام في غيبته . والمهدوية لا يحدها التاريخ ولا الجغرافيا .

والواقع هو ان « من يزور النجف يلاحظ ان التأثير الفارسي عميق ، وان كثيرا من سكانها هم من الفرس أو من أصل فارسي » (٤١) . ومذ « اعتنقت بلاد فارس العقيدة الشيعية الاثني عشرية اصبح لها تأثير بالغ في حياة العراق الاجتماعية . وكان للعلاقات المستمرة بين مراكز الفكر الشيعي في كلا البلدين ، ايران والعراق، اثر في ترسيخ الأثر الفارسي في العراق والأثر العراقي في ايران » (٤٢) . ومن الطبيعي أن يسفر هذا التفاعل الشيعي الفكري بين البلدين عن نشوء حالة فكرية دينية في العراق ــ حيث معظم السكان من الشيعة ــ الزعامة فيها للعلماء الايرانيين ، أو من اصل ايراني ، فكانوا القادة

---

(٤٠) السفير : ١٩٨٦/٩/٢٢
(٤١) دور الشيعة ص ٤٨
(٤٢) دور الشيعة ص ٤٩

الدينيين والوعّاظ في العراق ، واصبحت لهم الكلمة النافذة فيه »(٤٣) .

ولا يختلف الوضع في جبل عامل عنه في النجف كثيرا . ولعلّ العامليين والبعلبكيين أجرأ — اليوم — من النجفيين على المطالبة بـ « الجمهورية الاسلامية » ، نظرا لانعدام السلطة الشرعية والرسمية في لبنان من جهة ، وتزايد التنظيمات الشيعية الإمامية المسلّحة من جهة أخرى . وهذا ما ساق السيد علي أكبر ولايتي وزير الخارجية الايراني الى القول عن لبنان اليوم « ان كل التيارات السياسية في العالم تحاول ممارسة نفوذها فيه (لبنان) ولكن لا بلد آخر يتمتع بالنفوذ الذي لإيران »(٤٤) .

فاذا كان السيد محمد حسين فضل‌الله ينظر الى الاسلام « كفكر متكامل يعمل على ان يكون البديل » أو « كمشروع سياسي واجتماعي وقانوني في كل مجالات الحياة »(٤٥) ، فان السيد صادق الموسوي يقول : « التزاما بصريح قوله تعالى : ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون » و « أمرهم شورى بينهم »

---

(٤٣) المصدر نفسه . ايضا كتابنا « الخميني يغتال زرادشت » مقدمة الطبعة الثانية .

(٤٤) « النهار » ١٩٨٧/٣/٢

(٤٥) النهار العربي والدولي : العدد ٤٩٠ / ٢٢ — ٢٨ ايلول ١٩٨٦

وطبقا لمئات النصوص الصادرة عن النبي (ص) والأئمة المعصومين (ع) المؤكدة بوجوب الاطاحة بنظم الكفر والجور ، وللأمر الصريح من مرجع الامة وقائد المسلمين الامام الخميني (كل من يتبع الاسلام يجب أن يطالب بالجمهورية الاسلامية) وتمسكا بحق الاكثرية الاسلامية في الحكم ، فلا يجوز الا المطالبة بالجمهورية الاسلامية »(٤٦) .

وكما السيدان : فضل‌الله والموسوي ، كذلك الكثيرون من رجال الدين الشيعة في بلعبك والضاحية والجنوب . الجميع تحركهم سياسة « القبر الشريف » وتحرّضهم على المعارضة والثورة والتمرد . أمّا وأن يطالب رجال دين سنّيّون ، ولا سيما منهم أمير « حركة التوحيد الاسلامي » الشيخ سعيد شعبان ، باقامة « حكم الله في الارض »(٤٧) ، فليس من الضرورة أن تكون « الجمهورية الاسلامية الخمينية » هي التي ستقيم هذا الحكم ، بل العكس هو الصحيح .

واذ يقول مفتي جبل لبنان الشيخ الدكتور محمد علي الجوزو السنّي ان « الاسلام هو النظام الوحيد الذي ينقذ الانسان ، والسبيل الى اقامة دولة الاسلام والانتصار على قوى

---

(٤٦) صادق الموسوي : النهار العربي والدولي ، المصدر نفسه

(٤٧) النهار العربي والدولي ، المصدر نفسه .

الظلم والاستبداد هو أن يجتمع المسلمون على كلمة التوحيد ، وان ينبذوا الأحقاد وان يتبعدوا عن الخلافات » (٤٨) ، فإنّما يقصد القول بأن الحكم الأسلامي الذي يريده السنّي هو غير الحكم الاسلامي الذي يريده الشيعي • ولا شيء يدعو الى الظن أن السنّة ، مهما كانوا ، يسرّهم انتصار الخميني ، الذي هو تاليا انتصار الدولة الشيعية المهدوية ، وانتصار سياسة « القبر الشريف » أيضا •

حلم لا ينتهي

ان الانتظار ، بمعناه ، قلَق واستنهاض وترَقّب وحذَر • فما بالك اذا ما طال هذا الانتظار وابتعد المنتظَر ؟!

ولان الشيعي موعود بالعدالة والرحمة الإماميتين ، فهو في عيشة مميّزة وغريبة ، حتى يتحقق هذا الوعد • وقلّما يعرف الموعود (الشيعي) الراحة والهدوء والثبات والاسترخاء • وغالبا ما يكون متوترا ، لاقتناعه الشديد بأنه مصاب بأقسى انواع الظلم والمكروه ، وموتورا ، لانه لم يدرك بدم شهدائه ، وبخاصة الائمة منهم ، وعلى الاخص « سيد الشهداء » الامام الحسين بن علي •

(٤٨) النهار العربي والدولي ، المصدر نفسه .

إن هذا جعل الشيعي صاحب « ثورة » عرفنا بدايتها ولم نعرف نهايتها حتى الآن • مما يفيد ان الشيعي لا يثق في الانظمة والقوانين الوضعية ، ولا يطمئن الا الى الحكم العلوي الإمامي فحسب •

لذلك ، فان المهدوية هي « وسيلة للتحدث عن احوال المجتمع وبؤس الناس (اي الشيعة) ومعاناتهم الرهيبة للألم والاستبداد • (و) رصْد لهذه المظالم بانتظار أن يأتي يوم تنقلب فيه هذه الموازين فينتصب قسطاس الحق ، ويسود مجتمع العدالة ، مطيحا باعمدة الفساد والطغيان ، اذ ينصر تيار الغيرية والعدالة الاجتماعية على تيار الشهوتية والاستبداد »(٤٩) •

ولذلك ايضا ، « فان الشيعة يتشوّقون دائما الى اليوم المنشود، خصوصا وان الحالة أصبحت لا تطاق(•••) (و) قد ذر قرن الفساد ، والتقت حلقات بطان الظلم والاستبداد والقضاء على معالم الدين ، وتشويه الرسالة المحمدية » (٥٠) •

لا نريد القول بأن السنّة يرون الظلم ويسكتون عنه ، أو هم خانعون متقاعسون ، ويأبون الحركات التقدمية

(٤٩) الايديولوجية الشيعية ص ١١٤
(٥٠) المصدر نفسه .

والثورية • ولكنما الثابت هو ان العالِم السنّي يعتبر الحكومة القائمة (أي حكومة) وسلطتها حكومة شرعية (٥١) ، فلا ينشغل في الكشف عن أخطائها وهفواتها، ولا يحرّض على قلبها وتغييرها ، الا متى كانت هذه الحكومة آخذة في التلاشي والانهيار ، وحينئذ يصبح العالِم معارضا مع المعارضين ، وربما قاومها بغير الكلمة أيضا ، ومتى قبضت الفئة المغايرة أو المعارضة على الحكم دعا لها بدوام السلامة وطول البقاء ، وبالقوة والازدهار • المهم ان العالِم الديني السنّي قليل التهوّر ، ويلجم انفعاله وغضبه في أصعب الاوقات وأحرجها ، ونادرا ما تستهويه الثورات والانقلابات ، لانه لا يرى سوى الى مساوئها ومعايبها ، ولا يرى الى ضرورة التغيير والتجديد • وهذا ما يبرر فشل حركات العنف التي نشأت في ظروف معينة ، مثل « الاخوان المسلمون » في العصر الحديث ، وما تبعهم من فرق وجمعيات ومنظمات اسلامية سلفية متطرفة •

هنالك من يعتقد ان الفرق بين الشيعة والسنّة « لم يكن الا فرقا في ولائهم وانتسابهم السياسي ، ولكن على مر العصور أصبح الفرق بينهما يتخذ أشكالا أخرى في الدين وفي العلوم التي تدور حول الدين » (٥٢) • والحقيقة

---

(٥١) دور الشيعة ص ٧١

(٥٢) دور الشيعة ص ٧٠

هي ان الولاء لاهل البيت (الائمة) ، بالنسبة الى الشيعة، أعلى قضاياهم وأقصى غاياتهم • وهم يحفظون ، عن ظهر قلب ، « السنن المتضافرة المتناصرة باجتماعها كلها على الدلالة على معنى واحد ، هو ان علياً ثاني رسول الله(ص) في هذه الامة ، وأن له عليها من الزعامة بعد النبي ما كان له (ص) » (٥٣) • من هذه السنن مثلا لا حصرا :

ــ أخرج مطير ، والبارودي ، وابن جرير ، وابن شاهين ، وابن مندَه ، من طريق اسحاق ، عن زياد بن مطرف قال : « سمعت رسول الله (ص) يقول : من أحب أن يحيا حياتي ويموت ميتتي ويدخل الجنة التي وعدني ربي ، وهي جنة الخلد فليتولّ علياً وذريته من بعده ، فانهم لن يخرجوكم باب هدى ، ولن يدخلوكم باب ضلالة » (٥٤) •

ــ وحدّث عمّار بن ياسر (٥٥) قال : « قال رسول

---

(٥٣) المراجعات : ص ١٩٩

(٥٤) هذا الحديث هو الحديث ٢٥٧٨ من احاديث الكنز في ص ١٥٥ من جزئه السادس . عن المراجعات : ص ٥٦ و ص ١٩٩

(٥٥) هو صحابي من المسلمين الاوائل وممن عذب لاسلامه. ابوه ياسر وامه سمية أول شهيدين في الاسلام ماتا في التعذيب. كان أقرب المقربين الى النبي . هاجر الى الحبشة والمدينة =

الله (ص) : أوصي من آمن بي وصدّقني بولاية علي بن أبي طالب ، فمن تولاه فقد تولاني ، ومن تولاني فقد تولى الله ، ومن أحبه فقد أحبني ، ومن أحبني فقد أحبّ الله، ومن ابغضه فقد ابغضني ومن أبغضني فقد ابغض الله عز وجل » [٥٦] .

— وخطب النبي مرة فقال : « يا أيها الناس ان الفضل والشرف والمنزلة والولاية لرسول الله وذريته ،فلا تذهبن بكم الاباطيل »[٥٧] . وقال : « في كل خلَف من أمتي عدول من أهل بيتي ، ينفون عن هذا الدين تحريف

=

وشهد المشاهد مع النبي . من اخلص انصار علي بن ابي طالب ، شهد معه الجمل وصفين وقتل في صفين (٣٧ هـ / ٦٥٧ م) وهو ابن اربع وتسعين سنة (اعلام المنجد : مادة عماد الدولة ، ص ٤٧٦) .

(٥٦) اخرجه الطبراني في الكبير ، وابن عساكر في تاريخه، وهو الحديث ٢٥٧١ من أحاديث الكنز ، في آخر ص ١٥٤من جزئه ٦ . عن المراجعات : ص ٥٦/٥٧

(٥٧) اخرجه ابو الشيخ في حديث طويل ، ونقله ابن حجر في آخر المقصد ٤٠ من المقاصد التي ذكرها في تفسير آية المودة في القربى ص ١٠٥ من صواعقه . عن المراجعات : ص ٥٧ .

الضالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، الا وان أئمتكم وفدكم الى الله ، فانظروا من توفدون » [٥٨] .

الصراع الشيعي ـ السني

بعد الذي تقدّم لا نرى حاجة الى القول « ان العامل الرئيسي الذي عمّق شقة الخلاف بين علماء السنّة وعلماء الشيعة في العراق الامر الذي كان له أثر فعّال في وجهتي النظر السياسية لدى الطرفين هو مصدر الدخل لدى كل طائفة منهما . (بحيث) ان العالِم الديني السنّي في العراق يعتمد في دخله على ما تقدمه له السلطة العراقية، أي انه كان يُعتبر موظفا حكوميا يتقاضى مرتبا . بينما كان العالِم الديني الشيعي يعتبر مال الحكومة مالا يشك في انه مال حلال.فكان يرفض كل عون مالي حكومي»[٥٩] .

وان شئنا أن نعرف كيف كان النظام الاجتماعي في العراق ، عشية وصول السلطان سليم الاول (١٥١٢ —

---

(٥٨) اخرجه الملاّ في سيرته ، كما في تفسير « وقفوهم انهم مسؤولون » (الآية) ص ٩٠ من « الصواعق المحرقة » لابن حجر ، عن المراجعات : ص ٥٧

(٥٩) دور الشيعة : ص ٧٠

١٥٢٠) ، على رأس الجيش التركي ، الى شمال البلاد ،فان لوتسكي قد حدده على التمام فقال :

« وكان غريبا من نوعه تكوين العلاقات الاقطاعيةفي العراق حيث كان يوجد اختلاف بين شمال البلاد وجنوبها. ففي الشمال كانت الارض محصورة في أيدي البكوات الاكراد الذين يترأسون القبائل العشائرية . وكانوا في الواقع من كبار ملاكي الارض ومثلا حيا للاقطاعيين تحت الستار العشائري . وكانت ممتلكاتهم تبلغ احيانا عشرات الآلاف من الهكتارات .وكانوا يجندون العساكر ويدفعون الضرائب لولاة السلطان العثماني » .

أضاف :

« أما في جنوب العراق ، فكانت تسود العلاقات البطريركية . وكانت الارض تعود فيه الى القبائل العربية وتعتبر ملكا جماعيا بينهم . وكان قد سار عدد من القبائل طريق الحضارة جامعة بين حراثة الارض ورعي المواشي على نحو متنقل . وقد حاولت السلطات العثمانية القضاء على ملكية القبائل الجماعية للارض . فجعلت الارض المشاعية ملكا للدولة ، ومنحتها الى علية العشائر كما حاولت جعل واجبات شيوخ القبائل بمثابة مناصب وراثية تعهد اليهم بموافقة السلطات الحاكمة . وهكذا نشأت

عوائل اقطاعية عربية كبيرة ، كانت تملك أصقاعا واسعة من الارض . وقد لاقت اجراءات السلطات العثمانية هذه مقاومة من الجماهير القبيلية . فرفضت القبائل الرحالة وشبه الرحالة دفع الربع . ونشب من تلقاء ذلك نزاع بين الاقطاعيين الحديثي العهد والشعب المسلح ، تبعته كثرة من الانتفاضات بين القبائل العربية.وغالبا ما كان الاقطاعيون الجدد يملكون بالاسم فقط الاراضي التي منحت لهم»(٦٠)

نحن ، طبعا ، ممن ينظرون الى العامل الاقتصادي وأثره في السياسة وسائر ميادين الحياة . ولكننا ننظر كذلك الى الدين والمذهب . والنجف ، في الحقيقة ، هي كيان مذهبي اقتصادي ، يملك الإيديولوجيا الإمامية ، والاستقلال الذاتي .

ومن الحق أن نقول ان مجتهدي العراق الشيعة لم يحرّموا التعامل مع الدول التي تعاقبت على العراق — باستثناء الدولة الفارسية — لان « مالها حرام » فحسب ، وانما ليصونوا الاستقلال الذاتي للنجف وكل العراق الجنوبي ، ويمنعوا التمدد الغريب نحو هذا الكيان الإمامي

---

(٦٠) لوتسكي : تاريخ الاقطار العربية الحديث ، ص ١٦

« الشريف » و « المقدس » ، والشاهد له ، مرقد الإمام، الذي هو ، في حد ذاته ، « الثروة الحلال » ، والطائلة على كل حال •

ولقد جرّبت تركيا حظها مع العراق ، فتصدّت لها النجف ـ القَبْر ، وظلت تقاومها وتنازعها حتى خرجت من العراق وكل المنطقة العربية • وحاول الوهابيون ، في نيسان ١٨٠١ ، اجتياح مدينة كربلاء ، فتمكنوا من ذلك، ولكن لمدة يومين فقط ، فنهبوا المدينة ، وحرقوا البيوت ، ثم تراجعوا الى الصحراء ، بعدما قتلوا ما يربو على ٤ آلاف شخص ، واستولوا على كنوز لا تحصى ، كانت محفوظة في مسجد الشيعة ، حتى ذاع صيت هذه الغارة وهذه المجزرة في كل العالم • ولم تتوقف غارات الوهابيين على العراق وسوريا الا إثر وصول القوات المصرية الى الجزيرة العربية عام ١٨١١ ، وقد هددت بالقضاء على الدولة الوهابية (٦١) ، فكان ان ترسخ الكره الشديد عند شيعة العراق للوهابيين الحجازيين ، حتى يومنا هذا •

وشهدت كربلاء مجزرة أخرى ونهبا جديدا ، في عام ١٨٢١ ، بأمر من المملوكي الملاّ والباشا حاكم العراق ،

---

(٦١) المصدر نفسه : ص ٨٠

آنذاك ، داود الجورجي الاصل ، فزادت هذه الاجراءات من حدة النزاع التركي الايراني الناجم بصدد كردستان ، أدت الى الحرب ١٨٢١ ـ ١٨٣٢ (٦٢) ، كما الى المزيد من التنافر والتباعد بين الشيعة والسنّة •

وفيما بعد ، جاءت بريطانيا ، فكان حظها مع الجنوب (النجف) أسوأ من حظ الذين سبقوها ، على الرغم من حنكتها ، وطاقتها على الصبر ، وتغلغلها في الشطر السنّي من البلاد ، وقد اتّسم قسم كبير من أهله بالوفاء للانكليز، ليس سببه حبّ السنّة للحكم الاجنبي ، وانما كونهم «يشكّون في نيات الشيعة وفي الثورة التي قاموا بها»(٦٣) • وأياً كانت الدوافع ، فان تخطي الاعتبارات الطائفية ، في بلد مثل العراق ، أمر غير محتمل ، ولا يمكننا توقعه في المستقبل المنظور • وكيف يكون محتملا والجيش الفارسي يرابط على مشارف البصرة ، ويتبادل مع الجيش العراقي قصف المدن العراقية والايرانية ؟

اذا استقرّ الشيعة في العراق ، استقروا في كل مكان، واذا اضطربوا اضطرب الشرق والغرب •

---

(٦٢) المصدر نفسه : ص ٩٠
(٦٣) دور الشيعة : ص ١٤٨

يستطيع المجتهد الاكبر الشيعي ، ساعة يشاء ، أن يصنع ثورة تأكل ولا تشبع ، وتحرق الاخضر قبل اليابس، وتهدم ولا تبني • فتوى واحدة منه تفجّر البركان ، وتزلزل الارض • وان اجتمع المجتهدون الشيعة ، في جميع الاقطار ، الذين اليهم المرجع في الامور الدينية ـ ولطالما اجتمعوا ـ وأمروا بالعصيان ، فان أحدا لا يمكنه المهادنة أو المصالحة أو الدعوة الى السلْم • وكما الثورة تُشعلها فتوى من المجتهد ، كذلك الصلْح تفرضه فتوى من المجتهد أيضا • على أن الظالم « سوف يرى ما جنت يداه »[٦٤] •

هل يهادن الشيعة الإماميون وكيف ؟

ان المهادنة ، مثلما قلنا ، لا تكون الا بقرار أو فتوى من المرجع الاعلى • وقد سبق أن صالَح بعض الائمة خلفاء

(٦٤) نشرت مجلة « العرفان » اللبنانية (العددان ٧ و ٨ المجلد الرابع والسبعون ، أيلول ـ تشرين الاول ١٩٨٦) وثيقة فتاوى علماء الشيعة بمحاربة الشاه محمد علي (ص ١٧٢ / ١٧٣) ، وهي كانت صدرت في المجلة عينها، الجزء الخامس من المجلد الاول : جمادى الاولى ١٣٢٧ هـ/ ٢٩ أيار ١٩٠٩) وفيها أجاز مجمع الاسلام : الشيخ محمد كاظم الخراساني والسيد اسماعيل صدر الدين والشيخ محمد تقي والشيخ عبدالله المازندراني ، محاربة الشاه محمد علي والايقاع به لهتكه حرية الشرع الشريف .

عصرهم ، فانقسم الإماميون على أنفسهم الى فريقين :واحد مع المصالحة ، والآخر مع استمرار الثورة • وبين صيغة التأجيل وصيغة التعجيل تمزّق الشيعة فصاروا شيعا وأحزابا وهيئات • ومن الائمة الذين عملوا بصيغة التأجيل، أو قبلوا الصلح : علي بن أبي طالب (في معركة الخلافة)، وولده الحسن (صاحب معاوية) ، وعلي بن موسى الرضا (صاحب المأمون)[٦٥] • وأما المحيِّر والمثير هو أن هؤلاء الائمة أنفسهم قد قضوا قتلا : علي مات في مسجده بالسيف أو الخنجر ، والحسن والرضا ماتا بالسم ، على ما تقول مصادر الشيعة ومراجعهم •

لماذا يهادن إمام ويرفض آخر ؟

مما لا شك فيه ان لكل من الائمة ظروفه النفسية والسياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية • وليست المهادنة عيبا أو مذلة ، ولا المقاومة حتى الهلاك حق في المطلق • ودائما يوجد أمور قد لا يدركها سوى اصحاب العقل الراجح والنظر الثاقب والطبع الهادىء • والاصح

(٦٥) الشيخ محمد مهدي شمس الدين : أهداف المأمون من مشروع اسناد ولاية العهد للامام الرضا (ع) ، مجلة « العرفان » ـ العدد نفسه ، من ص ٥ الى ص ٧

من هذا وذاك ، في لغة السياسة ، هو أن أحدا لم يتراجع عن مطلبه الا متى شعر بضعفه وعجزه ، وأما المتأكدون من بأسهم وقدرتهم على الانتصار،فهؤلاء أمرهم صعب وشديد، لانهم يريدونه نافذا وواجبا لا يمكن اسقاطه .

لقد اختار الامام الرضا القبول على القتل . ولما سأله أحد أصحابه : « ما حملك على الدخول في ولاية العهد ؟ » رد قائلا : « ما حمل جدي (علي) على الدخول في الشورى » (٦٦) .

ان للشيخ محمد مهدي شمس الدين تفسيرا لهذا الرد هو الآتي :

« وعلينا أن نعي انه (ع) (الامام الرضا) كان مضطرا الى هذا التعليل البسيط والمقبول من عامة الناس . وهو اتقاء القتل ، أو التعليل الغامض الذي يجعل الامام عليا (ع) قدوة له مع الالتفات الى انه يتضمن في بعض دلالاته ومضامينه تعليل اتقاء القتل أيضا . علينا أن نعي الى انه كان مضطرا الى هذا الاسلوب من التعليل لانه لم يكن في وضع يمكّنه من الافصاح عن الاسباب العميقة لقبوله

---

(٦٦) المصدر نفسه : ص ١٧

لئلا تنكشف خطته ، وأسباب ضرورته ، وهدفه الحقيقي » (٦٧) .

من المفترَض أن يكون المأمون (الخليفة) عارفا بمجمل ما يخفي الامام الرضا ويخطط . ولكنها المهادنة ولو شكلا فقط . فمن جهة ، المأمون يراقب الامام ويتحراه بواسطة المخبرين والجواسيس من أعداء الطالبيين ومنافسيهم . ومن جهة أخرى الامام يبحث عن « يوم الحظ » في بيوت الناقمين والمبعَدين والمقهورين والمسحوقين ، وهو يحسب أن هذا اليوم لا بد آتٍ . بيد أن « الحظ » سقط في بئر أو سرداب ، وضاع الى الابد .

وعلى قول شمس الدين :

« لقد كان (الرضا) مراقبا . وكانت احاديثه ورسائله مراقبة . لقد كان يعيش الظروف التي عاشها الامام الحسن (ع) ويحمل غصصها . وهو يسمع من يقول له « السلام عليك يا مُذِلّ المؤمنين » دون أن يتمكن من شرح محنته للرأي العام ، وحتى للكثير من خاصته ، وكيف انه يستشهد في كل يوم وهو حي ، حفاظا على هؤلاء الذين يحبهم

---

(٦٧) المصدر نفسه .

ويحميهم بمهجته ، وهم يواجهونه بسوء الفهم ، وسوء التفسير ، وسوء التعبير » [٦٨] .

ان هذا التفسير يشجع على القول بأن الامام الرضا قد هجرته العامة من الاماميين ، وهذا أخطر ، على الامام والولاء السياسي له ، من السجن والتعذيب ، واخطر حتى من الاستشهاد . فالعامة الامامية لا تعرف منطقة متوسطة بين المُلك والموت . ولا تسمح للامام بأن يهادن أو يسكت عن حقه « المقدس » . والإمام ، عندها ، إما حاكم وإما شهيد . وكلما تكاثرت ، على الاماميين ، الفجائع والنكبات ، كلما ترسخت الامامية وقويت واشتدّت ، أو كما يقول الشاعر الحسيني السيد حيدر الحلي [٦٩] في رثائه الحسين:

« دفَنوا النبوّة وحيْها وكتابها
بك والإمامة حكمها وقضاءها

(٦٨) المصدر نفسه .

(٦٩) هو حيدر بن سلميان الكبير (١٨٣٦ - ١٨٨٧ م) وينتهي نسبه الى الامام علي بن ابي طالب . من شعراء العراق . عرف بشاعر أهل البيت . ولد وتوفي بالحلة . له ديوان « الدرّ اليتيم » و « العقد المفصل » في الادب والتاريخ . يمكن النظر الى ترجمته في «الايديولوجية الشيعية في رثاء الحسين » .

لا ابيضَّ يوم بعد يومك انه
ثكلت سماء الدين فيه ذكاءها

وحَشَا ابن فاطمة بعرصة كربلا
يروي غليلا وهو كان رواءها

فلتطبق الخضراء في أفلاكها
حتى تصكّ على الورى غبراءها

فوديعة الرحمان بين عباده
قد أودعته أميّة رمضاءها

حشدتْ كتائبها على ابن محمد
بالطفّ حيث تذكرت آباءها » [٧٠]

نظرة مستقبلية

في الكوفة تم مصرع الامام علي ،وفي كربلاء استشهد الامام الحسين ، فكأن النبوّة قد استشهدت معه ، مثلما استشهدت الامامة .

هل للشيعة أن يسمحوا بإباحة هذه الارض «المقدسة» التي تحتضن عليا والحسين ؟

(٧٠) الديوان : ج ١ ص ٥١ ، نقله محمد كامل سليمان في الايديولوجية الشيعية : ص ٩٨/٩٩

الامام إما حاكم وإما شهيد أو غائب !

وكربلاء ستبقى كرْباً وبلاءً .

فما على الخميني ، الذي بشّر به الامام الصدر قبل غيبته ، الا أن يتابع القتال ، الى أن يصل إيران بالعراق ، وتالياً ببعلبك وجبل عامل ، ولربما بمكة أيضا وقد سبق للخميني أن قال مرة في نداء له الى « حجاج بيت الله الحرام » والى « الامة الاسلامية » بمناسبة الحج وعيد الأضحى : « ان الكعبة المعظمة هي المركز الوحيد لتحطيم الاصنام والتي أعلن خليل الله ابراهيم (ع) منها نداء التوحيد في أول الزمان ومن ثم حبيب الله محمد (ص) ، وسيصدح به ابنه العزيز المهدي الموعود روحي فداه في آخر الزمان » (٧١) .

وبهذا يكون قد أحيا الدولة المهدوية ، وحقق الوعد الذي ابتلى الله به الشيعة الاماميين .

الخميني ، باعث الدولة المهدوية ، يهدد العراق والخليج وكل العرب ، من دون أن ينسى الغرب والشرق .

---

(٧١) مجلة « المنطلق » الصادرة عن الاتحاد اللبناني للطلبة المسلمين ، العدد الثاني والعشرون محرم ١٤٠٣ هـ ـ تشرين الثاني ١٩٨٣ م . ص ٥

الخميني إما حاكم وإما مقتول . وليس مقبولا منه أن يغيب أو يختفي ،وقد غاب من قبله الامام الصدر .فان العصر الواحد لا يحتمل غائبين بل لكل عصر غائب واحد فحسب .

أهي « لعبة الامم » ؟

أم ان الدولة الشيعية المهدوية بدأت بالبزوغ ؟

ماذا يقول « الكبار » ؟

ماذا يقول السنّة ؟

ماذا يقول اليهود والنصارى وسائر الاقليات ؟

ماذا يقول العرب القوميون والوطنيون والتقدميون؟

لعلّ صانعي الاسلحة وحدهم يملكون الجواب القاطع والمسؤول .وربما لانهم يعرفون «السر» ، فهم لا يرغبون في الرد أو الكلام !

وعلى كل ، فان بعث الدولة الشيعية المهدوية ، وعلى يد الخميني بالذات ، قد لا يضر بمصالح صانعي الاسلحة والموت « الحضاري » ، ولا يمنع « الكبار » من ممارسة نفوذهم على « النجوم » ، والتفكير في تسوية الصراعات الدائرة في المنطقة .

الفصل الرابع

بين الشخصيّة اليهوديّة
والشخصيّة العربيّة الاسلاميّة

"من كان يريد العاجلة عجّلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثمّ جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً. ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً. كلاً نمدّ هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربّك محظوراً. أنظر كيف فضّلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً" (١)

(١) سورة الاسراء: ١٨-٢١

تمهيد

لماذا يكره العربُ اليهود ؟

لماذا اليهود يغفلون ذكر العرب ؟

ان هذين السؤالين هما مطروحان للبحث والمناقشة، كما لو أن أياً من الفريقين لم تمزقه الايام ولا الاحداث • فهل من جواب ينقّي الصدور من الاحقاد ، ويحرر الانفس من العقد ، ويطرد من الأعين شوائب العقائد ، ومن العقول رواسب التاريخ وآثار الازمنة ؟

لقد قيل الكثير في هذا الموضوع ، وكُتب ما قد كُتب ، ولكن المسألة ازدادت تعقيـدا ، والجواب خفـي مأخذه ومعناه ، حتى تكثفت الحواجز بينهما ، واتسعت المساحات المحروقة أو الملغومة ، وتلاشى ، أو كاد يزول ، الامل بالسلام والتعـايش ، فظلّت الحرب ، بالنسبة الى هذه الامة او تلك ، هي الحياة ، بل القوة التي تعمل على الوحدة ولمّ الشمل وجمع الكلمة •

في الذاكرة اليهودية ، مثلما في الذاكرة العربية ، آلام ومصائب وأحزان ، قد يتعذّر فهمها وتفسيرها ، ولكنها بكل تأكيد تمنعنا حتى عن الاحلام ! ولعلّ الخطر الاكبر على السلام المشرقي هو أن اليهودي ، كما العربي، يحسب نفسه « الحمل الوديع » و « الضحية » ويحسب خصمه « الذئب » الخاطف والمفترس ، بينما الحقيقة هي ان كليهما « الحمل » و « الذئب » في آن معا •

وما يقال في المسألة اليهودية ـ العربية ، يقال كذلك في المسألة اليهودية ـ الاوروبية الغربية ، والمسألة اليهودية ـ الاوروبية والشرقية ، على ما في التأريخ من خطأ وصواب ، وظلم وانصاف ، وانحراف واعتدال ، وصراحة وإبهام ، وتنوير وتضليل • فمنذ بداية النصف الثاني من القرن العشرين ، ما عاد جائزا حصر الخطأ في الدائرة اليهودية دون سواها ، ولا في الدائرة العربية دون سواها ، وانما يجب توزيع هذا الخطأ وهذه المسؤولية ، على اليهود وكل الامم والشعوب التي حاربها هؤلاء أو خاصموها أو نازعوها ، على أن لا نستبدل حق هذا بباطل ذاك ، ولا باطل ذاك بحق هذا • ان هذه الامور وما يشبهها تفترض الرفق وحسن التدبير ، أما الخفية فغالبا ما تؤدي الى التهوّر، وإجراء الامر على وجهه ومجراه يذلّل الصعوبات

مهما تكن قوية وعنيدة •

لماذا يكره العرب اليهود ؟

لماذا اليهود يغفلون ذكر العرب ؟

لكي نعرف الجواب ، ينبغي لنا أن نقرأ وندرس ونحلّل ما قالته هذه الجهة وتلك ، لا أن نقرأ بعين واحدة ، ونسمع باذن واحدة ، وتتنفس برئة واحدة • فما مضى هو جزء قليل مما ينتظرنا ، فإما أن نجلو الحقائق الصعبة ونسمو بالاهداف والوسائل ، وإما الصمت حتى يأتي اليوم الموعود ؟

لعنة التاريخ

في عام ١٩٦٨ كتب أحد الادباء الاسرائيليين ممن وُلدوا في فلسطين (اسرائيل) وهو موشيه شامير يقول:

« لقد دُعي ابني على اسم أخي الذي استشهد في حرب ١٩٤٨ ، وكان هذا منذ عشرين سنة تماما ، عندما أخذت أشجار اللوز تزهر • وقد سُميتُ أنا باسم عمي الذي استشهد في خدمة الجيش الاحمر على أبواب وارسو، وكان هذا في عام ١٩٢٠ ، وسُمّي أبي باسم عمه الذي قتله الفلاحون الهائجون في أوكرانيا ، وكان هذا عام ١٨٩١ • هل ما زلنا في بداية الطريق ؟ أم في منتصفه ؟ أم

في نهايته ؟ انني أعرف شيئا واحدا فحسب وهو انه طوال نصف القرن الذي عشته لم يفارق الخوف من الموت منزلنا » [١] .

وفي كانون الاول ١٩٨٥ ، كتب خالد عايد ، في مقدمة كتابه « الاستعمار الاستيطاني للمناطق العربية المحتلة » (خلال عهد الليكود ١٩٧٧ ـ ١٩٨٤) [٢] ما يلي :

« منذ أكثر من مئة عام ، يتواصل مشروع الاستعمار الاستيطاني الصهيوني لفلسطين العربية ، على طريق استكمال تهويد فلسطين وأراضٍ عربية أخرى ، وتحويلها الى قاعدة للعدوان الامبريالي على عموم الوطن العربي . وعلى الرغم من اختلاف المراحل التي مرّ بها هذا المشروع، فان وسائله ظلت من دون تغيير أساسي : الاستيلاء على الارض بشتى الطرق وبأي ثمن ، اجلاء اصحاب الارض العرب بمختلف وسائل الارهاب والتضييق على لقمة العيش،

(١) د. رشاد عبدالله الشامي : الشخصية اليهودية الاسرائيلية والروح العدوانية ، سلسلة دار المعرفة ـ الكويت ، العدد ١٠٢ رمضان ـ ١٤٠٦ هـ / يونيو (حزيران) ١٩٨٦ ، ص ٢٤٤ ، نقلا عن ايلون عاموس : الاسرائيليون المؤسسون والابناء ، ص ٢٢٥

(٢) ٢٦٧ صفحة ، الى ملاحق وخرائط ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ـ بيروت ، الطبعة الاولى ١٩٨٦

استقدام الامكانات البشرية والمالية والعسكرية الضرورية لاقامة المستعمرات الاستيطانية ودعمها » [٣] .

يتضح مما تقدم أن اليهودي له مطلب ، والفلسطيني ـ العربي له مطلب مماثل ، ولكي ينال أحدهما ما يريد فمعناه ان الآخر سيخسر ، بل يجب أن يخسر ، ما يراه حقا وملكا طبيعيا له . فيما يعتقد كلاهما أن من ضاع ملكه ضاعت شخصيته وتمزقت حياته . حريٌ بنا أن نعرف أن ليفي أشكول الاسرائيلي قد « عدّ المساهمات اليهودية التي تتم على « أرض أجنبية » محض خيانة للروح اليهودية الخالصة » [٤] ، كما وان وايزمان قد بيّن « أن في أعماق كل يهودي صهيونيا كامنا ، وان أولئك اليهود الذين يتساوى ولاؤهم القومي اليهودي مع ولائهم لاوطانهم جديرون بالرثاء والاحتقار » [٥] .

من الطبيعي ، والحالة هذه ، أن يخشى اليهوديُ

(٣) خالد عايد : المصدر نفسه ، المقدمة ص ١٧

(٤) خالد عبد الوهاب محمد المسيري : الايديولوجية الصهيونية (دراسة حالة في عالم اجتماع المعرفة) ، سلسلة عالم المعرفة ـ الكويت ، العدد ٦٠ صفر ـ ربيع الاول ١٤٠٣ هـ / ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٢ ، ص ٢٧٤ .

(٥) المصدر نفسه .

الفلسطيني ـ العربي ، وبالعكس •

ومن الطبيعي أيضا أن يستمر البحث عن السلام العادل والحل الجذري لهذا المأزق الفظيع الشديد • بيد ان الذي يؤسف له هو ان القضية الفلسطينية قد تمدّدت حتى لبنان وسوريا والاردن ومصر ، وربما الى ابعد من ذلك ، مما جعل أمن تلك البلاد، وبخاصة لبنان ، في اضطراب رهيب ، واقتصادها في عجز شبه دائم • فكأن لعنة التاريخ تأبى ان تفارقنا •

ابعد من إيفران

لقد استضاف الملك المغربي الحسن الثاني ، في الثاني والعشرين من تموز ١٩٨٦ ، رئيس الوزراء الاسرائيلي شمعون بيريز ، في قصره بإيفران ، فأحدثت هذه المبادرة ضجة عالمية واقليمية كادت تغطي على سائر الاحداث وتوجّه السفينة نحو السلام الشرق ـ الاوسطي ، الا ان النتيجة جاءت « سلبية لاسرائيل » [٦] على قول الحسن الثاني نفسه ، وأظهرت هذه القمة ان اسرائيل « لا ترغب في التنازل عن شيء » [٧] ، و « ان المشكلة لم تعد القرار ٢٤٢ و ٣٣٨ أو الضمانات لامن اسرائيل كشرط مسبق

(٦) النهار : ١٩٨٦/٨/٨
(٧) المصدر نفسه .

لقبول الدولة اليهودية حقوق الفلسطينيين بل كانت رغبة اسرائيل الدائمة والمتعنتة في عدم التنازل عن أي شيء »[٨] •

وبدلا من أن يشجع الملك المغربي الحكام العرب او بعضهم ، على عقد لقاءات ولو جانبية مع المسؤولين الاسرائيليين ، اعلن قائلا : « اذا اندلعت حرب جديدة لسبب أو لآخر بين العرب واسرائيل سيكون المغرب في طليعة المقاتلين العرب » ، وأضاف « ان هذا تعهد نهائي من جانبي لن أعود عنه ما دمت حيا • لا أريد أن يُطرح عليّ هذا السؤال في المستقبل لان ليست للمسلم سوى كلمة واحدة » [٩] •

وفي عرض للمراحل التي مرّت بها القضية العربية ذكر الملك المغربي ان العرب « خسروا مدينة القدس عام ١٩٦٧ بسبب اتصال هاتفي بين الرئيس الراحل جمال عبد الناصر والملك حسين • ووصف هذا الاتصال بأنه «كذبة العصر » ، مشيرا الى تسجيل لهذا الاتصال في بداية حرب حزيران والى ان الملك حسين اسمعه للمشاركين في قمة الخرطوم • وقد دعا الرئيس المصري الراحل في ذلك الاتصال ، العاهل الاردني الى « المشاركة في النصر بعدما

(٨) المصدر نفسه .
(٩) المصدر نفسه .

صارت القوات المصرية على بعد كيلومترات من تل ابيب، عندئذ أمر الملك حسين جيشه بدخول الحرب . وهكذا خسرنا الضفة الغربية والقدس » (١٠) .

يُفهم ان الحرب خدعة ، أما أن يَخدع العرب بعضهم بعضا لاجل اسرائيل ، فهذا أمر كم كان سيصعب تصديقه لولا سقوط القدس والضفة وتهويدهما !

لذلك تبقى الدراسات والابحاث العربية ، ولا سيما منها الفلسطينية ، في الايديولوجية الصهيونية ، والشخصية اليهودية الاسرائيلية ، والارهاب الصهيوني ، والعسكرية الصهيونية ، والآداب الصهيونية ، وأرض الميعاد ، مجرد أعمال أكاديمية ، أو شبه أكاديمية ،لا تختصر حرب الشعوب المجرّحة والمعقّدة ، ولا تصنع السلام . اذ ان هزيمة ١٩٦٧ قد أدخلت العرب والمسلمين في النكسة ، فصارت — منذئذ — أعمالهم الادبية والفكرية والثقافية والسياسية، وحتى الاقتصادية والتعليمية ، من « افرازات » هذه النكسة ، يسودها ويغلب عليها الشعور بالذل والخيبة والعار ، الامر الذي نجد نقيضه في الاعمال الاسرائيلية .

---

(١٠) المصدر نفسه .

يقول الدكتور رشاد عبدالله الشامي[١١] :

« وبالرغم من ان الدين اليهودي ، كدين سماوي ، يحتوي على الكثير من التعاليم السماوية التي تحض على الخير ونبذ الشر ، الا ان المحاولات التي تمت على يد حاخامات اليهود ، بعد ان تم تدوين التراث الشفهي اليهودي (التلمود) ، الذي يضم بين دفتيه اجتهادات هؤلاء الحاخامات في تفسير الدين اليهودي . أدخلت الى

---

(١١) حصل على الدكتوراه في الفكر الصهيوني الحديث من جامعة عين شمس ١٩٧٣ . نشر له العديد من الدراسات والابحاث والمقالات في المجالات الثقافية والفكرية في العالم العربي : شؤون فلسطينية — البيان « الكويتية » — الدوحة « القطرية » — العلم « المغربية » — السياسة الدولية « القاهرية » — الهلال « القاهرية » — الاسبوع العربي « البيروتية » — الشراع « البيروتية » — المساء «القاهرية»— الجمهورية « القاهرية » وغيرها .

صدرت له الكتب التالية :

— انشاء وتطوير سلاح الطيران الاسرائيلي (ترجمة)— قواعد اللغة العبرية للمبتدئين — تاريخ وتطور اللغة العبرية— لمحات من الادب العبري الحديث — الفلسطينيون في الادب الاسرائيلي والاحساس الزائف بالذنب (مؤسسة الابحاث العربية) آثار الحروب على المجتمع الاسرائيلي (مؤسسة الابحاث العربية) .

يعمل حاليا استاذا ورئيسا لقسم اللغة العبرية وآدابها بجامعة عين شمس .

الدين اليهودي مجموعة من الافكار المحورية ، خلقت عند اليهود ، استعدادا للانعزال عن الاغيار ، وعمّقت بعض العقائد لدى اليهود ، مثل عقيدة « شعب الله المختار » ، و « الشعب المقدس » ، و « انتظار المسيح المخلص » ، وغيرها من العقائد التي اكدت مع مرور الاجيال انفصالية اليهود واحساسهم بالتميز والتفرد »[١٢] .

هل معنى هذا ان الدين اليهودي قد أساء اليه المفسرون والشراح والمجتهدون حتى شوّهوه ؟

اذا كان هذا صحيحا ، وهو كذلك نسبيا ، الا ينطبق هذا القول على الاسلام ايضا ؟

ان نشر الدين ، اي دين ، على الناس ، لا بد له من العصبية والتشوّف والعنف والكفاح المسلح والاساطير والخرافات . على ان هذا لا ينفي الرحمة والمعاملة الحسنة والدعوة الى الحوار والتفاهم والتعاون . واذ قيل : « ظلّ السلطان سريع الزوال » ، قيل ايضا : « العبد يُقرع بالعصا والحر تكفيه الاشارة » . ولا غرابة اذا ما قال بعضهم : « رُبّ عِتْقٍ شرٌّ من رق » .

---

(١٢) الشخصية اليهودية : ص ٢٢

ألم يقل محمد (النبي) لاهله وبني قومه : « كنتم خير امة أُخرِجت للناس » ؟

ألم يكرّم المسلمون مكة ويكرّسوها « مدينة الله » وهي التي « كان الناس يحجون اليها والى موضع البيت قبل ابراهيم حتى بوّأ الله مكانه ، بعد أن أوحى اليه بناءه . وكان يومئذ في الشام (وقيل في أرمينية) عندها أقبل على البراق يتبع السكينة وهي ريح هفافة ـ أي ساكنة طيبة ـ لها وجه متكلم ، وجناحان » ؟[١٣] .

اذا الامة الاسلامية « لا تجتمع على ضلال » ، حسبما يقول النبي ، والامة اليهودية هي « امة مطلقة مقدسة »[١٤] ، فلماذا الصراع بينهما اذاً ؟! ولماذا لم يتم الدمج اليهودي ـ الاسلامي « المقدس » حتى الآن ؟!

الحقيقة هي ان هذه المسألة أبعد من إيفران وأبعد من القاهرة (*) .

---

(١٣) محمود سليم الحوت : في طريق الميثولوجيا عند العرب ، طبعة دار النهار للنشر ، طبعة ١٩٧٩ ، ص ١٢٨
(١٤) الايديولوجية الصهيونية : ص ٢٣٤
(*) يجب التذكير باللقاء الذي تم بين الرئيس المصري حسني مبارك ونائب رئيس الوزراء الاسرائيلي ، وزير خارجية اسرائيل ، شمعون بيريز ، في القاهرة ، والبيان الصادر عنهما =

كل الامم « مقدسة » بشكل او آخر • والنزاع بينها انما هو من أجل المحافظة على «الامتيازات الالهية» ـ لدى كل أمة ـ التي تبرر سائر الامتيازات والخصوصيات •

يقول موشيه ليلينبلوم :

« ان الامـة (اليهوديـة) كلها هـي أعز من كـل التقسيمات المتصلبـة المتعلقـة بالامور الارثوذكسية او الليبرالية في الدين • عندمـا يتعلق الامر بالامة يجب ان تختفي الطائفية ••• فلا مؤمنون ولا كفـار ، بل الجميع

=

يـوم ١٩٨٧/٢/٢٧ ، وفيـه أكد الجانبان من جديد على الالتزام الذي أعلن في الاسكندرية في أيلول ١٩٨٦ ،بالتحرك بفعالية نحو تحقيق سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط ، واكّدا أيضا على ضرورة اتخاذ الاجراءات الضروريةللاسراع بعملية السلام والتوصل الى اتفاق على عقد المؤتمر الدولي للسلام ، الذي ما انفكت مـوسكو تدعو له . على ان هـذا الاجتماع المصري ـ الاسرائيلي ، قد انعقد فيما كان المحامون المصريون يحرقون العلم الاسرائيلي ••• (انظر صحف ٢٨/ ١٩٨٧/٢) •• وبعد مضي يومين على البيان المذكور نشبت اضطرابات طائفية في جنوب مصر،فأضرم مسلمون متطرفون النار في ثلاث كنائس في جنوب مصر بعدما شب حريق يعتقد أن احتكاكا كهربائيا تسبب فيه في جامع(النهار ١٩٨٧/٣/١) نقلا عن : « الاهرام » و « الاخبار» المصريتين ١٩٨٧/٣/١

أبنـاء ابـراهيم واسحق ويعقـوب • • • لاننـا كلنـا مقدسون ، كل واحـد منا ، سواء كنـا غير مؤمنين او اورثوذكسيين »(١٥) •

ويقول القرآن :

« يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم ، فان تنازعتم في شيء فردّوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلـك خير وأحسن عملا »(١٦) •

اذاً ، لا شيء يدعو ، مبدئيا الى التفرقة والخصومة • واذا ما وُجد عنصر تباين وتباعـد فيجب قمعه وإخماده ، بل يجب ردّه الى الامـة ، كما عند اليهود ، والى اللـه والرسول وأولي الامر (منا) منكم ، كما عند المسلمين •

ويرى كارل ماركس انه « لا يمكن للروابط القانونية ـ تماما كاشكال الدولـة ـ أن تُفهم لا عن طريقها هي

---

(١٥) المصدر نفسه ص ٢٢٦
(١٦) النساء : ١٥

بالذات ، ولا عن طريق تطور الروح البشرية ، انهـا على العكس تضرب بجذورهـا عميقـا ، في خضم الشروط المادية للوجود »[17] .

الا قلنا ان الدولة الماركسية هي الامة اليهودية ، التي هي الله والرسول وأولو الامر المسلمون ؟

لماذا يكره العربُ اليهود ؟

لماذا اليهود يغفلون ذكر العرب ؟

ان الكتابة من أجل الكتابة قد مضى عهدها ، على ما اعتقد ، وليس من حاجة اليهـا ، وقد تعددت العلوم والاجتهادات والمصطلحات . ولا بد من أن نذهب عميقا في كتاباتنا ، أو نلغي الكتابـة ، وتتوقف عن التفكير المعـاد والاجتراري والمعور المقطّب غضبا .

---

(١٧) انظر الفصل الخامس (السيادة العليا والسلطات السياسية في الاسلام) من كتاب « تاريخية الفكر العربي الاسلامي » للدكتور محمد اركون ، منشورات مركز الانماء القومي – بيروت ، طبعة أولى ١٩٨٦ من ص ١٦٥ الى ص ١٩٢

يقول الدكتور عبد الوهاب المسيري[18] :

« وحينما نشر (تيودور) هرتزل كتابه : (الدولـة اليهودية) اتهمه بعض اليهود بأنه تقاضى مبلغـا ضخما من شركة اراضٍ بريطانيـة تود القيـام بأعمال تجاريـة في فلسطين . وعلّق هو (هرتزل) على هذا الاتهام بقوله : « ان اليهود لا يصدّقون ان اي شخص يمكن ان يتصرف مدفوعا باقتناع اخلاقي »[19] .

من المؤكد ان الحركات السياسية والفكرية والدينية

---

(١٨) حصل على الدكتـوراه في الادب المقارن من جامعـة رتجرز بالولايات المتحدة . شغل وظيفة خبير (الصهيونية) بمركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام . عمل مستشارا ثقافيا للوفد الدائم لجامعة الدول العربية بهيئة الامم المتحدة بين عامي ١٩٧٥ – ١٩٧٦ م. يعمل الآن استاذا للادب الانجليزي بجامعة عين شمس بالقاهرة . من مؤلفاته:

- موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية : رؤيـة نقدية
- اسرائيل وجنوب افريقيا ، تطور العلاقـة بينهمـا (بالانجليزية)
- الشعر الرومانتيكي الانجليزي ، النصوص الاساسية وبعض الدراسات التاريخية والنقدية .

(١٩) الايديولوجية الصهيونية : ص ٢٥٦

جميعها تتطلب المال والمساعدات على اختلاف انواعها ، خصوصا في فترتي النشوء والطفولة • هرتزل أخذ المال من بريطانيين وغير بريطانيين • هرتزل مدّ يده الى أثرياء اليهود وفرض عليهم « الضرائب » من اجل تنفيذ « المشروع الصهيوني » ••• ولولا المساعدات المالية الضخمة التي بذلها اغنياء اليهود واصدقاؤهم لظل « المشروع الهرتزلي » خاطرا بل هاجساً فحسب •

لنتذكرْ كيف ولدت « المقاومة الفلسطينية » مثلا !

هذه « المقاومة » الفقيرة كيف اصبحت ، خلال عقد من السنين او اقل ، غنية تستطيع تسليف اكثر من دولة عربية ؟ ومن أين لها المال والسلاح ؟

ماذا يقول ياسر عرفات ، رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، لو ان احدى الدول العربية تخلفت عن دفع ما هو مفروض عليها لصندوق المنظمة ؟ ان اقل ما يفعله هذا « النبي » الفلسطيني المسلّح هو الحكم عليها بالخيانة حتى تؤدي « الواجب » القومي والوطني ، وكان الله بعونها اذا هي احتجت او رفضت او كفّت عن هذا الامر •

الله والسلطة والمال ، كلها قوى لا غنى عنها • وكما عرفات كما هرتزل • اليهودي يقتل باليمين ، والفلسطيني

يقتل باليسار • هكذا في الزمن التوراتي ، وهكذا في كل زمان ومكان • النازيون ايضا قتلوا باليمين ، ثم باليسار ، حتى ولدت دولة « اسرائيل » • ودائما الصورة قاتمة وبشعة ومقلوبة • فما كنت سأنظر اليها لولا بعض الباحثين العرب •

ما الذي كان سيحدث لو ان اوروبا المسيحية لم تدفع باليهود الى « الجيتو » ؟

يقول الدكتور رشاد الشامي :

« وقد فسر المؤرخون جميعا محافظة اليهود على انفسهم كنتيجة للاخلاص لدينهم او لقوميتهم الذي برهنوا عليه عبر القرون • ولكن ابراهام ليون في كتابه « المفهوم المادي للمسألة اليهودية » يرى « ان دراسة الدور الاقتصادي لليهود هو الذي يساهم ، لا غيره ، في توضيح اسباب « المعجزة اليهودية » ، وهو يستند في هذا الى فكر ماركس في كتابه « المسألة اليهودية » الذي اوضح فيه انه « يجب ألا نبحث عن سر اليهودي في دينه ، بل فلنبحثْ عن سر الدين في اليهودي الواقعي» •

أضاف :

« ومعنى هذا لا ننطلق من الدين لتفسير التاريخ اليهودي ، بل على العكس من ذلك ، علينا ان نفسر

المحافظة على الدين او القومية اليهودية ، انطلاق من « اليهودي الواقعي » ، اي من دور اليهودي الاقتصادي والاجتماعي ، لانه ليست هناك اية معجزة في الاستمرارية اليهودية « اليهودية لم تستمر بالرغم من التاريخ ، بل سارت معه »[٢٠] .

ويقول الدكتور عبد الوهاب المسيري :

« ان بعض المجتمعات التي استغنت عن وظيفة اليهود التقليدية كانت قد بدأت في محاولة تخليص اليهود من « هامشيتهم » وتحويلهم الى قطاع اقتصادي منتج ، ولكن معدل النمو السريع لم يسمح بالفترة الزمنية اللازمة لانجاز هذا الهدف ، كما ان الدول الاخرى من اوروبا لم تكن في حاجة اليهم . وكما قال موشيه ليلينبلوم : « ان حركة الاتصال سريعة . ان امم اوروبا اصبحت تجيد فنون التجارة كاليهود ، لذا فهم ليسوا بحاجة الينا ... فالى أين سنهرب ؟ »[٢١] .

لقد عرفنا ما فعلته أوروبا المسيحية : الشرقية والغربية، مع اليهود ، فهل عرفنا ما الذي فعلناه ، نحن العرب ، ونفعله مع اليهود والفلسطينيين ؟

---

(٢٠) الشخصية اليهودية : ص ٢٣/٢٢

الاصبع اليهودي
والحاكم الاسلامي

التجارة للعربي كما لليهودي . التجارة والاسلام حاجتان عربيتان لا بد منهما . من مكة والمدينة انطلق الصراع الاسلامي ــ اليهودي عنيفا ، غايته هدم تجارة لحساب التجارة الاخرى ، وهدم دين لحساب الدين الآخر . ولما انتصر المسلمون انتشر اليهود في الارض ما عدا البعض منهم ، وهؤلاء اسلموا فاغنوا العقيدة (الاسلام) بالافكار والمعتقدات التوراتية والتلمودية ، ومدوا النبي بالمال وباثنتين من نسائه : صفيّة وجويرية ، ومنهم من اتّهم بالتآمر على الاسلام ، وباثارة الفتن ، وبث الآراء « الفاسدة » والمقترحات « الهدامة » .

بعدما قرأ هرتزل احدى روايات الالماني فيلهلم جنسين وهي « يهود كولونيا » ــ فيها يُظهر كاتبها تعاطفا مع يهود العصور الوسطى ــ أحسّ (هرتزل) بأن المسألة اليهودية قد فرضَت نفسها عليه ، فكتب قائلا :

« كثيرا ما يعطي اليهود الانطباع المؤسف بأنهم مثل ابناء العائلات القديمة الذين يستطيعون أن يفعلوا أي شيء ما عدا أن يعملوا بشرف بايديهم . ولكن اليهود كانوا كذلك ، وما زالوا كذلك ، لان جدران الجيتو (Ghetto) التي اقامها التعصب تغلق عقولهم وأجسادهم ،

ولانهم منعوا من تحسن سلالتهم عن طريق التهجين مع الاجناس الاخرى • ولو كان مسموحا بالتزاوج بينهم وبين الاجناس الأخرى بدون عوائق ــ يمكن أن يعود بالخير العميم على الاجناس الحديثة وعلى اليهود كذلك ــ لأعقب ذلك التحسن النفسي بسرعة كبيرة » •

أضاف :

« والسبب في أن لليهود هيئة جسدية وعقلية مختلفة ــ غريبة بل وللاسف محتقرَة ــ لا يعود الى انهم احتفظوا بـ « نقائهم » الخاص (أو عدم نقائهم كيفما كانت وجهة نظرك) كما جلبوه معهم من آسيا • بل يرجع الى انهم نادرا ما يختلطون باندادهم من عائلات الامم الاخرى »[٢٢] •

أهكذا تفعل الآلاف الاربعة او الثلاثة من السنين في امة تتمسك بدينها وقوميتها ؟ ام انها العذابات المتكررة والاضطهادات المستمرة ، التي يحلو للاكثرية أن تمارسها على الاقليات ؟

---

(٢٢) هرتزل (أول دراسة موضوعية عن حياة مؤسس الحركة الصهيونية) ، تأليف : ديزموند ستيوارت ، ترجمة: فوزي وفاء وابراهيم منصور ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، طبعة اولى ١٩٧٤ ، ص ١٠١/١٠٢

لنبقَ مع هرتزل ، حيث يرسم الحل الذي يشبه الخيال او الوهم ، لهذه المعضلة ، اذ يقول :

« والحل الوحيد للمسألة اليهودية هو تشجيع احداث تحسن عام في الصورة الجسدية والمجازية للامة • والتهجين بين الاجناس الغربية وبين ما يسمى بالاجناس الشرقية ــ على اساس دين واحد للدولة ــ هو الحل العظيم الذي يجب أن نرغب فيه • وبدون الجيتو الكئيب ، والذي ظل تأثيره قائما بعد ان تحطمت جدرانه بمدة طويلة ، والذي يشبه خاتما ضيقا لا تزال تشعر به يخنق اصبعك بعد مدة طويلة من خلعه او قطعه ــ وبدون الجيتو الذي لا يزال ، بشكل غير مرئي ، يحد من رؤية طبقات اليهود الدنيا ، بل وكثير من اليهود المتعلمين ايضا ، وبدون جيتو اليوم والبارحة الشريد ، لم يكن هذا الخاتم الضيق في اصبع البشرية والذي ندعوه باليهود ليتطور ــ أو ليسيء التطور كما فعل • فقط لندعْ هذا الاصبع المعذَّب يتحرك اخيرا في حرية وبدون قيود أو ضغوط ، وسريعا ما سوف يختفي الم الاختناق مثل ذكرى كئيبة ، كما سوف يختفي الخط الغائر الذي صنعه الخاتم الضيق ، وسيتحرك هذا الاصبع في حرية ونشاط مع باقي الاصابع من اجل خير الانسانية »[٢٣] •

---

(٢٣) المصدر نفسه .

قبل الاستفسار عمّن يكون هو الاصبع او الخاتم . تتوجه الى الأكثرية ، كل اكثرية ، بالسؤال التالي :

— هل حرية المعتقد خطر كبير أم لا ؟

قد تؤثر الأكثرية الصمت على الجواب . اما وان ردّت فستدّعي ، حتما ، التسامح وحب العدالة واحترام الحريات ، ولاسيما منها حرية المعتقد . في حين ان لسان حال هذه الاكثرية او تلك يقول : « ان من المستحيل على اليهود ان يلحقوا بركب التطور بالطريقة التي كان يريدها هرتزل » على رأي دوهرنغ الذائع الصيت[٢٤] .

من المؤكد ان حكما كهذا باردا وقاسيا يستدعي الجواب الآتي :

« وعلى اية حال ، فبعد أن تطرد اليهود من المحاكم ومكاتب المحاماة والطب والسياسة ، كيف يمكن لهؤلاء المساكين أن يعيشوا دون أن يقرضوا النقود أو يعلموا الصغار ، أو يشفوا المرضى ، أو ينصحوا المتهمين ، أو يخدموا الدولة ، أو يكتبوا في الصحافة ، أو يبيعوا كتبهم أو أي شيء آخر »[٢٥] .

---

(٢٤) المصدر نفسه .

(٢٥) المصدر نفسه ص ١٠٣/١٠٤

انني اعرف ان الغضب العربي والاسلامي على تيودور هرتزل ثابت وشديد . اما الذي ينبغي لنا ، جميعا ، ان ندركه فهو ان هرتزل نفسه « نبي » يهودي ، بل صورة متطورة لكل من موسى وداود وسليمان وصالح وهود وايليا (الياس) واليشاع وشمعون (سمعان بن يعقوب بن اسحق) ويوسف واشعيا ، وهؤلاء هم من انبياء اليهود الذين كرمهم القرآن أيّما تكريم . فمن يكرّم ويعظّم موسى وداود وسليمان وغيرهم ، الا يكرّم ويعظّم هرتزل ؟

يقول الدكتور عبد الوهاب المسيري :

« ولعل تماثل بنية الصهيونية مع بنية الاساطير اليهودية القديمة يظهر في موقف الصهاينة من فكرة النبوة . وكلمة « نبي » في العبرية تعني « من يتحدث باسم الله » أو من « يتحدث الله من خلاله » . وتعدد الانبياء واختلاف رسالاتهم يرجع الى سمة خاصة باليهودية تميزها عن غيرها من الاديان . فالوحي ليس مقصورا على نبي او رسول واحد — كما هو الحال في الاسلام والمسيحية — بل نجده ينتقل من نبي الى نبي ، لان احدى هبات الله لاسرائيل — بحسب تصور الحاخامات — هي أنه أرسل ، وسيرسل لها دائما ، عددا من الانبياء يكمّلون الطرق العادية للارشاد والهداية » .

أضاف :

« وقد تمنى موسى على الله ان (يكون كل افراد شعبه من الانبياء) ، وهذا ما يمكن تسميته « بتقاليد النبوة المنفتحة والمتاحة لكل فرد في كل زمان ومكان ، على عكس الاسلام الذي انزل على « خاتم المرسلين »[٢٦] .

موسى (النبي) يدعو اليهود لان يكونوا كلهم انبياء ، ومحمد (النبي) يأمر بقفل باب النبوة والوحي الى الابد . واذ يطلب الشعب اليهودي التفوق والعظمة والسلطان على كل العالم ، فانما يطلب ما هو دون النبوة التي يدعوه اليها نبيهم الكبير موسى . فهل تتركهم يتفردون بهذه الامجاد والامتيازات ؟ أم نشاركهم فيها ؟ أم نرمي بهم الى البحر ؟

حبذا لو ننشّط رحم الامة العربية ، فلربما أنجبت أو تنجب نبيا جديدا يتمنى لها مثلما يتمنى موسى لليهود !

علم الآثار
وعلم القرآن

وبما ان اليهود هم طلاب نبوة وتفوق مثلما قلنا ، فان شغفهم بعلم الآثار القديمة له ما يبرره ويعززه ، ولطالما قال موشيه ديان : « ان الحفائر الاركيولوجية

(٢٦) الايديولوجية الصهيونية : ص ٢٣٤/٢٣٥

تجعلني أشعر بالاطمئنان »[٢٧] ، ويفسر ايجال يادين (رئيس الاركان الاسرائيلي السابق) هذا الولع بالآثار فيقول : « لقد اصبح الايمان بالتاريخ لدى الشباب الاسرائيلي بديلا عن (من) الدين . فهم يكتشفون في علم الآثار قيما دينية . انهم يتعلمون ان آباءهم عاشوا في هذه البلاد منذ ثلاثة آلاف عام ، وان هذا ملكهم ، وعلى هذا يعيشون . وعن هذا يحاربون . ان علم الآثار الوطني يكرس جهوده لتحقيق الماضي العبري للبلاد ، وأحيانا مع تجاهل حقب بعيدة أخرى مثل الهللينية والرومانية والفارسية والبيزنطية والاسلامية والصليبية »[٢٨] .

هل نطلب من العرب والمسلمين أن يهتموا بعلم الآثار القديمة وكيف ؟

ان النبي الذي يحسب نفسه « خاتم النبيين » ماذا تفيده الحفائر الاركيولوجية ؟

لماذا علم الآثار ، والقرآن هو بالنسبة الى المسلمين « البداية » و « النهاية » ؟

(٢٧) الشخصية اليهودية الاسرائيلية : ص ١٢٧
(٢٨) المصدر نفسه .

هل يبحث (المسلمون) عن اللات والعزى وهُبل والحبل الذي من مسد ؟

ان الكعبة ستظل واقفة شامخة ، فليذْهب «الكفار» وأصنامهم الى جهنم وبئس المصير !

مما لا شك فيه ان علم الآثار القديمة يضر بالاسلام والمسلمين ، تماما بقدر ما هو نافع لليهود والصهيونية غير اليهودية . فالحق الاسلامي حديث العهد لا يحتاج الى دليل، بينما الحق اليهودي مطمور في الارض أو مجهول. والاصح هو ان ما يقرره علماء الحديث يبطل الحاجة الى علم الآثار خصوصا القديمة منها .

أيسمح المسلمون بالحفر تحت مساجدهم الاولى ، المسجد الاموي الكبير مثلا ، لتظهر الكنائس التي على انقاضها قامت هذه المعابد او بعضها ؟

يقول الدكتور رشاد الشامي :

« وعلماء الآثار في اسرائيل محترفون وهواة لا يحفرون من اجل الخبرة الفنية والاكتشافات ، بل ليقروا من جديد جذورهم التي يرونها في المخلفات الاسرائيلية العتيقة التي يعثرون عليها في انحاء البلاد ، ومن هنا فان

ضمائرهم في اعماق الماضي تتأثر بمصالح الحاضر الاسرائيلي ومشاعره »[٢٩] .

لقد ادرك العرب والمسلمون هذا « الخطر » باكرا ، فأنشأوا علم الحديث ثم الفقه ، وبهما استطاع المسلمون ان يصونوا الكتاب (القرآن) والسيرة النبوية والكعبة والدين ، حتى انهم استغنوا عن كل ما سواهما من العلوم ، إلا ما يخدم مصالحهم ويؤيد حقوقهم . ويمكننا القول ان ضمائر علماء الحديث المسلمين هي في كل كلمة قالها النبي ، او نسبت اليه ، بل في كل حرف لفظه « خاتم المرسلين » . فمن عنده (النبي) يبدأ التاريخ الاسلامي ، واليه الرجوع ، وكل ما قبله « باطل » و « زائف » و « مرفوض » كليا أو جزئيا !

ان أول ما يقرره علم الآثار القديمة ، لو أخذ به المسلمون ، هو «ان مكة ـ وان ارتفعت مكانتها عن سواها من اماكن السيادة ـ (ليست) القبلة الوحيدة في الجزيرة. وقد كان للعرب كعبات عديدة اخرى تحج اليها في مواسم معينة ، وغير معينة ، تعتر عندها ، وتقدم لها النذور والهدايا ، وتطوف بها ، ثم ترحل عنها بعد ان تكون

---

(٢٩) المصدر نفسه .

قامت بجميع المناسك الدينيـة المطلوبة »(٣٠) وهذا أمر لا يمكن حدوثـه ، وان حدث فلن يبقـى الاسلام ولا المسلمون •

يستفاد من هذه المقارنة السريعة بين حب اليهودي لعلم الآثار القديمة ورفض العربي ـ المسلم له ، ان الاول يعيش قلقـا وخائفا على تاريخه ومستقبله ، فيمـا يعيش الثاني مقتنعا بدنيـاه مطمئنا الى آخرته • وسيبقى موشيه ديان رمز اليهودي الشديد الولوع والتعلق بالحفائر ، اذ يقول :

« انني أبحث عن ارض اسرائيل القديمة ، وكل ما في ارض اسرائيل في العهـود التي خلت ، وعـن هؤلاء الذين عاشوا هنا وصورة حياتهم • انك تشعر احيانا انك يمكن ان تكون واحـدا منهم ، حقا انهم موتى ، ولكنك تستطيع ان تمس أحدا • ما زال هؤلاء الاشخاص صامتين ، وربما تنفعل اكثر لو دخلت بيتـا لاشخاص احياء • انني احب ان ادس انفي في حياة الاهالي الذين عاشوا في « بني براك منذ ستة آلاف سنة وفي « يفنه » ، وأن القي نظرة على مطبخهم وان اتحقق من الرماد المتخلف هناك منذ ذلك

---

(٣٠) الميثولوجيا عند العرب ، ص ١٣٣

العهـد ، او ان اشعر ببصمات اصابـع الخزاف عـلى الآنية »(٣١) •

واذ يأتي الباحث الدكتور رشاد الشامي ، في كتابـه القيـم : « الشخصيـة اليهوديـة الاسرائيليـة والروح العدوانية » ، ضمن صفحة ونصف الصفحة ، على « برديات البحر الميت » ، أرى من الضرورة التنبيـه الى كتـاب المطران يشوع صموئيـل السريانـي الارثوذكسي « كنز قمران » (مدارج البحر الميت)(٣٢) ، الذي فيـه يحكي المؤلف قصته مـع هذه المدارج ، « البرديات السبع » ، ومعاناياته ، لانـه « كفلها واحاطها » بكل عنايـة وبكل احترام »(٣٣) ، ولانه ايضا لم يتساهل في بيعهـا للحكومة الاسرائيلية •

---

(٣١) الشخصية اليهودية الاسرائيلية : ص ١٢٧

(٣٢) ٢٥٥ صفحة من القياس الكبير ، مع ملحق مجموعة صغيرة من الرقـوق . ترجمه عن الانكليزية الدكتور القس الفونس شوريز ، راجعه ونقحه ونشره المطران تاوفيليوس جورج صليبا ، بيروت ، طبعة ١٩٨٥ . انظر ايضا كتابنا : « نحن ... وصنمية التاريخ » طبعة ١٩٨٦ من ص ٥٦٧ الى ص ٥٧٢

(٣٣) كنز قمران : ص ٢٤٤ . انظر كتابنا : « نحـن ... وصنمية التاريخ » ص ٦٩

يُحكى ان فلاحا من قرية « المجدل » ـ من اعمال صور ، كان ـ في الاربعينات ـ يتردد على فلسطين ، وفي ذات يوم دخل منزلا او حانوتا في القدس لغرض ما ، فألفى هناك امرأة عجوزا ، بيدها كتاب عتيق ، مجلّد ، فأحب الفلاح أن يفتح معها حوارا ، بعدما تأكد له انها يهودية وتتقن العربية ، فسألها :

ـ ماذا بيدك يا سيدتي ؟

ـ التوراة المقدّسة .

ـ هل تصلّين ؟

ـ أنا أصلّي دائما . وأقرأ التوراة دائما .

ـ لماذا ؟

ـ لان لا حياة لنا بدون التوراة ... و .

ـ والصلاة ؟

ـ والصلاة طبعا .

ـ يبدو ... .

ـ يبدو انني يهودية ... وانت ؟

ـ مسلم .

ـ من أين ؟

ـ من لبنان .

ـ أي لبنان ؟

ـ من جبل عامل ؟

ـ آه ! ما اسم مدينتك او قريتك ؟

ـ المجدل .

وأخذت العجوز خريطة كانت الى يسارها ، وبعدما دققت فيها قالت :

ـ لعلها قريبة من شمع ؟

ـ أجل !

ـ ومن طير حرفا ؟

ـ ومن طير حرفا .

ـ ومن شيحين ؟

ـ ومن شيحين.

ـ ومن جبّين ؟

ـ ومن جبّين ؟

ـ هل تعرف مكانا أو موقعا بازاء « جبّين » يدعى « القصر » ؟

ـ نعم !

ـ هل عندكم من يأكل بملاعق من ذهب ؟

— كلا . الجميع يأكلون بملاعق من الخشب يا سيدتي . بلاد فقيرة . فقيرة جدا يا طويلة العمر .

— اذاً ما زال مالنا وذهبنا في مكانه .

— لم أفهم !

— لن تفهم ايها الفلاح المسكين . بل يجب أن لا تفهم .

— وبعد ؟

— اياك ان تخبر أحدا بما سمعت ... وإلاّ ...

— امركِ يا سيدتي .

وظل هذا العاملي « المسكين » يكتم ما جرى له مع تلك العجوز اليهودية ، حتى اوشك على الموت ، وعندئذ ، وفيما هو بين يدي الموت ، أخبر شيخ المنطقة والذين كانوا حوله بهذا « السر العظيم » والخطير . فظل أهل « المجدل » وكل المنطقة يتناقلون هذا « الحدث » الى زمن غير بعيد .

ولما اجتاح جيش الدفاع الاسرائيلي الجنوب وبيروت (حزيران ١٩٨٢) ، ضاعت أو فقدت آثار كثيرة ، فتردد ان اسرائيل قد « اغتصبتها » أو « سرقتها » . أما

« القصر » الذي بازاء « الجبيّن » والذي تحدثت عنه اليهودية « الاورشليمية » على ذمة ذلك العاملي ، فلا علم لنا باخباره التي قد لا تكون مثيرة ولا ذات أهمية ؟!

لماذا يكره العربُ اليهود ؟

لماذا اليهود يغفلون ذكرَ العرب ؟

الظلم واحد
والتحرر واحد

ويأتي دور الشعر الوطني والقومي عند الشعبين : اليهودي والعربي ، لنتعرف الى ثورة كل منهما ، وعسى أن يظهر لنا ، من خلال النماذج التي اخترنا ، ما يؤكد على ان العذاب ، في معناه ، واحد ، والقهر واحد ، والظلم واحد ، والتحرر (الانعتاق) واحد ، والذل واحد ايضا .

يقول الشاعر اليهودي حييم نحمان بياليك في قصيدة له عنوانها : « امام دولاب الكتب » التي كتبها عام ١٩١٠ ما يلي :

« تقبّلي سلامي ، يا كتبا قديمة الصحف
ولا ترفضي قبلاتي يا صريعة الغبار
فان نفسي عادت من رحلة في جزر غريبة
كحمامة هائمة متعبة الجناح ، خائفة
عادت ترف من جديد على اعتاب عش الصبا

هل ما زلتِ تعرفينني ؟ أنا فلان
كنت في احضانكم منذ ولدت ،
راهبا منعزلا عن ضجة الحياة
وعن كل نِعم الرب فوق الارض
وما عرفتُ في حياتي غيركم »

ويقول :

« كانوا يعثرون عليّ في ليالي الشتاء ، الليالي المتجهمة ،
منكبّا على كتاب قديم ممزّق الصفحات
مع احلام نفسي ومخاوفها صامدا .
ترتعد أمامي على المائدة ،
ذبالة بهت ضياؤها بعد نفاذ الزيت من السراج
وفي أمعاء دولاب الكتب يجول فأر :
وفي الكانون جذوة أخيرة من نار —
وأنا متسمّر في لحمي من فرط الفزع
واسناني تصطك من رهبة الموت »[٣٤]

---

(٣٤) الشخصية اليهودية : ص ٥٥

من جهة اخرى ، يقول الشاعر الفلسطيني محمود درويش في قصيدة له عنوانها « لوحة على الجدار » :

« ... ونقول الآن اشياء كثيرة
عن غروب الشمس في الارض الصغيره
وعلى الحائط تبكي هيروشيما ...
ليلةً تمضي ، ولا تأخذ من عالمنا
غير شكل الموت
في عز الظهيره
... ولعينيك زمان آخر »

ويقول :

« الف نرد يركض الآن
وكل الاقوياء
يلعبون النرد في المقهى ،
ولحم الشهداء
يختفي في الطين احيانا
واحيانا يسلّي الشعراء
وأنا يا امرأتي امتصّ من صمتكِ

في الليل ... حليب الكبرياء »[٣٥]

وفي عام ١٨٩٩ خاطب الشاعر اليهودي شاؤول تشرنحوفسكي تمثال ابولو ، رمز الوثنية التي حاربها اليهود ، فقال :

« لقد أتيتُ اليك ، أتيت لاسجد امام تمثالك وصورتك

يا رمز تألق الحياة

أسجد وأغني امام الخير والسمو ،

ولكل ما هو مجيد في هذا العالم

لكل ما هو رائع بين المخلوقات

ولكل ما هو متسام في ديانات الكون البدائية

انني أنحني لكل الاشياء الثمينة التي سرقتها الآن الجثث الحية والذرية العفنة »

وقال ايضا :

« لقد شاخ الشعب وشاخ الهه معه

---

(٣٥) ديوان محمود درويش ، دار العودة ، المجلد الاول ص ص ٣٩٥/٣٩٩

مشاعر معذبة في يد عاجزين

بُعثوا بعد انغلاق مئات الاجيال» [٣٦]

وأما مراثي الشاعر الفلسطيني سميح القاسم فمنها :

« قال الرب الهي استجمعْ احزانك والمطر قادم

واستجمعْ موتى قومك والمرضى والاحياء

وليصغِ اليّ الاخضر واليابس

قال الرب الهي تأتي أيام يتخثر فيها صوتك

ودموعك فيها تتخثر »

ويتابع القاسم قائلا :

« ودماؤك تجري فيها قنوات حفرتها كفّاك

تأتي ايام تنكرها الشمس فتنكرك الايام

يا من تعمل في عيني الشر وتقهر في عيني الايتام

يا من ملأتْ أوْدِيَت (أودية)[٣٧] الشرق خطاياك[٣٨]

---

(٣٦) الشخصية اليهودية : ص ٥٥

(٣٧) يذكر ان الشاعر القاسم يكتب التاء المربوطة تاء طويلة .

(٣٨) الموت والحياة في شعر المقاومة : تأليف الدكتور قصي الحسين ، تقديم : د. ياسين الايوبي ، دار الرائد العربي - بيروت ، بدون تاريخ ، ص ١٦٧

إن أخطر وأعذب ما في الشعر ، عربيا كان او يهوديا ، هو انه يجعلك تتألم لآلام الشاعر ، حتى البكاء والعويل ، بينما السياسة والدين يضعانك في قالب لا يتفق وحجمك ، فان عصيت او استوضحت صبّوا عليك « الاسيد الالهي » وزيت الموت ، وان سلّمتَ وأطعتَ سَلِمَ جلدك واتسع مكانك ، إلاّ قلبك وعيناك ، فلهما أن لا ينظرا الا من وراء حجاب ، فان كنت يهوديا فانت شخصية فريدة « لا يمكن فهمها ولا يمكن استيعابها ، ولذا لا يمكن ان تندمج مع بقية الامم »(٣٩) ، وان كنت عربيا مسلما ، فانت من امة دينها الاسلام ، وكتابها القرآن ، وشفيعها محمد بن عبدالله « خاتم الانبياء » و « سيد المرسلين » ، الى يوم الدين .

لماذا يكره العرب اليهود ؟

لماذا اليهود يغفلون ذكر العرب ؟

ان هذين السؤالين لن يلقيا جوابا ، ما دام هنالك توراة وقرآن ، وما دام اليهود طلاب النبوة والتفوق ، والمسلمون طلاب الجنة والآخرة السعيدة .

---

(٣٩) الايديولوجية الصهيونية : ص ٢٧٧ والقول لبوبر .

الفصل الخامس

ماذا بين الكنيسة السريانية والكرسي الرسولي

(من ١١٤٣ - ١٦٥٦م)

"ولما قرب (يسوع) ورأى المدينة (أورشليم) بكى عليها قائلاً: لو علمتِ أنتِ أيضاً في يومكِ هذا ما هو لسلامكِ لكنه الآن خفي عن عينيكِ. انها ستأتي عليكِ أيام يحيط بكِ فيها أعداؤكِ بمترسة ويحاصرونكِ ويضيّقون عليكِ من كل جهة. ويهدمونكِ وبنيكِ فيكِ ولا يتركون فيكِ حجراً على حجرٍ لأنكِ لم تعرفي زمان افتقادكِ. ثمّ دخل الهيكل وشرع يُخرج الذين يبيعون ويشترون فيه"

لوقا ١٩ : ٤٢/٤٥ (*)

(*) أنظر "خراب أورشليم" - الفصل الاول من كتاب "الصراع العظيم" بقلم: ألن هوايت، ترجمة: اسحق فرج الله دار الشرق الأوسط للطبع والنشر، بيروت. طبعة ١٩٦٨، من ص ١٩ الى ص ٣٨

تمهيد

حدّثني غبطة اغناطيوس انطون الثاني حايك ، بطريرك السريان الانطاكي (الكاثوليكي) ، عن دراسة له باللغة الايطالية عنوانها : « علاقات كنيسة السريان اليعاقبة(*1) مع الكرسي الرسولي (من ١١٤٣ ـ ١٦٥٦)

(*1) هو اسم أطلقه الخلقيدونيون على السريان الارثوذكس، نسبة الى مار يعقوب البرادعي (ت ٥٧٨ م) ، من أجل الاحتقار والذلة. ولكن السريان رفضوا هذا التدبير، وقاوموه بضراوة بالغة ، اذ انهم اعتبروه « ظلما » لا يجوز السكوت عنه .

ومن الواجب التذكير، هنا ايضا ، برد المطران ثاوفيلوس جورج صليبا على أولئك الذين ما زالوا يدعون السريان الارثوذكس بـ « اليعاقبة » ، اذ قال متسائلا :

« ... فاذا كان (مار يعقوب) البرادعي مؤسس كنيستنا ومنشىء عقيدتنا ، فما علاقتنا اذاً بقديسينا وآبائنا الذين سبقوا ولادته أو رقدوا قبل ان يلمع اسمه وينتشر ذكره ، أو بالاحرى أين كان البرادعي عندما قاوم آباؤنا بدعة نسطور ، وطومس (رسالة) لاون الروماني ، واعمال المجمع الخلقيدوني سنة ٤٥١ ،والخلقيدونيين فيما بعد ؟ » . (انظر كتابنا « رسالتي الى المسيحيين » ، الطبعة الثانية ١٩٨٦ ص ٤٧) .

وهي اطروحة كان قدمها لنيل الدكتوراه في العلوم الشرقية والكنسية ، من المعهد الشرقي الحبري في روما عام ١٩٣٦ — جرى الحديث بيننا في أواخر تشرين الثاني ١٩٧٩ — فسرّني ما سمعت ، ولاسيما ان هذا العمل الاكاديمي قد نال ، آنذاك ، ثناء اللجنة الفاحصة وتقديرها على قوله ، فطلبت منه لو يترجم هذه الاطروحة ، المخطوطة ، الى العربية ، وينشرها كتابا[1] ، فردّ قائلا : « إن شاء الله » • فاعتبرت جوابه هذا بمثابة « الوعد » الذي لا يُنسى • وكنت كلما جئت غبطته ، ان في البطريركية وان في دير الشرفة ، اسأله : أين صار « المشروع » ؟ ومثلما في كل مرة جوابه واحد لا يتغير : « إن شاء الله » ، حتى وصلني الكتاب الموعود[2] من يد

---

(١) انظر كتابنا « رسالتي الى المسيحيين » طبعة أولى ١٩٨٥ . ص ٨٣ حاشية رقم (٣٩) .

(٢) يتألف « علاقات كنيسة السريان اليعاقبة مع الكرسي الرسولي (من ١١٤٣–١٦٥٦) من قسمين : عربي وايطالي . يتضمن القسم الاول (الاطروحة ١٩٨ صفحة من القياس الكبير) : مقدمة و « تنبيه » والمصادر و « فصل تمهيدي » (ملاحظات عامة على الكنيسة السريانية اليعقوبية) وثلاثة أقسام : (١) « روما وكنيسة السريان اليعاقبة من سنة ١١٤٣ الى مجمع فلورنسا ١٣٤٩ — ١٤٤٥ » ، (٢) « استئناف العلاقات : اغناطيوس عبدالله وبعثاته الى روما (١٥٤٩ — ١٥٥٦) ، (٣) « متابعة العلاقات من =

سيادة المطران ميخائيل الجميل[3] ، وكان ذلك في السابع من آب الجاري في دير الشرفة الذي يستعد لاستقبال يوبيله المئوي الثاني •

أي اتحاد ؟

ان فرحي بصدور هذا الكتاب الوثائقي لكبير ، وبخاصة انني طلبتُه قبل ان أعرفه ، وبشّرت به فيما الامة تكبّ على الشر والنزاع والتقسيم • وكالقابس العجلان[4]

= انتخاب البطريرك نعمةالله الى رسامة اول اسقف سرياني كاثوليكي (١٥٥٧ — ١٦٥٦) ، والخاتمة . وفي القسم الايطالي : وثائق وملاحق (Documents et Appendices) منها ٤٧ وثيقة و ٩ ملاحق ، بينها بالعربية : « النص بالعربي للوثيقة ٨ أي رسالة (البطريرك) اغناطيوس داود الى (البابا) غريغوريوس الثالث عشر) (نص مبتور) ، « رسالة بعض الحلبيين الى (البابا) غريغوريوس الثالث عشر » ، « صورة ايمان تلاها الحلبي سفر بن منصور » ، « صورة ايمان ميخائيل الكبير ارسلها الى عمانويل الامبراطور اليوناني » ، ورسائل اخرى صغيرة عددها تسع . مطابع حبيب اخوان ..

(٣) صدر له في هذا الوقت ايضا : « تاريخ وسير » (كهنة السريان الكاثوليك من ١٧٥٠ — ١٩٨٥) ، ٤١٦ صفحة من القياس الكبير ، الى ثبت للمصادر والمراجع ، وملحق الصور . مطابع حبيب اخوان .

(٤) القبَس : أخذ النار : يضرب لمن عجل في طلب حاجة .

اسرعت في قراءته ، لا ليزيد حبي للشعب السرياني العظيم ، فحبي له لا مزيد عليه ، بل لانظر الى الوحدة بين الكنيسة الشرقية والكنيسة الغربية كيف شقيت وتعذّبت وتراجعت ، حتى بدت لكأنها ميئوس منها . ورأيتني اقف مدهوشا حائرا امام الكلمات التالية :

« كان موسى (ابن القس اسحق ، من بين النهرين من منطقة صور) (موفد البطريرك اغناطيوس عبدالله السرياني الى روما سنة ١٥٥٢) سريانيا يعقوبيا ولهذا اراد « الاعيان الرومانيون » سنة ١٥٥٣ ان يرسموه من جديد (!) ، وهذا ما شكا منه موسى في رسالة الى اندراوس مازيوس[٥] تاريخ ٨ حزيران ١٥٥٣ « وبعد ان

---

(٥) اندراوس مازيوس(Mazeos)ولد في لينبك قرب بروكسل في ٣٠ تشرين الثاني ١٥١٥ ، نال لقب ماجستير بالفنون في (جامعة لوفان وهو في الثامنة عشرة ، وشغل منصب امين سر (Lego) مطران كوستانسا من ١٥٣٧ — ١٥٤٨ . اقتبل الدرجات الصغرى الكهنوتية ، ثم اصبح مستشار غليوم دوق (Khene) ، وفي السلك الدبلوماسي كان في خدمة كثيرين من الامراء الالمان في روما فكانت له علاقات مع العلماء بالآداب القديمة فتعلم العبرائي والسرياني اما السرياني فاخذه عن البطريرك الكلداني سولاقا وعن الاب موسى الماردیني موفد البطريرك اغناطيوس عبدالله .
=

أزعجوني ازعاجا قالوا لي : ليس لديكم كهنوت . واذا أردتَ فنحن نرسمك كاهنا من جديد (انتم اليعاقبة ليس لديكم كهنة مرسومون كما يجب ، ولستم من تدّعون عن انفسكم) ، ونحن لن نتركك اية كانت معرفتنا بك . وبما اني لم اقبل بهذا الكلام ، تركني جميعهم بعد ان سمعوا اني لم اقبل بكلامهم ولم يبق معي احد يساعدني سوى ربنا يسوع المسيح »[٦] !

اذ ذاك تساءلت :

— اي اتحاد تريد الكنيسة الرومانية ؟ واية عودة تريد الكنيسة الشرقية ؟

ربما لم « يفهم » موسى ، الشرقي موسى ، قولهم له : « اذا شئت فنرسمك كاهنا مرة ثانية »[٧] ، ولكن هل

=
فكان مازيوس المحسن الكبير لموسى . توفي اندراوس مازيوس في ١٧ نيسان ١٥٧٣ في (Bavenear) بهولندا . هو أول أوروبي نشر غراماطيقا (Grammatical) للغة السريانية في (Antuerp) سنة ١٥٧٣ ، وقد ألّف بضعة كتب باللاتيني . (علاقات : ص ٧٢/٧٣ — حاشية رقم ١٠٦) .

(٦) علاقات : ص ٧٢/٧٣ .

(٧) المصدر نفسه .

يتحقق الاتحاد بين فريقين اذا كان احدهما يشعر بأنه ، في نظر شريكه او حليفه ، هوْن او حقير ؟

ولكن البطريرك حايك يعرض لرأيين متباينين كما يلي :

« وبعد ان قابل موليروس[٨] بين الكهنة اليعاقبة وبين القسان الانجيليين قال : ان الرومانيين كانوا ينكرون صحة كهنوت اليعاقبة انكارهم صحة كهنوت الانجيليين . ويثور ي. (يوسف) السمعاني على مثل هذا القول المرفوض مصرّحا : « ربما وجد الرومانيون شكا في ايمان موسى وفي رتبة رسامته ، او انه لا يحمل شهادة تثبت رسامته وبأنه لا مانع شرعي (شرعيا) يمنعه عن الاحتفاء بالليتورجيا : هذا الشيء الذي لم يفهمه موسى لانه غريب وغير مطلع على العادات الرومانية فاعتبر انهم قد شكّوا في صحة كهنوته ومن الاكيد انه لا يحق الارتياب في الرومانيين الذين كما لاحظ بحق مازيوس ، ليس من

(٨) اشير الى ان هذا الكاتب هو الوحيد الذي اعطى بعض المعلومات عن موسى (الصوري) . علاقات . حاشية رقم ١٠٢ .

عادتهم تجديد رسامات قام بها مطران شرعي ولا تجديد عماد : مهما هذى به موليروس ... »[٩] .

ان المؤلم حقا هو ان يشك الرومانيون في ايمان موسى « الواسع الثقافة »[١٠] ، وصاحب « المؤلفات الكثيرة »[١١] ، لا لسبب ، سوى انه طلب الاتحاد مقتنعا لا طائعا ، وأبيا لا ذليلا ، وحرا لا مقيّدا ، فهو « المطران موسى الصوري »[١٢] ، وأحد الذين « أحرزوا معرفة الادب السرياني وحسن الخط في القرن السادس عشر »[١٣] ، واليه يعود الفضل في نشر كتاب العهد الجديد بالسريانية سنة ١٥٥٥ (في فيينا) ، بعدما اسعفه المستشرق الوزير يوحنا البرتوس بيدمانستياديوس النمساوي ، عند فرديناند الاول (Ferdinand I) (١٥٠٣ —

(٩) علاقات : ص ٧٤ ، عن ي. السمعاني ، مجلد ٢ عن المونوفيزيين ، ٥ : عن الرسامة .
(١٠) علاقات : ص ٧٥ .
(١١) المصدر نفسه .
(١٢) اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية : تأليف المثلث الرحمة العلاّمة البطريرك افرام الاول برصوم ، الطبعة الثالثة ١٩٧٦ ، مطبوعات مجمع اللغة السريانية بغداد ، ص ٢٧٣ .
(١٣) المصدر نفسه ص ٤٦١ ، حاشية (٤) .

١٥٦٤) ، امبراطور رومية والمانيا والمجر وبوهيميا (١٥٥٥ ــ ١٥٦٤) ، الذي نفحه بمال جليل مما مكّنه من القيام بهذا المشروع وغيره من المشاريع التي حفظها له التاريخ والكنيسة السريانية المجيدة[١٤] .

لطف وليس ولاء

ومهما يكن فان الاتحاد بين كنيستي الشرق والغرب ما كان ولن يكون بالقوة او الضغط او الاستفزاز .

لقد تعوّد بطاركة الشرق ممن اتصلوا برؤساء كنيسة روما ، مخاطبة هؤلاء بالكلام العذب الجميل الرقيق اللطيف ، من دون ان يكونوا كاثوليكيين ولا رومانيين . ان هذه ، على كل حال ، هي من سمات الشرقي الذي يجيد بث العواطف والتعبير عنها باحسن ما يكون ، ويا ليت روما عرفت كيف « تستغل » هذه الطاقة الانسانية التي يمتاز بها اغلبية اهل الشرق ، لكانت ، بدون ريب ، حققّت الوحدة المسيحية ، امل المسيحيين الكبير وهدفهم الاعلى والاعظم والمنشود .

لنأخذْ مثلا ، صورة ايمان البطريرك اغناطيوس

---

(١٤) المصدر نفسه ص ٤٧٣ . علاقات : ص ٧٥ .

عبدالله السرياني من جهة ، وجواب البابا يوليوس الثالث عنها من جهة اخرى ، وكيف عالجهما البطريرك حايك ، من بعد مضي أربعة قرون تقريبا .

قال البطريرك حايك :

« صورة ايمان البطريرك (اغناطيوس) عبدالله تأتي على قضايا كثيرة من اللاهوت العقائدي (وحدانية الله واقانيمه الثلاثة ، الخالق والرافع الى الحياة الفائقة الطبيعة ، الكلمة المتجسد، مريم العذراء، الحبر الروماني...) بيد ان هذه الصورة ، صورة الايمان بقيت مجهولة من جميع الكتّاب حتى إن (Jugie) نفسه لم يذكرها ولم يستخدمها في المجلد الخامس من كتابه (تعاليم المسيحيين الشرقيين في العقائد في اللاهوت العقائدي لدى النساطرة والمونوفيزيين المطبوع في باريس ١٩٢٥) » .

أضاف :

« في جميع التعاليم الواردة في صورة ايمان البطريرك نجده متوافقا مع الكنيسة الكاثوليكية ، لكنه يختلف معها في أمرين :

« ١ ــ انه يستعمل كلمات غامضة للتعبير عن انبثاق الروح القدس . فبالاضافة الى عبارة « المنبثق من الآب

والآخذ من الابن » ، « واذا قلتَ ان الروح ينبثق مــن الآب ويأخذ من الابن أثبتَّ الانبثاق » . انه يستخدم هذا التعبير الآخر للانبثاق فيقول : « والروح ينبثق من الآب ويمتد الى الابن ويأخذ منه » .

« ٢ ــ وهـــو (البطريـرك عبداللـه) يتمسـك بالمونوفيزية « فنحن نعترف بطبيعة واحدة فيه بعد الاتحاد باقنوم واحد متطور وملموس » ، « ولهذا نعترف ان فيه اقنومـا واحدا وطبيعة واحـدة متجسدة ولابسة جسد بسبب خطايانا » « واعترف بسيدنا يسوع المسيح متجسدا في وحدانية الاقنوم بطبيعة واحدة تجسدت » . « ولهذا نحن نعترف ان في ربنـا يسوع المسيح طبيعة واحدة من طبيعتين ... والطبيعتان اتحدتا وصارتا طبيعـة واحدة مثل اتحاد النار بالحديد ومثل اتحاد النفس بالجسد ومثل اتحاد النور بالعين » .

وقال البطريرك حايك ايضا :

« انما يحرم البطريرك اوطيخا « فلا نقول ان الطبيعة الالهية امتزجت بالطبيعـة البشرية مثل امتزاج الماء بالخمر كما قـال اوطيخا فكل ما تفوهوا به يبقى خارج الكنيسة . لأن اتحاد الالوهية البشرية هو اتحـاد يفوق كل لسان

وفكر بشري وهو اتحاد دون امتزاج ودون تشويه »[١٥] .

عـلى ان البطريرك اغناطيوس عبداللـه (١٥٢٠ ــ ١٥٥٧) « يقبل (قبِل) المجامع الثلاثة الاولى : (النيقاوي ٣٢٥ ، القسطنطيني ٣٨١ ، والافسسي ٤٣١) »[١٦] .

ومما جـاء في رسالة البطريرك عبدالله الى البابـا يوليوس الثالث :

« (الى البابا) : الاب الطـاهر . المعلم الكامل ، السيد العظيم القديس ... الجالس على سدة الحق والموجه قلبه الى تعزيز الـوحدة والوئام في شعبه ، المنتخَب بارادة الله ونعمته لكرسي بطرس . أبونا وتاج رأسنا يوليوس المعظـم ... أبو الآباء والاب الطوبـاوي رئيس الامراء وراعي الخراف الناطقة ، صاحب النية النقية والصانع كل ما هو مستقيم ... قائم مقام كلمة الله ... اكليل الابناء المعمّدين ومجـد شعب يسوع ... الشبيه بالرسل ... الانجيلي الخامس بين الاربعة ... انت قائد الشعب الى ينبوع الحقيقة ... وقـد صرت ينبوعا عذبـا كل من يشرب منه لا يعود يعطش الى علم اللاهوت ... (المنتخَب)

---

(١٥) علاقات : ص ٨٧/٨٨ .
(١٦) علاقات : ص ٨٨ .

على الكنيسة المقدسة ... ليعطه الرب ان يعلّم من يريدون ان يتعلموا ... وليكن الجميع طائعين لكلمته ... مدّ ايها الرب الاله ظِلّه على العالم كله » .

وجاء في الرسالة ايضا :

« ... وانا الصغير ما بين رؤساء الكهنة اغناطيوس غير المستحق أنحني مرتين وثلاثا امام ابي المحبوب يا من هو أبو الآباء ... وخليفة أبينا مار بطرس رأس بطاركة روما ورئيس بطاركة العالم أتباع المسيح (...) نسأل أن تثبت ايماننا اذ ليس لنا لا اكثر ولا اقل مما كتبناه »[١٧] .

هذه الرسالة النبيلة المشتملة على أرقى «المجاملات» ، الداعية الى التعامل الحسن ، والاخوّة الصافية ، والوحدة الصادقة ، ردّ عليها البابا برسالة مطوّلة ايضا قال فيها : « لقد سررنا جدا انك اعدت الينا موسى عينه (في بعثة ثانية) الذي كان قد عاد اليك حاملا رسالتنا وانك تحيينا وتقدم لنا الطاعة والادعية الطيبة ، فضلا عن انك اعلمتنا عن كل ما تشعر به نحو الايمان الكاثوليكي وانك تطلب منا اخيرا ان تثقفك بالتعليم الصحيح »[١٨] .

(١٧) علاقات : ص ٨٨/٨٩ . عن منسي ، المجامع .
(١٨) علاقات : ص ٩٢ .

واثنى البابا على البطريرك مبينا تأثره برسالته وفرحه بصورة ايمانه قائلا :

« لقد رأينا ايها الاخ الكريم واكبرنا فيك التعمق والهمة والتقوى والمحبة ، التي دفعتك الى كتابة رسالتك المسهبة . بالحقيقة اننا وجدنا فيك امورا كثيرة اهتزت لها احشاؤنا وأبهجتنا كثيرا لاننا لمسنا فيها رحمة الله لكم وايضا صبركم وارادتكم المقدسة »[١٩] .

أما عن صورة ايمان البطريرك الشرقي فيقول البابا :

« وفي صورة الايمان امور لم تُفهم على ما ينبغي ويبدو انها بحاجة الى ايضاح ولا عجب في هذا سواء لبعدكم عن هذا الكرسي المقدس وسواء لقلة الرجال الملافنة ليعلموكم ما قررته الكنيسة الكاثوليكية والمجامع المقدسة ويلفتوا انظاركم اليها » .

أضاف :

« ولو لم نكن عارفين انكم راغبون ومستعدون لتقبّل الحقيقة ونقاء الايمان ، لكان هذا سبّب لنا القلق ... »[٢٠] .

(١٩) علاقات : ص ٩٢ .
(٢٠) علاقات : ص ٩٢ .

وتابع البابا يوليوس الثالث يقول :

« فالقول ان الروح ينبثق من الآب ويمتد الى الابن كما كتبت في رسالتك ، قد أوّلناه تأويلا حسنا حسب المعتقد الذي سبق وعرضناه (...) انما كلمة امتداد هي اقل وضوحا وتجرّ بسهولة الى الضلال ، فلهذا وجبا بالمسيح وبالروح القدس وعناية بكل قطيع الرب الموكول الينا نريد ان ننبهك كي تتحاشى في هذه الامور العظيمة الشأن استعمال هذه التعابير التي بغموضها او بعصرتنها تقدر ان تضرّ بايمان الخراف الموكولة اليك »(٢١) .

واستطرد البابا مصححا « الانحرافات » (؟) التي تضمنتها صورة ايمان البطريرك اغناطيوس عبدالله فقال :

« ... انه يبدو لدينا غريبا وغير قابل للتصديق انك تستطيع بجرأة ان تعلن ان في المسيح طبيعة واحدة فقط وارادة واحدة فقط ، وهذا كفر وهرطقة وغير مفهوم وقد ردّدته مرات في صورة ايمانك متبعا اوطيخا وآخرين تجاسروا ان يعلنوا هذه البدعة ان المسيح ابن الله ، بعد اتخاذه الطبيعة البشرية عند تجسده ، فيه طبيعة واحدة لا طبيعتان »(٢٢) .

(٢١) علاقات : ص ٩٢ .
(٢٢) علاقات : ص ٩٢ .

ومن دون ان يخشى البابا على مشاعر البطريرك وعواطفه من التأنيب والتجريح ، اعلن (البابا) « بطلان المونوفيزية » ودعا « اليعاقبة » الى التسليم بالايمان الكاثوليكي ، قائلا : « انكم تخطئون ايها الاخوة المحبوبون اذ لا تتقيدون بالكتاب المقدس والآباء »(٢٣) ؟!

هنا يتدخل البطريرك حايك ، ولكن منتقلا الى صورة ايمان ثانية ، ارسلها البطريرك اغناطيوس عبدالله نفسه الى روما ، فيقول :

« لما كانت صورة ايمان البطريرك لم تُقبل بجميع محتواها (و) لاسيما بسبب المونوفيزية طلبوا الى موسى ان يقدم واحدة جديدة كاثوليكية » (...) « فتلا موسى صورة الايمان امام البابا والكرادلة باسمه واسم البطريرك : « وعني وعن البطريرك الذي امرني ان اعترف امامكم بايمانكم هذا الحق قائلا انه يقبل بالايمان الذي انا اعترف به »(٢٤) .

يرى البطريرك حايك ان المبعوث موسى قال فيما يخص طبيعة المسيح البشرية « فانا لا اقول ابدا ما كان

(٢٣) علاقات : ص ٩٢ .
(٢٤) المصدر نفسه : ص ٩٤ .

يقوله اوطيخا ورفيقـه ديوسقوروس اللذان كانـا يقولان ان جسد المسيح لم يكن قط شبيها بجسدنا وان المسيح قبل الاتحاد كان في طبيعتين وهاتان الطبيعتان اتحدتا فصارتا طبيعة واحدة »[٢٥] ، مما يعني ان المبعوث موسى وبطريركه قد « تكثلكا » واعترفـا « برئاسة البابـا وبالطبيعتين في المسيح وبانبثاق الروح القدس مـن الآب والابن وقبول المجمع الخلقيدوني ضد ديوسقوروس »[٢٦] (؟) .

ان هذا لن يجعلنا ، ابدا ، نستعجل الحكم عـلى خروج البطريرك اغناطيـوس عبداللـه ومبعوثـه موسى الصوري مـن الارثوذكسية الى الكاثوليكية ، بحيث ان ظروف الكنيسة السريانية ، كمـا نعرفها ، انما هي ، ومنذ زمن بعيد ، تحرض على الفتن والانقسامات ، وتعمّـق الصراعات السياسية والاقتصادية ، فضلا عـن المنافسات الشخصية الحادة بين الاساقفة انفسهم ، التي أدت وتؤدي الى الحرب على الكرسي والجـاه والنفوذ ، وليست حالة البطريرك اغناطيوس عبداللـه ، وبالتالي حالـة خليفتـه البطريرك نعمةالله ،الذي « نكب عاثرا في ١٠ آذار سنة ١٥٧٦ فاعتزل الكرسي وخرج متخفيـا الى دير مجاور لسيواس فرثى نفسه بقصيدة رقيقـة نادبا ما حلّ به من

---

(٢٥) المصدر نفسه .

(٢٦) المصدر نفسه : ص ٩٥ .

فراق ذويه ، وبرح الشرق مغلوبا على امره وفي قلبه غصص من المظالم الى رومية في تشرين الاول ، وعُرفَ فيها فضله فشارك العلمـاء الفلكيين في اصلاح الحساب الغريغوري ، وزجى حياتـه بنفس مريرة ، والأظهر انه مال الى المذهب الروماني وقضى نحبه بعد سنة ١٥٨٧ بحديدة »[٢٧] ، على قول البطريرك افرام الاول برصوم ، الا اثنتين مـن صور المآسي والنكبات العديدة التي مرّت على هـذا الشعب وكنيسته ، خلال عهود واجيال طويلة استطاعت استنزافهما عددا وعدة ، حتى ضحَل عددهم الذي كان « لا اقل من ستين مرة اكثر من عدد الموارنة تلك الايـام[٢٨] حسبما يقول البطريرك حايك نفسه .

مؤامرة على ميخائيل الكبير

فمن قبل البطريركين السريانيين اللذين مرّ ذكرهما ، بما يقارب اربعة قرون ، هنالك ، مثلا ، الشقاق الذي انشأه ثاودورس ابن القس سهدو ابن وهبون الملطي « تلميـذ ميخائيل (الكبير) البطريرك »[٢٩] وغذيّ نعمته »[٣٠] ،

---

(٢٧) اللؤلؤ المنثور : ص ٤٥٩/٤٦٠ .

(٢٨) علاقات : ص ٢٣ .

١٩٠٥ ، ج (١) ص ٤٧ .

(٢٩) ذخيرة الاذهان في تاريـخ المشارقة والمغاربة السريان : تأليف القس بطرس نصري (الكلداني) ، طبعة الموصل

(٣٠) اللؤلؤ المنثور : ص ٣٩٣ .

وكاد هذا الشقاق ان ينتهي الى استقالة البطريرك العلاّمة والمجاهد ميخائيل الكبير ، لولا ان «فضّ الله هذه المشاكل التي اقلقت (الطائفة) »[٣١] واوقعتها في اختلاط والتباس .

عن هذا الشقاق يقول القس نصري بطرس :

« اما (الذين اغروا) ابن وهبون على هذا العمل الفظيع فهم اربعة من الاساقفة قد وبخهم البطريرك لذنوب شتى . فاغتاظوا منه وقصدوا ابا القاسم بن نيسن صاحب آمد ونالوا منه كتاب الاختيار لتيودور بن وهبون على ان يدعه جالسا في آمد . ووعده بجمع الاموال الجزيلة له » .

أضاف :

« وجرى سياميذ تيودور بطريركا سنة ١٨١٠ م . (في حين ان رئيس الكنيسة السريانية هو صفوة بطاركة انطاكية العالم والمؤرخ المشهور الخالد اسمه ... ميخائيل الكبير)[٣٢] . فان ابراهام اسقف آمد زعيم هذه الحركة الشقاقية اقنع تيودور ان يقبل المنصب البطريركي ليكون من الدّ اخصام معلمه . فلما بلغ ذلك مسامع القسوس

(٣١) ذخيرة الاذهان : ص ٥٤٧ .

(٣٢) اللؤلؤ المنثور : ص ٣٩٤/٣٩٧ .

والشعب ضجوا محتجين على الحاكم . أما الاساقفة المتآمرون فدفعاً لكل محذور تظاهروا بالامساك عن مشروعهم . ودخلوا ليلا البيعة واساموا (وساموا) ابن وهبون بطريركا والابواب مغلقة . وصباح ذلك اليوم تنكروا وقصدوا الموصل ليستميلوا يوحنا الخامس الى حزبهم . وكان هذا متخاصما مع البطريرك بسبب الحصاصيين الذين كانوا يلتمسون عقد الصلح مع البيعة اليعقوبية التي كانوا قد انفصلوا عنها منذ عهد جيورجيوس وقرياقوس البطريركين » .

وقال ايضا :

« اما يوحنا المفريان فاستقبح فعل هؤلاء الاساقفة وقصد سورية ليجد علاجا لهذا الداء . واما ما كان من ابن وهبون الدخيل واتباعه فانهم لما رأوا اقوام المشرق كلهم يقرّفونهم على جسارتهم تركوا الموصل وأتوا داراء. فلما استحس بهم المفريان ادركهم هو واساقفته ورهبانه واستاقوهم مقيّدين الى دير برصوما . فاوجب الاساقفة الحكم على ابن وهبون بالعزل ولبث في الدير مشجوبا بصفة راهب بسيط »[٣٣] ، واستقر الوضع ، وانقشعت الغيوم التي تلبدت حتى كادت أن تحدث عاصفة لم تشهد الكنيسة السريانية مثلها من قبل .

(٣٣) ذخيرة الاذهان : ص ٥٤٧/٥٤٨ .

وسبق هذا الشقاق شقاقات كثيرة لا مجال للكلام عليها هنا . وعلى كل يكفي التأمل في نتائج بعثةليونار آبيل اسقف صيدا ، التي خصص لها البطريرك حايك ما يزيدعلى عشرين صفحة ، اذ ان في التقرير الذي رفعه اسقف صيدا والسفير البابوي ليونار آبيل في ختام بعثته الى البابا سكتوس الخامس (١٥٨٥ — ١٥٩٠) ، ما يدعونا الى التروي في الحكم على تلك العلاقات التي كانت بين بعض الاساقفة السريان وبعض احبار روما . ان هذا يمكننا استنتاجه من الحوار الذي عقده ليونار آبيل مع نائب البطريرك وأخيه الاسقف توما شاه ، الذي رفض ظهور البعثة البابوية في قره آمد لئلا « تجرّ الخراب على الامة وعليهم (عائلة البطريرك داود شاه) »(٣٤) . وكما يقول البطريرك حايك : « قرّر آنئذ السفير ليونار ان يتفاوض مع نائب البطريرك واطلعه على مرسوم الحبر الروماني الذي يوصي به (السفير) وكذلك على رسائل الكردينال دي ساتنا سيفيرينا ونعمةالله (البطريرك المتقاعد في روما) و (الوجيه الحلبي) سَفَرَ مذكرا اياه بالخيرات التي أغدقها الكرسي الرسولي على البطريرك نعمةالله وعلى امته (؟) ، واظهر له الترجمة العربية

(٣٤) علاقات : ص ١٥٤ .

لبراءة التثبيت التي تنطوي على صورة الايمان مع القسَم بالامانة ، والترجمة العربية للامتيازات البطريركية وبوثيقة منح الباليوم وطلب اليه المصادقة على صورة الايمان مع القسَم » (٣٥) . فكيف كانت النتيجة ؟

لقد كان الحوار ساخنا وحاسما كما لم تتصوره روما ، اذ ان في « براءة التثبيت » امرين جوهريين لا يسلّم بهما لا البطريرك داود شاه ولا نائبه الاسقف توما . وهما : المجمع الخلقيدوني والمجمع القسطنطيني . ويجب ان نعرف ان ليونار لم يتمكن من مقابلة البطريرك اذ لم يتمكن ايضا من البقاء طويلا في آمد .

فالمطلوب من البطريرك السرياني ان يحرم ديوسقوروس ، « ومعاذ الله ان يكون ديوسقوروس محروما او هالكا بل هو قديس وأحدُ كبار الامة (السريانية) »(٣٦) . والواقع هو انه « لو عرف الشعب هذا اي اننا نحرم ديوسقوروس فلحرمنا في الحال واهاننا ورجمنا »(٣٧) على قول النائب البطريركي الاسقف توما شاه .

(٣٥) علاقات : ص ١٥٤ .
(٣٦) المصدر نفسه .
(٣٧) المصدر نفسه .

اي اتحاد تريد الكنيسة الرومانية ؟ واية دعوة تريد الكنيسة الشرقية ؟

قد يكون المدخل الى اتحـاد الكنيستين : الرومانية والسريانيـة ، هو حـرم ديوسقوروس ، ولكن المشكلة الكبرى ، في رأينا ، هي ان الكنيسة الشرقية لا ترى الى « كوزموبولية » الرومانية ، ولا الرومـانية ترى الى ذاتية الشرقية وضرورة استقلالها ، الامر الـذي ابقى العلاقات بينهما مجرد مجاملة فحسب . هنا ، في الشرق ، شعب ... وارادة شعبيـة . وهنـاك في روما مبـادىء ومسلّمات لا رجوع عنها ساءت الازمنة او حسنت وطابت .

« وعلى الحاح من النائب (البطريركي) اعطاه السيد ليونـار (السفـير) رسائل البطريرك نعمةالله المسهبـة والمكتوبة بالسريانية ، وبعد ان قرأها بانتباه قال : « كيف نستطيع ان نحرم من اعتبرناه وقتـا طويلا قديسا وابا لنا ؟ وافهم السفير انـه ستحل بهم (البطريرك ونائبه والعائلة) اضطهـادات وفتن وانـه عليـه ان يعجّل ويلجـأ الى حلب »[٣٨] .

اذاً ، ارادة الشعب السرياني يجب احترامها والمحافظة

---

(٣٨) المصدر نفسه : ص ١٥٥ .

على تماسكها ، وليس من مصلحة انصار الوحدة المسيحية اثارة القضايا والموضوعات الحساسة والمؤلمة ، التي منهـا قضية ديوسقوروس بالذات .

لماذا حُرِم ديوسقوروس ؟

يقول السفير ليونار « ان ديوسقوروس قد حُرِم لانه وافق على اعمـال اوطيخا وهرطقته وبسبب كبريائه ورفضه الحضور الى المحكمـة ولاسباب اخرى يفصلهـا المجمع المذكور »[٣٩] أي المجمع الخلقيدوني .

ويجيبه النائب البطريركي الاسقف توما شاه فيقول :

« ان ديوسقوروس لم يصادق قط على رأي اوطيخا ، وان اليعاقبة هم اتبـاع ديوسقوروس وليسوا اوطيخيين ولهذا فانهم يحرمون اوطيخا وهرطقته »[٤٠] . واكد النائب انـه بحسب كتبهم ، حُرم ديوسقوروس ظلمـا فهو لم يرتكب جرمـا ليستحق الحرْم »[٤١] . فرد السفير مبينا

---

(٣٩) المصدر نفسه .
(٤٠) المصدر نفسه .
(٤١) المصدر نفسه .

« ان حرْم ديوسقوروس هو عادل تماما وان ما يرويه تاريخهم عن ديوسقوروس هو خطأ »[٤٢] ؟

واستمر النائب البطريركي والسفير البابوي يتجادلان هكذا ، حتى « رفض النائب المصادقة على صورة الايمان المتضمنة قبول المجمع الخلقيدوني وحرْم ديوسقوروس لان المصادقة على ذلك لا ترضي الله ولا ضميره »[٤٣] . فلماذا روما لا تفرق بين اوطيخا وديوسقوروس ؟

ديوسقوروس

ان السريان يكرّمون ديوسقوروس ايما تكريم ، وثقتهم فيه لا تتزعزع . فهو « وُلد في الاسكندرية وروّض نفسه منذ نعومة أظفاره على الايمان القويم . وفي سنة ٤٤٤ خلف القديس كيرلس الاسكندري الشهير . ولئن لم يكن كفؤا مثله الا انه كان هادئا وشجاعا في الوقت نفسه . فتحمّس للتقليد الكيرلسي الراهن ، متمسكا بالقانون الافسسي المانع من ادخال اية زيادة ،

(٤٢) المصدر نفسه : ص ١٥٦ .
(٤٣) المصدر نفسه : ص ١٥٦ .

او نقصان على الايمان . وجابه المتمسكين بمذهب نسطور »[٤٤] .

واذ « تفاقم الجدال النسطوري ــ الاوطاخي ، ترأس (ديوسقوروس) سنة ٤٤٩ بأمر القيصر تاودوسيوس الثاني مجمع افسس الثاني المسكوني الذي عزل (الكثيرين) لتمسكهم بمذهب نسطور ، ورفض رسالة لاون الروماني النسطورية بل حرَمه ايضا . غير ان القيصر مرقيان وزوجته بلخاريا اللذين ملكا سنة ٤٥٠ ظهرا خصمين لدودين . فعقدا سنة ٤٥١ مجمع خلقيدون المعروف وعزلاه لمحازبتهما لاون الروماني لاسباب سياسية بحتة . ونفيا الى غنفرة في قبلاغونية حتى توفي سنة ٤٥٤ وضُم الى سجل المعترفين الخالدين »[٤٥] .

ويُذكر ان ديوسقوروس حين اتهمه خصومه ، في المجمع الخلقيدوني ، بأن اعتقاده بالطبيعة الواحدة هو اعتقاد اوطيخا نفسه ، قال : « لسنا نقول بالاختلاط ولا بالامتزاج ولا بالاستحالة » بل نسجا على منوال

(٤٤) البطريرك يعقوب الثالث : تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية طبعة ١٩٥٧ ، ج ٢ ص ٢٠٠ .
(٤٥) المصدر نفسه .

اثناسيوس وغريغوريوس وكيرلس وغيرهم من الملافنة نقول انه لا يجب القول بطبيعتين بعد الاتحاد »(*٢) .

هذا هو ديوسقوروس ـ القديس ديوسقوروس ، في نظر الكنيسة السريانية الارثوذكسية . فحري بالكنيسة الرسولية الرومانية ، اذن ، أن تتنازل عن بعض مطالبها المتشددة ، ولاسيما منها حرم ديوسقوروس ، ما دامت ترغب في وحدة مسيحية وكنيسة جامعة .

---

(٤٦) المصدر نفسه .

(*٢) يقول البطريرك حايك : « ولكن بما ان الوحدة والوئام يقتضيان ايمانا واحدا كاملا ، فلهذا يرسل البابا بيوس الرابع صورة ايمان « مترجمة من اللاتينية الى العربية حتى يسهل ان تجد من يمكن شرحها لك ، وقد تثقّف بها في روما المبعوثان البطريركيان . وحين تُوقّع هذه صورة الايمان وتعاد الى البابا تعتبر الوحدة امرا واقعا فيمنح عندئذ خليفة مار بطرس ما يلتمسه البطريرك » (ص ١١٥). ولهذا يعتبر الشماس اندراوس اخيجان (ابن عبد الفال مرى ـ الحلبي) أول بطريرك على السريان المتحدين بروما وقد تم هذا في ١٩ نيسان ١٦٦٢ ، وفي براءة (بابوية) وصلت الى حلب في الثالث من آب (و) اعترف به (السلطان) محمد الرابع ... فبدأت سلسة بطاركة السريان الكاثوليك » (ص ١٩١) .

ان الوحدة المسيحية ، اذن ، هي أهم من مقررات هذا المجمع او ذاك . فلماذا اعتبار المجامع حدودا ومقاييس لا يمكن تجاوزها ولا تطويرها ؟ بل لماذا لا نعالج مشكلاتنا الحاضرة بادوات الحاضر وعقليته ومنهجيته ؟ لنقل : غفَر الله لآريوس واوطيخا وديوسقوروس ونسطوريوس وكيرلس ودمنوس وفلابيانوس وهيبا ولاون وثاودوريطس واقولينوس واندراوس ، وايضا لجميع الذين سبقوهم والذين جاؤوا من بعدهم ، ممن تنازعوا وتجادلوا في المسيح وامه ، وفي موضوع الحمَل بلا دنس ، وغيره من الموضوعات والمسائل ، التي أثارها اللاهوت وناقشتها الفلسفة حتى ازدادت تعقيدا (*٣) .

(*٣) وما يجب ذكره هو ان البطريرك حايك قال في خاتمة كتابه : « ليست المونوفيزية الاسمية هي التي حالت وتحول دون الاتحاد . فقد قال بكل حق المطران توما اخو البطريرك داود شاه ونائبه العام للسفير البابوي المطران ليونار آبيل « التعبير الخلقيدوني أقنوم واحد وطبيعتان وارادتان وفعلان في المسيح سوف ينتشر بالتأكيد بين اليعاقبة لانه في الواقع لا يختلف التعبير اليعقوبي عن اللاتيني الا في الكلمات فقط » .

أضاف البطريرك حايك :

=

كما وان زمن الحرم قد مضى الى حيث لا رجعة .
والاضطهاد الديني صار هو الاضطهاد السياسي والاقتصادي والاجتماعي والآلي ـ الميكانيكي القمعي ايضا .
ولربما انتزعت ، غدا ، الآلة من الانسان القضاء والقانون والسلطة وكل ما حصّله لنفسه من حقوق وامتيازات .
وعندئذ لن ينفع ما في خزائننا من كتب ومخطوطات وسجلات أحكام تاريخية ومحفوظات أُميتت او تُرك استعمالها .

« كان الايمان قويما ولم يكن الخلاف في العقيدة بل في الالفاظ وقد اعلن ذلك في اللقاء المسكوني الذي حصل في فيينا (النمسا) سنة ١٩٧٠ وكما أعلن رسميا في لقاءات ثلاثة هامة تمت : الاول بين البابا بولس السادس وقداسة البطريرك المثلث الرحمة اغناطيوس يعقوب الثالث بطريرك السريان الارثوذكس . والثاني بين البابا بولس السادس والبابا شنودا بطريرك الاقباط الارثوذكس . والثالث بين البابا يوحنا بولس الثاني وقداسة البطريرك اغناطيوس زكا الاول عيواص بطريرك السريان الارثوذكس ومن البيانات الثلاثة يظهر الاتفاق الجوهري على ان يسوع المسيح اله تام وانسان تام وان لاهوت المسيح وناسوته اتحدا فيه دون ان يفقد شيئا من خصائصهما . فمن حيث العقيدة اذا الايمان هو هو في الكنائس الكاثوليكية والارثوذكسية الخلقيدونية وغير الخلقيدونية (الخاتمة : ص ١٩٦) .

والى ذلك اليوم ، الذي ارجو ان لا يكون قريبا ، يبقى كتاب البطريرك اغناطيوس انطون الثاني حايك : « علاقات كنيسة السريان اليعاقبة مع الكرسي الرسولي » (من ١١٤٣ ـ ١٦٥٦) ، وما ضم من ملاحق ووثائق ، كنا تتمنى نقلها الى العربية ، هو الباب الاوسع والمفتوح على جراح الوحدة المسيحية وآلامها ومعانياتها . في العهود الاربعة : الصليبي والايوبي والمملوكي والعثماني (التركي) ، وكلها ، بالنسبة الى الكنيسة الشرقية ، عهود ظلم وظلام . وتلك هي كنائس انطاكية والمدائن والقسطنطينية والاسكندرية واورشليم ، فاسألوها ان شئتم ، فعندها الشهادة ، وعندها الخبر القاطع ايضا .

الفصل السادس

الرّوم الكاثوليك:
مِلّةٌ وكنيسة بطريركيّة

«ماذنبُ مغدوشة، البلدة الوديعة الآمنة والمنفتحة والمتفاعلة مع بيئتها وجيرانها أن تصبح موطئ قدم على خريطة أهل السياسة على حساب أهلها والقيم، ماذنبُ الناس الطيّبين الآمنين تضرب لهم الوعود وتكال لهم المدائح، ثمّ تشعل النار في ثيابهم وتهدم السقوف على رؤوسهم فيهرعون مع أطفالهم في ظلمة الليل يطرقون باب المجهول؟!»

«لن أكون شاهد زور وناطور بيوت وقرى مهدّمة وفصول مسرحية جديدة»

الأرشمندريت سليم غزال
المدبّر البطريركي لأبرشية صيدا ودير القمر
جريدة «النهار» ٢٣/١٢/١٩٨٦

تمهيد

لمن نؤرّخ وكيف ؟

هل التلميح يغني عن التصريح ؟ والرمزُ عن التبصُّر ؟

لأن التاريخ رحلة في الحدث متأنية ومدققة ، فالرجوع ، من بعد الاتمام ، شرط لا نزاع فيه ، بل واجب وحق . ومن سافر ولم يعد ، فهو مفقود أو فقيد ، حتى تأتي اخباره الثابتة والواضحة .

ومهما نأت المسافة وطال الزمن ، فلا بد من اليقين الذي يزيح الشك ويحقق الامر . ولا بد أيضا من العلم الحاصل عن النظر والاستدلال . ذلك لان غاية الامر التأكيد على صدقه ووضوحه ، وغاية التأريخ الاستكشاف والاستنتاج . وبين هاتين الغايتين علاقة يدركها المؤرخ بحسه وعقله ، فيعمل لما يتفق واياهما ، أو هو يعمل

لهما ، بما لديه ومن موقعه الخاص • وهنا نجد سر التباين بين المؤرخين (•••) وليس باستطاعتنا القول بأن هؤلاء ، ولو كانوا من عصر واحد وبيئة مشتركة ، هم على مسافة واحدة من الخطأ او الصواب •

لنتفهم الكنيسة الملكية الكاثوليكية

نسوق هذا التمهيد ايجابا لحق الارشمندريت اغناطيوس الديك ، الداعي في ختام كتابه : « الروم الملكيون الكاثوليك »[١] ، الى الانفتاح على الكنيسة

(١) ١١٠ صفحات ، من القياس الوسط ، المطبعةالبولسية، بيروت ، طبعة ١٩٨٦ . ظهر هذا الكتاب أولا بالفرنسية في المجلة البطريركية « Le Lien » (السنة ١٩٨٥ ، الاعداد: ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥) تحت عنوان :
Le Greck Melkite Catholipues , Identié et Mission, par l'Archimandrite Ignace Dick.

وقام بترجمته الى العربية المطران حبيب باشا ،بأسلوب شيق ومتين ، مما يجعلك تعتقد انه هو المؤلف .
والجدير ذكره هو ان هذه المجلة « Le Lien » قد ظهرت، سنة ١٩٣٦ ، في القاهرة ، على يد الكاهن جورج حكيم ، وهو البطريرك مكسيموس الخامس حكيم،وشاءها مؤسسها أداة وصل ليس فقط بين أبناء الطائفة في مصر ، بل أيضا بين البطريركية الملكية الكاثوليكية وسائر العالم الكاثوليكي. وهي تصدر اليوم في لبنان (ص ٨٨) .

الملكية الكاثوليكية ، لانها « بحاجة الى من يتفهمها ويقدرها ويساندها »[٢] • ولانها « ليست خطرا على احد بل هي في خدمة الجميع »[٣] •

ولكي تتفهم الكنيسة الكاثوليكية ، حسبما يريد الارشمندريت الديك ، ومترجم الكتاب المطران حبيب باشا[٤] الى العربية كما لو انه المؤلف نفسه ، ينبغي لنا ان تتعرف على ماضيها وحاضرها ، وعلى رسالتها ايضا • ومن أوْلى من ابناء الكنيسة ، اي كنيسة ، بكتابة تاريخها والدفاع عن حقوقها وقضاياها ، والرد على اعدائها وخصومها ، ولاسيما منهم الذين تمردوا عليها ، ورموها بالانتقادات الجائرة الحادة ، وحرموها ، اذ حكموا عليها بالهرطقة ، وإحداث عقائد غير مسبوقة بمادة ولا زمان ؟

على ان كتابة التاريخ ، في اي وقت واي مكان ، تتطلب الموضوعية والصدق والامانة • وكل عمل تأريخي لا يستند الى هذه المعطيات والثوابت ، فهو ضعيف وقاصر

(٢) ص ١١٠
(٣) ص ١١٠
(٤) متروبوليت بيروت وجبيل وتوابعهما للروم الكاثوليك. انظر ترجمته في كتابنا « رسالتي الى المسيحيين » الطبعة الاولى (١٩٨٥) ص ص ٤٨٤/٤٨٥/٤٨٦ . الطبعة الثانية (١٩٨٦) ص ص ٥٠٢/٥٠٣/٥٠٤

ومشوّه ، ومن الممكن أن يجلب على المؤسسة الضرر ، فينفّر منها حتى دعاتهـا وانصارها (•••) كأن يجعلهم يأنفون منها ويكرهونها ، بدلا من التمسك بالولاء لهـا ومساعدتها وعضدها كي تحافظ على شخصيتها وحريتهـا ومواصلة تراثها •

لقد عرّفنا المؤلف ، وإن تلميحا ، بالكنيسة الملكيـة الكاثوليكية ، فعرض لابواب ثلاثة هي : « جذور الهوية الملكية » (من ص ١١ الى ص ٤٤) و « الكنيسة الملكية : مصيرهـا التاريخـي » (مـن ص ٤٥ الى ص ٩٣) و « الكنيسة الملكية : حاضرها ورسالتها » (من ص ٩٥ الى ص ١٠) ، فحمّل كل صنفحة ، من كتابه ، بل كل مقطع وسطر ، حبه لكنيسته واعجابه برجالاتها ، الذين صبروا على القهر والاضطهـاد ، واحتملوا التشرّد والعوز حتى « سيطروا على عوامل الزوال »(٥) ، و « استقرت كنيستهم الموزعة اليوم على خمس دول : سوريا ولبنان والاردن وفلسطين ومصر »(٦) ، ولهـا ممثلون في عدد من العواصم والمدن الاوروبية والاميركية •

إن الاحداث التي ضمّها كتـاب « الروم الملكيون

(٥) انظر المقدمة : ص ٧
(٦) ص ٩٨

الكاثوليك » ، هي مثل قطف الورد ، من كل مسكبة ، ان لم يكن من كل شتلة ، قمر ، وقد احكم المؤلف جمعهـا وتنسيقها ، وعالجها بدراية واتقان ، كما لو انه في كنيسته يعظ ويوجه ويرشد ، أو يتهيأ ليناول المصلّين القربان • وتكاد تنسى انك تقرأ تاريخ كنيسة وطائفة،حتى يفاجئك، في هذه الصفحة او تلك ، رقم او رقمان ، بين قوسين ، وعندئذ تتذكر ان الكتاب الذي تقرأ انما هو تأريخي فعلا ولكنه مكثّف مجمّع (Concentrated) يحتـاج الـى تحليل وتكثير • وهكذا المقدمة ، التي بلغت ثلاث صفحات ونصف الصفحة فقط ، فهي بمثابة انـذار من المسيحيين الشرقيين ، على اختلاف عقائدهم ، الى المسيحيين الغربيين ، يحذرونهم من الخطر الذي اوشك ان يقضي على المسيحية في مهدها ومسقط رأسها •

ورثة الكنائس الكبرى

يقول المؤلف او المترجم :

« منذ ان اندلعت احداث الحرب في لبنان ، أخـذ المسيحيون في الشرق العربي يتصدّرون واجهة الإسلام ، وكان الغربيون ، من قبـل ، في سوادهم الاعظـم ، لا يعلمون الا القليل عن وجودهم •

« وبينما الجماعات المسيحية في شمالي افريقيا قد انقرضت ، ولم يبق في بلاد المغرب اليوم سوى وجود كنسي مستورَد ، نرى الحضور المسيحي في الشرق لا يزال مستمرا ضمن جماعات حية متأصلة في اوطانها ، لم تفلح التقلبات ولا المضايقات في زعزعة ولائها البطولي بجذورها » .

ويقول ايضا :

« انهم على ضآلة عددهم ، يمثلون واقعا تاريخيا وحضاريا على جانب كبير من الاهمية . فهم ، في ايامنا هذه ، ورثة الكنائس الكبرى ، في سورية ومصر ، وما تعنيه هذه الكنائس من علاقة ذات بال بالجذور المسيحية . ولا شك ان انفَسَ ما لدينا من إرث لاهوتي وليترجي وروحي قد نَبت في هذه الارض [٧] .

تكون المسيحية الشرقية أو لا تكون .

الغرب حمل الينا « مسيحيته » فظلت « غريبة » و « مرتبكة » و « متشوقة » . وكنا نأمل ان تتعلّم كيف تشرب من ينابيعنا ، وكيف تقرأ نبوءاتنا واناشيدنا وحِكَمنا

(٧) ص ٧

وأمثالَنا ، وكيف تفسر أحلامَنا ورواياتنا وصراعاتنا وانفعالاتنا ، وكيف تفهم تسامحنا وسحرنا وغضبنا وكرمنا . وايضا كيف تفكك ألغازنا وأساطيرنا وخرافاتنا ومثالياتنا . ولكن أياً من هذه الآمال والاماني لم يتحقق ، فبقي الغرب غربا ، والشرق شرقا ، في حين ظلت المسيحية الشرقية مثل شجرة الزيتون العتيقة ، التي يستضيئون بزيتها في الليل ، ويرشقونها بالحجارة والنبال في النهار .

لذلك يقول المترجم على لسان المؤلف :

« والواقع ان اشد الحقب ادلهماما لم تفلح في كبح ما اتصف به المسيحيون الشرقيون من ارادة البقاء »[٨] .

ويقول متسائلا :

« أفيجب أن يوفّق القرن العشرون في إبادتهم ، بمشهد من اوروبا اللامبالية ، المزعومة مسيحية وذائدة عن الحريات وحقوق الانسان ؟ وهذه آسيا الصغرى (تركيا اليوم) التي كانت تحضن الملايين من المسيحيين في مطلع هذا القرن ، لم يبق فيها منهم سوى بضعة آلاف يعيشون ، بالجهد ، في هامش الحياة الوطنية »[٩] .

(٨) و (٩) ص ٧

ويرفض المتروبوليت باشا ([*١]) ، كما نرفض نحن، أن يتصور شرقا بدون المسيحية ، او مسيحية بدون الشرق[١٠] ، فيقول :

« ثمة أصوات انهزامية تعلو احيانا لتزعم أن المسيحيين ليس لهم غد" في الشرق • وثمة أصوات اخرى قد ارتفعت مطالبة بتصفيتهم أو بترحيلهم • ولكن المسيحيين مقتنعون من ضرورة بقائهم حيث هم ، مصرّون على التمسك بماضيهم الديني والحضاري ، حفاظا على ايمانهم ورسالتهم ، وتحقيقا لمصلحة وطنهم الحقيقية ، وذوداً عما أؤتمنوا عليه من قيم جوهرية في نظر البشرية، وهي حرية الضمير ، وامكان التعايش والتآلف بين مختلف الاديان التوحيدية ، ضمن الوحدة الوطنية • ومن حق المسيحيين الشرقيين أن يعوّلوا على الدعم والتفهم، سواء من مواطنيهم الواعين ام من اخوتهم في الغرب »[١١] •

وينعم المتروبوليت باشا في التشريق[١٢] فيقول :

(*١) ودائما على لسان المؤلف الارشمندريت اغناطيوس الديك .

(١٠) انظر كتابنا « رسالتي الى المسيحيين » طبعة ثانية ١٩٨٦ ، ص ٥١

(١١) الروم الملكيون الكاثوليك : ص ٨

(١٢) التشريق : الاخذ في ناحية المشرق .

« معظم الغربيين يجهل كل شيء من أحوال الشرق ومعضلاته المعقدة • وما عُني بالشرق المسيحي ، حتى اليوم ، سوى بعض الجهابذة • فالاوساط الدبلوماسية والسياسية في مختلف الدول الاوروبية توسّمت في مسيحيي الشرق نقطة ارتكاز لنفوذها ، بيادق تحركها على رقعة الشطرنج الدولية • أما العلماء المستشرقون فيجدون فيهم مادة لبحوثهم ، ويعنون بمخطوطاتهم اكثر من عنايتهم بالكنيسة الحيّة • وأما المحسنون الاتقياء في « مبرّة الشرق » وغيرها ، فالمسيحيون الشرقيون ، في نظرهم ، متسولون بحاجة دائما الى مال ، وهم يهتمون «للمرسلين» الاجانب العاملين في ما بينهم اكثر من اهتمامهم لازدهار الكنائس المحلية »[١٣] •

دور الغرب المسيحي

لماذا يبالغ المتروبوليت باشا في التشريق ، والعالم ، اليوم ، بات كأنه « القرية الكبيرة » على قول « نبي الواسطة » مارشال ماكلوين (Marchall Mcluhan)[١٤] ؟

(١٣) ص ٨

(١٤) انظر كتابنا « نحن ... وصنمية التاريخ » طبعة٩٨٦ ص ٦٢٢/٦٢٣

هل المطلوب من الغرب ان يصبح شرقيا ليتفهم معضلاتنا وكيف ؟

أي غرب ينشد المتروبوليت باشا في ندائه التالي :

« لقد آن الاوان للجماهير المسيحية في الغرب أن تقف على احوال المسيحيين في الشرق العربي وتمحضهم المودة لاجل ذاتهم ولاجل القيم التي يمثلونها ، وتساندهم بحدبها ودعمها ليستمروا في ولائهم لرسالتهم »[١٥] ؟!

ألم تتأخر في ندائنا هذا ؟ أم طالما كررناه حتى كدنا ننساه ؟

الجماهير المسيحية في الغرب ماذا عساها تقدم ، اليوم ، للمسيحيين في الشرق ؟

لا اظن ان المتروبوليت باشا نسي الاعباء والمصائب التي القتها « الحضارة » على هذه الجماهير ، فجعلتها قلقة على مصيرها ، وخائفة من حاضرها ، وقد اصبح الحاضر الغربي مدججا بأحدث وأسرع أدوات الموت الجماعي والدمار الاممي •

---

(١٥) ص ٨

لنسأل دول الغرب عن مشاريعها المستقبلية !

إن مستقبل الغرب ، كما يبدو ، اصبحت معالمه محددة ومعروفة ، وهي : الفضاء ، والتكنولوجيا ، والسلاح النووي • معنى القول : انه مستقبل عامودي تصاعدي يسابق الضوء وذو اتجاه واحد • فهو لا يلتفت الى الوراء ، ولا ينظر يمينا او شمالا • انه فوقي فحسب • بينما مستقبل المسيحية الشرقية مسكون بالهواجس والاحزان التاريخية والانشقاقات المذهبية • ومسكون ايضا بالخوف من السياسات التي تقررها المصالح الدولية والاقليمية ، ومن الارهاب الذي يمارسه « الاصوليون » القرآنيون والتوراتيون • فهل من لقاء بين غربي صاعد مجنون وبين شرقي تقليدي مسكون ؟!

وعلى قول المتروبوليت باشا نفسه ، فان « احوال الشرق (اليوم) على جانب كبير من التعقد »[١٦] ، و « المسيحيون ، على اقليتهم ، موزعون طوائف خضعت ، على مر التاريخ ، لذات المصير ، بالرغم من الفوارق القائمة بينها »[١٧] • كما وان « حدود الدول الحديثة لا تنطبق على حدود البطريركيات التي تمثل كيانات إثنية وحضارية

---

(١٦) ص ٨
(١٧) ص ٨/٩

أشد أصالة وأكثر تشابكا »[١٨] • وبالنسبة الى الكثلكة ، في هذا الشرق ، فان « مجالس البطاركة والمطارنة التي تتمثل فيها الطوائف الكاثوليكية المختلفة ضمن الوطن الوحيد ، لا تملك سوى صلاحية استشارية »[١٩] • بيد أن السلطة هي « بيد السينودسات التي تضم مطارنة كل طائفة حول بطريركها ، بالرغم من انتمائهم الى بلدان مختلفة »[٢٠] •

ويلقي المتروبوليت باشا ضوءا على تاريخ الشرق القديم فيقول :

« ويضم الشرق القديم أربع مناطق جغرافية حضارية : آسيا الصغرى ، العراق وايران ، مصر ، منطقة انطاكية (سورية الطبيعية) »[٢١] •

أضاف :

« المسيحيون في آسيا الصغرى (تركيا) هم اليوم في حكم المنقرضين ، ولا يدخلون في نطاق الشرق العربي »[٢٢] •

---

(١٨) (١٩) ص ٩
(٢٠) (٢١) (٢٢) ص ٩

ويقول :

« الكنيسة الكلدانية هي الوريثة التاريخية لكنيسة الفرس ، ومعظم اتباعها يقطن العراق وايران • وتضم الكنيسة القبطية السواد الاعظم من مسيحيي مصر • واما قطاع انطاكية فهو الاكثر تفتتا : ثمة خمسة بطاركة ينتسبون الى كرسي انطاكية : بطريرك الموارنة ، والسريان الارثوذكس ، والسريان الكاثوليك ، والروم الملكيين الكاثوليك ، والروم الارثوذكس »[٢٣] •

ويتابع قائلا :

« ويعتبر الروم الملكيون الكاثوليك انفصالهم عن الروم الارثوذكس ، منذ قرنين ونصف القرن تقريبا ، تدبيرا مؤقتا • فتاريخهم ، حتى مطلع القرن الثامن عشر ، تاريخ مشترك ، وحتى في الحقبة المعاصرة ، لا تزال بين ابناء الكنيستين أمور كثيرة تقربهم بعضهم من بعض•ويكوّنون معا طائفة تاريخية واحدة هي طائفة الملكيين »[٢٤] •

ويرى المتروبوليت باشا ان الملكيين « لا ينحصرون في بطريركية واحدة ، بل يتوزعون على بطريركيات

---

(٢٣) (٢٤) ص ٩

ثلاث : الاسكندرية وانطاكيـة واورشليـم »[٢٥] ، مما يجعلهم « اقل الطوائف ارتباطا بالرقعة السورية ، واكثرها انفتاحا على البعـد الشمولي الذي تميزت بـه الكنيسة السورية »[٢٦] •

ويعـود المتروبوليت بـاشا ليؤكد على ان هـؤلاء (الملكيون) « هم الطائفة التي استمرت ، اكثر من غيرها ، على اتصال بسورية الآباء اليونانيين ، وظلّت بفضل ولائها للمجمع الخلقيدوني ، متحدة بالكنيستين العظميين : رومة والقسطنطينية »[٢٧] •

الكنيسة التوفيقية

والذي يجب ان يعرفه الجميع هو ان تمسك الكنيسة الملكية بماضيها الديني « لم يحل بينهـا وبين الانفتاح على الأوضاع الجديدة الناجمة عن الاحتلال الغربي »[٢٨] • فهي كانت « السبّاقة في تعريب ليترجيتها ومعالم ثقافتها تعريبا كاملا »[٢٩] • « ويعتبر الملكيون الكاثوليك انفسهم ــ من غير ان يذهلوا عـن طابعهم السوري الانطاكي ــ جزءا من العالم العربـي ، والعالم البيزنطي ، والعـالم

---

(٢٥) (٢٦) (٢٧) (٢٨) (٢٩) ص ١٠

الكاثوليكي • وهم يجمعون الكتل الكبرى الثلاث الناجمة عن تصدّع العالم اليوناني ــ الروماني القديم ، في مطلع القرن الوسيط »[٣٠] •

ولان الملكيين الكاثوليك هم خلاصة العلاقات الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعيـة ، المزمنـة ، والتي سادت المنطقـة قرونا وأجيالا ، فربطتها بالغرب ، فلا عجب اذا مـا أبى هؤلاء (الملكيون) ، في تمسكهم بدعوتهم المسكونية ، « كل اشكال التطيف »[٣١] • والاصح هو انهم « مـا وُجدوا ضمن طائفة معينة ، الا لانهم رفضـوا التطيف »[٣٢] والعزلـة والانفـراد ، أيا كـانت الظروف والاسباب والاغراءات المشجعة •

من الثابت ان الكنيسة الملكية الكاثوليكية وُجدت بعـد صراع طويل بـين الشرق والغرب ، وبـين الغرب والغرب ، والشرق والشرق • ولا نكون قد خرجنا عن جادة الصواب اذا ما قلنـا : انها كنيسة توفيقية تأخذ من الكل لتعطي الكل • عقلها روماني وقلبها شرقي ــ عربي • ولعلها أكثر الكنائس الشرقية حاجة الى الوفاق الدولي ، لان ولاءها لروما أمر شاق وكلوف ، ولاسيما في الحروب

---

(٣٠) (٣١) (٣٢) ص ١٠

والفتن • ولطالما دفعت هذه الكنيسة ، من كيانها وحريتها ، ثمن « طموحات » بعض الباباوات وممارسات الملوك والرؤساء الغربيين ، الذين ما انفكوا يحسبون الشرق سلعة أو متاعا يتاجَر به •

اذا تنازع الشرق والغرب ، فأولى الضحايا تكون الكنيسة الملكية الكاثوليكية • واذا اندلعت الفتن الطائفية بين الشرقيين انفسهم ، فان هذه الكنيسة تكون هي المستهدَفة من الجميع : المسلمون يدعونها صليبية استعمارية • والمسيحيون المشرقيون ، اي الذين لم يوالوا روما ، يعتبرونها انفصالية ، بل منشقة عن الكنيسة الام وخارجة منها • حتى إن اللاتين ما كانوا أرحم بالملكيين الكاثوليك من سواهم ، مع انهم « اخوة في الايمان »[٣٣] حسبما كان يعتقد الفريقان •

وان أبلغ دليل ، في أيامنا الحاضرة ، على ما نقول هو سقوط بلدة مغدوشة الكاثوليكية الواقعة على كتف صيدا الشرقي ، بعدما آمنت بالعيش المشترك ، والوحدة الوطنية ، ايمانها بالعذراء والمصلوب !

ألم يكن باستطاعة المنظمات الفلسطينية وحركة

(٣٣) ص ٦٦

« أمل » والاحزاب « الوطنية » و « القومية » اللبنانية إبعاد السكين عن عنق هذه البلدة ، التي ظلت تعصر خمرا للجلادين حتى سقوطها ؟! ألم يعد للبراءة مكان بيننا ؟!

لقد فضح مصرع مغدوشة « الاسرار » كلها ، و « النيات » كلها ، وبتنا واياها في بحرة من الدم يخشى ان تتمدد حتى تتصل بتلك التي حول البصرة ، حيث يهرق الايرانيون والعراقيون الدم بعضهم على بعض •

ان الضغوط المتعددة مصادرها وأبعادها ، لم تكن لتقصد القضاء على الكنيسة الملكية فحسب ، بل هي تريد تصفية الوجود المسيحي الشرقي بعلاماته كافة • ولكن الحياة المسيحية ، في الشرق ، استمرت ، فكان استمرارها « شبه معجزة معنوية »[٣٤] • و « استطاعت الكنيسة ان تثبت (هنا) وهي قد اضمحلت في افريقيا »[٣٥] • والسبب ، كما يراه المتروبوليت او المؤلف ، هو « ان العرب كانوا أكثر تسامحا من برابرة افريقيا »[٣٦] و «ان جذور الايمان في الشرق باتت أعمق وأمتن منها في غيره من الاقطار »[٣٧] • على ان المؤلف نفسه قد ميّز بين الفتح العربي والحكم الاسلامي التيوقراطي ، اذ يقول :

(٣٤) (٣٥) (٣٦) (٣٧) ص ٤٨

« لم يقضِ الفتح العربي على وجود الكنيسة الشرقية ، كما قضى على الوجود المسيحي في شمالي افريقيا • بيد ان ثلاثة عشر قرنا من الحكم التيوقراطي الاسلامي قضَمت شيئا فشيئا ثروتها البشرية ، وأخمدت ازدهارها الثقافي والروحي »[٣٨] •

ومن جهة اخرى ، يتفق المؤرخون على ان النظام البطريركي « وفّر للمسيحيين إطارا فعالا جدا ، وبنية دينية شبه قومية »[٣٩] ، اذ باتت « الخلافة الرسولية مؤمَّنة من دون اللجوء الى مرجع كنسي اعلى مقيم خارج البلاد »[٤٠] ، مما وحّد بين الكنيسة القومية ، كما عند الآشوريين والسريان والارمن والاقباط والكلدان• ولشدة الالتحام الذي حصل بين الكنيسة والقومية ، نهضت ، في الشرق ، افكار وآراء تحذر من خطر التنازل عن سيادة الكنيسة ، لانه ، في معناه ، تنازل عن القومية بكل عناصر تكوينها المادية منها والانسانية •

الى هذه الاساب ، « الاديرة » التي « صمدت للزحف الاسلامي »[٤١] ، و « حافظت على التراث المسيحي

(٣٨) (٣٩) ص ٤٨

عدة أجيال في مستوى جدير بالاعتبار »[٤٢] • و « الليترجية » باللغة الحية ، وما تتضمنه من تعاليم وشعائر « بليغة »[٤٣] • ان هذه « ساهمت في تغذية التقوى عند المؤمنين »[٤٤] • وايضا « عادة الكنيسة الشرقية في اعتماد خدمة الكهنة المتزوجين ، المنتخبين من بين الشعب » ، وقد « ضمنت استمرار الحياة الليترجية واقامة الاسرار في اقصى الاماكن »[٤٥] •

وعن واقع المسيحيين منذ الفتح العربي وحتى القرن الحادي عشر ، يقول المتروبوليت باشا :

« بسبب الحكم التيوقراطي الاسلامي ، لم يكن من الممكن ان يخضع المسيحيون لقوانين الدولة كلها • فالطوائف المسيحية المختلفة كانت تنعم باعتراف شرعي واستقلالية ادارية داخلية في كل ما له صلة بالاحوال الشخصية ، بموجب قوانينها الخاصة ، وفي رعاية البطاركة القيمين عليها والمعترف بهم رسميا بأمر من الخليفة • ولكن هذا الوضع قد ساهم ، في المقابل ، في تثبيت الخلافات المسيحية ، وأضفى على مختلف الكنائس صورة الجماعات شبه القومية وزاد في تعقيد معضلة الوحدة

(٤٢) (٤٣) (٤٤) (٤٥) ص ٤٨

المسيحية في الشرق العربي »(٤٦) .

أضاف :

« حتى القرن الحادي عشر ، وطوال الحقبة الذهبية العربية ، ظل المسيحيون هم الاكثرية ، مدة خضوعهم مباشرة سواء للحكم المركزي الاموي ثم العباسي ، أم بطريقة غير مباشرة ، للسلالات المحلية المختلفة التي تعاقبت على الحكم في مصر وسورية (الطولونيين والاخشيديين والفاطميين والحمدانيين والمرداسيين) ، ولبثوا بمعزل عن الصراعات السياسية ، موالين للسلطات القائمة »(٤٧) .

وجاء دور القسطنطينية ، الذي رافقه دور الصليبيين كما هو معروف . وتتابعت الادوار فتغيرت وجوه ، وبدلت أحكام ، كان من نتائجها أن تقلّص عدد المسيحيين (...) وانهارت اديار وبيع ، ثم انقسمت البطريركية الملكية الى فرعين : بطريركية الروم الارثوذكس وبطريركية الروم الكاثوليك ، وكان ذلك في اواخر الربع الاول من القرن السابع عشر .

---

(٤٦) ص ٤٩
(٤٧) المصدر نفسه .

لماذا انقسمت البطريركية الملكية ؟ لا شك ان الجواب عن هذا السؤال يحتاج الى المزيد من التروي والمراجعة والتحقيق والتدقيق ، مع تمنياتنا أن تعود الكنيسة الشرقية واحدة موحّدة . والى كثرة المصادر والمراجع ، فان كثيرين قد مالوا بهواهم الى هذه الجماعة او تلك ، فجاءت أحكامهم غير دقيقة تماما وغير عادلة كلية .

وعلى كل ، فان الكنيسة الملكية انقسمت على نفسها ، ففقدت الكثير الكثير من وهجها وأملاكها الوسيعة والغنية . ومن ينظر الى الحواضر المسيحية الكبرى كيف تلاشت لن يكفيه المؤرخون ، مهما تعمقوا في ابحاثهم ، عما يدور في خلده !

يقول المتروبوليت باشا في وصفه الهيمنة البيزنطية ما يلي :

« وقعت انطاكية ثانية تحت الحكم البيزنطي مدة قرن وربع القرن (٩٦٩ — ١٠٨٤) فأصبحت البطريركية الملكية قمرا يدور في فلك البطريركية المسكونية . وكان الامبراطور البيزنطي هو المقرّر في قضية انتخاب البطاركة ، ينتقي معظمهم من بين اكليروس العاصمة .

وقد اضطر يوحنا الثالث (٩٩٦ — ١٠٢١) الى التنازل عن استقلالية انطاكية الكنسية ، وقبول الرسامة من يد بطريرك القسطنطينية ، وليس من يد مطارنة البطريركية الانطاكية ، كما تقضي الاعراف • واما بطرس الثالث (١٠٥٢ — ١٠٥٦) — وكان انطاكي المنشأ قسطنطيني التنشئة — فقد دافع عن حريات كرسيه الرسولي وأبى الانحياز الى البطريرك كيرولاريوس في نزاعه مع الكرسي الروماني • لقد بات معروفا موقفه الشجاع والوحدوي ،ولكن خلفاءه لم يجاروه في هذه المواقف الجريئة »[٤٨] •

طبعا ، ان هذا القول له ، في المقلب الآخر ، ما يخالفه بشدة وعنف • وعلى سبيل المثل فان المؤرخ الارثوذكسي (الروسي) أفغراف سميرنوف يصف الحياة المسيحية ، في الكنيسة الغربية ، في العصور من التاسع الى الحادي عشر ، بأنها « كانت في حالة محزنة »[٤٩] اذ ان « شعوب الغرب الجديدة الخارجة حديثا من حالة الهمجية واعتنقت المسيحية وكانت تتم الناحية الطقسية

(٤٨) ص ٦٥
(٤٩) تاريخ الكنيسة المسيحية ، نقله عن اللغة الروسية الى العربية ، مطران حمص وتوابعها ، طبعة ١٩٦٥ ، ص ٣٧٨

ليس دائما ولو بدون اكتراث (•••) ظلت كالسابق بمفهومها الوثني عن الآداب والعادات »[٥٠] • « فالجرائم المختلفة ، النهب والقتل وما أشبه عند الجميع ولا سيما عند ذوي اقطاع العصور المتوسطة ، كانت عملا عاديا تماما »[٥١] • وكذلك « الخرافات الوثنية بقيت ايضا في قوتها ولكن قبلت شكلا مسيحيا »[٥٢] •

ويمضي افيغراف سميرنوف في وصفه هذا قائلا :

« هكذا صار الكتاب المقدس عرّافا للمريدين معرفة القدر (المصير) » • فاذا « انسان عزم على المباشرة بمهمة او مشروع هام وخطر يأخذ الكتاب المقدس واول مكان يقع منه يعدّه نبوءة لنفسه • فالعادة الوثنية الخرافية ، عند الشعوب الجرمانية في تمييز الجهة الحقيقية من الباطلة في قضية مختلف عليها بواسطة الامتحان بالنار والماء الغالي والبارد وما اشبه بقيت في كل قوّتها »[٥٣] و « لكن هذا من الامتحان صار اسمه حكومة الله »[٥٤] •

ويقول أيضا :

« واما بشأن الرهبنة الغربية ، فان الفساد الادبي

(٥٠) (٥١) (٥٢) (٥٣) (٥٤) المصدر نفسه .

المسيطر في كل اجواء الحياة الكنسية قد مسّها ايضا . فأهملت قوانين بيندكت نورسيسك ، والاديار ورئاستها نظير الاساقفة صارت في علاقات اقطاعية مع الملوك والامراء ، حصّلت املاكا متسعة وبواسطتها الغنى ، وألغي الاشتراك بالمقتنيات واخذ الرهبان يعيشون عيشة ترف وتسيّب ، ولم يبق ذكر للاجتهاد العقلي والطبيعي ، واشتغل رؤساء الاديار بالصيد نظير الاقطاعيين العلمانيين وذهبوا الى الحرب مع اقطاعييهم وما أشبه . وبسبب افساد الحياة الدينية ظهرت محاولات لاعادة قانون بيندكت نورسيسك القديم » [٥٥] ، الا انها أخفقت . « ولكن في بدء القرن الحادي عشر كانت محاولات لاعادة الحياة النسكية الشرقية الانفرادية القديمة » [٥٦] ، وهي التي نجحت ، فيما بعد . وتميزت الحياة الرهبانية ، آنذاك ، « بصرامة العيشة »[٥٧] .

ومن الذين انتقدوا الكنيسة الغربية بعنف غير محدود ايضا الكاتبة المجيئية (Advantiest) الن هوايت ، (E.G.White) في سلسلة كتبها الروحية ، ولا سيما منها « الصراع العظيم » (The Triumph of God's Love) وفيه حملت المؤلفة على الكنيسة الرومانية حملة لا مثيل لها ، الا في منشورات

(٥٥) (٥٦) (٥٧) المصدر نفسه .

« شهود يهوه » ربما . ويمكننا القول ان هوايت في كتابها هذا قد واصلت طعن جسد الكنيسة الرومانية حتى انتهت الى قلبها ، ومن ثم بالغت في تمزيقه . من دون أن ننسى ولادة فجر البروتستانتية ، التي ولّدت الحريات الدينية والكنائس الوطنية والقومية . وهذه الفرق المسيحية ، في مجملها ، متّهمة بـ « العمالة » للصهيونية ، فيما نحن لم نر ، حتى الآن ، سببا وجيها يبرّر مثل هذا الظن ، غير ردة الفعل المنبثقة من الخوف على المصير [٥٨] .

وسواء اختلف المؤرخون أو اتفقوا ، فان الصراع على الرئاسة في القسطنطينية ، كما تجلى في النزاع الرهيب بين فوثيوس واغناطيوس ، حوالي عشرين سنة (٨٦١ ـ ٨٧٩)، كان هو الذي عجّل على اندحار المسيحية الشرقية، وعلى انفصال الكنيستين التام .

إن احدا من الاقطاب المتصارعين ، في القسطنطينية ، لم يخطر بباله ان حركة وحدوية سوف تولد في سوريا ، وتحديدا في حلب . وقد طالت القطيعة ، « المطابقة اجمالا للحقبة البيزنطية » [٥٩] ، اذ استمرت زهاء ستة قرون ،

(٥٨) انظر كتابنا « نحن وصنمية التاريخ » طبعة ١٩٨٦ ، الفصل الخامس من الباب الرابع وعنوانه : البروتستانتية الشرقية تصحح ما « أفسدته » البروتستانتية الغربية من ص ٥٧٣ الى ٦٠٢ . وانظر أيضا ص ١٠٤ من هذا الكتاب.

(٥٩) الروم الملكيون الكاثوليك : ص ٧٠

مع العلم ان « الكنيسة الملكية لم يكن بينها وبين رومة من خلاف مبدئي » [٦٠] ، كما ان أيّ اجراء رسمي ،لقطع العلاقات بين الكنيستين ، « لم يتم » [٦١] ، وهو أمر ملفت للنظر على كل حال •

العودة الى رومة

صحيح ان « نشاط المرسلين الغربيين المتقاطرين على الشرق هو الذي مهّد للعودة الى الشراكة ، مع رومة » [٦٢]• ولكن الصحيح أيضا هو ان من بين المسيحيين السوريين ، الذين ارهقتهم الانقسامات والصراعات والمناقشات اللاهوتية ، من يرى ، فعلا، الى الوحدة المسيحية والكنيسة الجامعة ، وليس مصادفة أن تكون حلب عاصمة دعاة الكثلكة ومنطلقهم ، وهي أخت انطاكية واورشليم (القدس) ، بل هي بنت سوريا الحضارات والاديان •

يقول المتروبوليت باشا :

« عندما وصل المرسلون الاولون الى حلب،وجدوا فيها ، على رأس الابرشية الملكية ، اسقفا نشيطا من اصحاب العلم والفضيلة ، هو ملاتيوس كرمة • هذا

(٦٠) ص ٧٠/٧١
(٦١) ص ٧١
(٦٢) ص ٧١

الاسقف القديس الذي كان قد أعاد النظر في الترجمة العربية لأهم الكتب الليترجية ، كان ، منذ بعض الوقت ، على تفاوض مع رومة في شأن طبع هذه الكتب المنقحة » •

وتابع يقول :

« فاستضاف (ملاتيوس) اليسوعيين في داره الاسقفية حيث انشأوا مدرستهم الاولى • ولما أصبح ملاتيوس بطريركا سنة ١٦٣٤ ، أوفد بعثة سرية الى رومة لتبرم معاهدة وحدة رسمية بين البطريركية الانطاكية ورومة بموجب الاتفاقات المعقودة في مجمع فلورنسا • ولكنه توفي في اثناء المفاوضات • وشاع الخبر بأنه مات مسموما بسبب آرائه الوحدوية » [٦٣] •

كم كان المخاض عسيرا اذاً ؟!

لقد ظلت الدعوة الى الكثلكة بين الاخذ والرد ، والغليان والفتور ، والإقدام والتراجع، فعاش الكاثوليك « في الخفية في المناطق الخاضعة مباشرة للسلطان (العثماني) • ونُكبوا في ارزاقهم وممتلكاتهم ، ودفعوا أحيانا من دمهم ثمن تعلقهم بالكثلكة [٦٤] ،حتى ان كثيرا

(٦٣) ص ٧١
(٦٤) ص ٧٢

من الأسَر الكاثوليكية « التجأوا الى لبنان حيث أصابوا قسطا كبيرا من الحرية في رعاية الامراء الشهابيين ، وفي منطقة كسروان المارونية » (٦٥) •

و « لما توفي (البطريرك) اثناسيوس الثالث (دباس) سنة ١٧٢٤ ، شغر الكرسي البطريركي الانطاكي ، فعمد أهل دمشق الى انتخاب سيرافيم طاناس ابن اخت المطران افتيموس الصيفي ، وتلميذ « مجمع نشر الايمان » في رومة • وسيم بطريركا في دمشق في ٢٠ ايلول ١٧٢٤ ، واتخذ اسم كيرلس السادس » (٦٦) •

وكان من الطبيعي أن يردّ سينودس القسطنطينية ، على الدمشقيين ، بانتخاب بطريركه هو ، فكان سلفستروس القبرصي ، تلميذ البطريرك الراحل اثناسيوس الثالث • وسيم بطريركا في القسطنطينية في الاحد التالي ، ٢٧ ايلول ١٧٢٤ » (٦٧) • وهكذا احتدم النزاع بين منتخَب دمشق ومنتخب القسطنطينية ، فاباح السلطان دم كيرلس ، الذي هرب الى دير المخلّص ، وهناك «حال الدروز مع زعيمهم

(٦٥) ص ٧٨
(٦٦) ص ٧٨
(٦٧) ص ٧٩

جنبلاط دون استيلاء سلفستروس على الدير، والقائه القبض على البطريرك » (٦٨) الهارب من المشنقة السلطانية • والغريب هو ان رومة « لم تعترف رسميا بكيرلس السادس ناطاس الا سنة ١٧٢٩ ، بعد ان ابرم الوعد بالا يبدل شيئا من الانظمة الشرقية » (٦٩) ؟!

اذاً ، مع كيرلس ناطاس انطلقت المسيرة البطريركية الانطاكية الكاثوليكية ، فلمعت ، في سماء عين تراز (قضاء عاليه) ، التي اصبحت منذ سنة ١٨١١ مقرا بطريركيا خاصا ، أسماء تجاوزت الجبل اللبناني الى دمشق ، ومن هناك الى العالم الكاثوليكي عبر الشرق الاوسط • من هذه الاسماء :مكسيموس مظلوم(١٨٣٣–١٨٥٥)وغريغوريوس يوسف (١٨٦٤ – ١٨٩٧) ومكسيموس الرابع الصائغ (١٨٧٨–١٩٦٧) ، والبطريرك الحالي مكسيموس الخامس حكيم – طال عمره – الذي ما زال يواجه العاصفة – مذ هبّت على مقره في عين تراز فأحرقته بجميع محفوظاته، ودمرت الكثير من الكنائس والدُور الاسقفية والاديار ، بعقل كبير ، وصبر عظيم ، ونفس أبية ، وكمن أوحي اليه، أو أُشعِر الخطر قبل وقوعه ، أقدم غبطته على بناء صرح بطريركي جديد ، بالطرز الحديث ، في الربوة – شرقي

(٦٨) ص ٧٩
(٦٩) انظر الصفحات : ٧٩/٨٠/٨٢/٨٤/١٠٣

انطلياس، مؤكدا ان الانسان المخلص لعقيدته، أيا كانت هذه العقيدة، انما هو أقوى من العواصف والصواعق، وأقوى ايضا من الظالمين والذين في نفوسهم مرض وحقد وضغينة .

ومن أسف ان هـذا الصرح قـد « احتلّه » بعض النازحين من مغدوشة ، مما جعل البطريرك حكيم في حيرة من أمره ، فدعا الى معالجة هذه القضية الناشئة عن سقوط مغدوشة وتهجير أهلها ، بوسائل أفضل وأحسن ، الا انه لم يلق آذانا صاغية ، بل أخذوا يضيّقون عليه كما لو انه هو المسؤول عن نكبة مغدوشة ، فكان لا بد من أن يغـادر الصرح الذي بناه ورعاه بقلب كبير ونفس كريـمة ، الى دمشق ، في ظل صمت المسؤولين والقياديين المسيحيين ممن كانوا يزورونه، في الصرح نفسه ، لاستشارته والوقوف على رأيه ، فيظهرون له الود والاحترام والتقدير ؟!

قلة ولكنها فعالة

لا يتجاوز عدد الملكيين الكاثوليك المليون نسمة(٧٠)

---

(٧٠) يقـول الارشمنـدريت ديـك أو المتروبوليت بـاشا : ان « نصفهـم ، علـى الاقـل ، خارج الشرق الادنى . منهم ، علـى وجـه التقريب ٢٥٠،٠٠٠ نسمة في لبنان و ١٥٠،٠٠٠ في سورية ، و ١٠٠،٠٠٠ موزعة على سائر بلـدان الشرق الادنى ، وبالتحديـد في فلسطين والاردن ومصر . والملكيون الكاثوليك هم الطائفة الاكثر عددا، بمقدار كبير ، في سورية والجليل ، وهم ، بين الكاثوليك في المنزلة الثانية في لبنـان والقدس والاردن ومصر . ولكنهم

وبالرغم من ذلك شاركوا الشرق العربي في التجدد الثقافي والروحي، ومن أعلامهم: ملاتيوس كرمة، متروبوليت حلب ، والايقونوموس ميخائيل بجع ، والبطريرك مكاريوس الثالث الحلبي ، وابنه الارشيدياكون بولس ، ومكسيموس الثاني حكيم ، رئيس دير القديس يوحنا الصايغ في الشوير ، ثم متروبوليت حلب وبطريرك انطاكية ، والاب نقولاوس صايغ المؤسس الحقيقي للرهبنة الشويرية ، والشماس عبـدالله الزاخر ، والشيخ ناصيف اليازجي وابنه الشيخ ابراهيم ، وعيسى اسكندر المعلوف ودوحة المعالفة ، والشاعر خليـل

يلعبون دورا هاما وفاعلا ، باعتبار المؤهلات التي تتميز بها صفوتهم » (ص ١٠١) .

ويقول أيضا :

« في لبنـان كـان الملكيـون ، في فرعيهم الكـاثوليكي والارثوذكسي ، يكوّنون قرابة نصف السكان المسيحيين . ولكنهم كانوا خصوصا من سكان المدن ، ولا ينتمـون الى الارستقراطية الملاكة كالموارنة . ولما كان معظم تجمعاتهم في المدن الباقية تحت السيطرة المباشرة للباشاوات العثمانيين فقد بات لهـم أثر اضعف في الحياة السياسية في الجبـل اللبناني ، مـع اضطلاعهم بدور بارز في المجالين الاقتصادي والثقافي . هذا ، ولا ننسى ان معظم الملكيين كانوا من اصل سوري ، قدموا الى لبنان من مناطق حوران ودمشق وحمص وحماة ، طمعا بالحرية السائدة فيه . وهناك ايضا موارنة كثيرون تعود جذورهم الى أسر ملكية سورية قديمة ، انتقلوا الى المارونية بسبب ابتعادهم عن أوساطهم الملكية » (ص ٩١) .

مطران ، وسليم تقلا مؤسس « الاهرام » المصرية • وأيضا المطران جرمانوس معقدّ، مؤسس جمعية المرسلين البولسيين (حريصا – لبنان) ، والاب قسطنطين باشا المخلّصي ، والاستاذ حبيب الزيات ، والمونسنيور جوزف نصرالله، واضع الموسوعة : « تاريخ الحركة الادبية في الكنيسة الملكية » ، والمطران ناوفيطوس ادلبي ، متروبوليت حلب، الذي يصدر سلسلة « التراث العربي المسيحي » بالتعاون مع الاب سمير خليل اليسوعي ، والمطران حبيب باشا ، والمطران يوحنا منصور ، والاب حنا فاخوري، والاب جورج فاخوري، والكاردينال اكاكيوس كوسى ، الذي عُيِّن رئيسا للمجمع الشرقي في رومة، والمطران بطرس كامل مدوّر ، والاب الياس كويتر، والاب اميل الحاج ، والاب أوريست كرامه ، والارشمندريت اغناطيوس الديك، والاب ادريانوس شكور، والارشمندريت سمعان نصر ، الرئيس الحالي لدير المخلّص المحتل من قبل الحزب التقدمي الاشتراكي – الجنبلاطي (؟!) والمطران غريغوار حداد ، والمطران الياس الزغبي ، والارشمندريت بطرس المعلم ، والارشمندريت ساروفيم قصبجي ، والمطران عادل ايليا، والمطران يوسف ريّا، والمطران ابراهيم نعمه ، والمطران فرنسوا أبو مخ، والنائب الاسقفي العام في بيروت الارشمندريت الياس الهبر، والنائب الاسقفي العام في زحله الارشمندريت سمعان عبد الاحد ، ورئيس عام الرهبانية

الشويرية الارشمندريت بولس عبده ، والنائب الاسقفي في صيدا الارشمندريت سليم غزال، والارشمندريت بطرس حداد والاب يوسف يارد، رئيس مدرسة البطريركية - بيروت، والاب جوزف هليّط ، رئيس دير القيامة فاريا - كسروان ، والاب اليان حلبي ، والاب يوسف كلاس مدير المكتبة البولسية ، والاب ريمون جهامي، مدير معهد العناية التقني ، والاب سليم بسترس ، والاب انطوان مهنا ، والاستاذ متري نعمان واولاده : عبدالله وجهاد وناجي • كما لا يسعنا الا أن نذكر أيضا الوزير جوزف سكاف ، والنائب والوزير يوسف سالم ، والنائب نديم سالم ، والوزير جوزف أبو خاطر ، والنائب المحامي نصري المعلوف ، والصحافي جورج سكاف ، والاستاذ سليم الحاج ، رئيس مجلس ادارة بنك التجارة الخارجية، والاستاذ بشاره مطر أحد مدراء بنك الاعتماد المصرفي ، والمهندس الشيخ رامز الكفوري ، والاستاذ غسان حداد ، مؤسس مجمّع « SAMAYA » السياحي بالاشتراك مع الاستاذ سليمان التنوري، احد مؤسسي مجمّع « SOLEMAR » السياحي أيضا ، والاستاذ جورج صايغ ، مدير بنك عبر الشرق ، والاستاذ ابراهيم داغر مدير غلوب بنك ، والاستاذ الياس الحجة مدير شركة « وارنر آدامس » ، والاستاذ ألبير طنوس أحد مدراء أدكوم بنك ، والاستاذ

ابراهيم المنذر أحد مدراء بنك البحر المتوسط ،وآل فتّال، وآل عبجي،وسواهم كثيرون ممن لهم مساهمات جليلة في حقول شتى مثل التربية والتعليم والنشر والاعلام والصحافة والحقوق والقضاء .

والحقيقة هي ان الطائفة الملكية ، بفرعيها: الارثوذكسي والكاثوليكي ، ليست مجرد كنيسة بطريركية ، بل «ملّة» لها جذور قومية ممتدة في اعماق الشرق العربي ، من خلال « الاندماج القومي » ، الذي حققته بفضل المستنيرين من أبنائها ، وهؤلاء تعاونوا مع غيرهم من المسيحيين والمسلمين، في بعث القوميتين : السورية والعربية ، ادراكا منهم ان المصير هو واحد ، والتعايش المشترك لا مفرّ منه ، وان العدالة حاجة انسانية بدونها لا تستقيم الحياة ، ولا تستقر الممالك والدول .

هل يعود الملكيون الى ما كانوا عليه متحدين متضامنين ، أم ان فوتيوس واغناطيوس قد تنازعا ، ليظل الملكيون طائفتين وكنيستين ، الى الابد ؟!

إنّ الاستجابة الصحيحة والمطلوبة لدعوة الارشمندريت الديك والمتروبوليت باشا ، هي توحيد الملكيين ملّة وكنيسة،اذ لا شيء ينفع غير ذلك ، وقد ضاعت القسطنطينية وانطاكية والاسكندرية وأورشليم ، في مجاهل الحروب الدينية والسياسية والاقتصادية التي غطّت الشرق من أقصاه الى أقصاه !

الفصل السابع

الأرض والإنسان في الإسلام

"قيل لابن الخطاب مرة : هل كنتم تكرهون التجارة في الحج؟ فقال وهل كانت معيشتنا إلا من التجارة في الحج ؟!" (*)

(*) الكشاف : ج ١ ص ٨٤ عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري . ذكره ايضاً محمود سليم الحوت في كتابه: "في طريق الميثولوجيا عند العرب" (بحث مسهب في المعتقدات والأساطير العربيّة قبل الاسلام) دار النهار للنشر، طبعة ١٩٧٩، ص ١٤٨

الارض أقصى الغايات

في دراسة وثائقية عنوانها « نصّتان في ضوء الوثائق البردية قبيل الاسلام وخلال نصف القرن الاول من الحكم العربي »[1] للدكتور مصطفى العبادي ، ينقل كاتبها عن البلاذري النص التالي :

« لما توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك من أرض الشام لغزو من انتهى اليه أنه قد تجمّع له من الروم وعاملة ولخم وجذام وغيرهم ، وذلك في سنة ٩ من

---

(١) مجلة عالم الفكر ــ الكويت ، المجلد الخامس عشر ــ العدد الثالث ١٩٨٤ ، من ص ١٠١ الى ص ١٢٨

و « نصتان » أو « نصّانا » هو الاسم القديم لقرية العوجاء أو عوجا الحفير التي تقع في صحراء النقب بجنوب فلسطين ، وترجع اهميتها في التاريخ القديم الى موقعها على طريق القوافل الرئيسية من الجزيرة العربية الى البحر المتوسط ، وبتعبير أدق في المرحلة الاخيرة من أيلة (إيلات) الى غزة ، وكان يمر بنصتان أيضا الطريق المتجهة غربا الى مصر .

الهجرة ، لم يلق كيداً ، فأقام بتبوك أياما فصالحه أهلهـا على الجزية ، وأتاه وهو بها يحنّه (يوحنـا) بن رؤبـه صاحب أيلة فصالحه على أن جعل له على كل حالم بأرضه في السنة دينارا فبلغ ذلك ثلاثمائة دينار ، واشترط عليهم قِرى (٢) لمن مرّ بها من المسلمين ، وكتب لهم كتابا بـأن يحفظوا ويمنعوا وصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل أذرح على مائة دينار في كل رجب » (٣) .

ويعلّق الدكتور العبادي على هذا الحدث(النص) فيقول :

« وحتى بعد أن فتح المسلمون أقاليم أكثر خصبـا وعمرانا في بلاد الشام في خلافة أبي بكر وعمر ، نجـد وحدة الجزية تستمر (على كل حالم دينار وجريب حنطة وخلاً وزيتا لقوت المسلمين) في مدن مزدهرة مثل بصرى ودمشق وغيرهما » .

أضاف :

« ان تكرار تحديد الجزية بدينار على هذا النحـو

---

(٢) قرى الضيف اضافه ، وقِرى ما يقدم للضيف .
(٣) البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٨٠-٨١ ، العبـادي : ص ١٢٣

يحذّرنا ضد المبالغة في تقديرها . كما ان الاشارة الى أن حصيلتها كانت ٣٠٠ دينار من أيلة و ١٠٠ دينار منأذرح تُنبّهنا الى أنه لا ينبغي أن تتوقع من نصتان رقما يربـو على ألف دينار . واذا كنا لا نعرف من أخبار أذرح مـا يساعدنا على المقارنة بها ، فان مجرّد ذكرها ربما يدل على انها لم تكن أقل من نصتان كثيرا . أما في حالة أيلة ، (فهي ـ نصتان ـ ذات أهمية) بالنسبة لوضعها في الامبراطورية البيزنطية ، وكانت أكثر سكانا وازدهارا (اذ) كـانت لكنيستها الرئاسة الدينية في المنطقة ، حتى ان رئيسها وهو برتبة (اسقف) كان من الاهمية بحيث حضر مجمع نيقيا زمن قسطنطـين (٣٢٥ م. وفيه حرم آريوس وأعلـن « قانون الايمان ») . لذلك كله لا تتوقع أن تكون جزية نصّتان أكثر من ثلاثة أضعاف جزية أيلة ، بل المتوقّع انها كانت أقل منها » (٤) .

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، يكتب الـدكتور محمد علي نصرالله ، مؤلف « تطور نظام ملكية الاراضي في الاسلام » (٥) فيقول :

---

(٤) العبادي ـ عالم الفكر ـ المصدر نفسه ص ١٢٣
(٥) ٣٠٢ (صفحة) من القياس الكبير ، دار الحداثة ـ بيروت ١٩٨٢

« ولعلّ نشوء البيروقراطية كمفهوم اداري في الاسلام يمكن أن يقرن من جهة بعملية الفتوح ذاتها . اذ من الواضح ان هذه العملية كانت تحتاج الى جيوش جرارة ثابتة أو شبه ثابتة لضمان استمرار الانتصارات والحفاظ على مكاسب الفتوحات (الدفاع عن بيضة ـ ساحة الاسلام)، ولفرض بسط سلطان الاسلام والحفاظ على مركز العرب الفاتحين . فقد كانت الحاجة ماسة ، الى ابقاء الجيش الاسلامي على استعداد للقتال على الدوام وذلك لوجود الخطر المستمر ولفكرة الجهاد . وبطبيعة الحال فان هذه الجيوش الغازية التي تحولت الى جيوش نظامية كانت تحتاج الى قيادة عليا . فوُجد أمير للحرب ، وظهرت الى جانبه مراتب أخرى تتسلسل في درجاتها ، أُنيطت بكل منها مهمة معينة خلال نشوب المعارك . ولا يخفى أن سبب ظهور هذا التسلسل في المراتب كان تلبية لحاجة ملحّة في ادارة المعارك ، ولايصال أوامر الامير الى الفرسان والمشاة ولغرض تعبئة الجنود وامدادهم بالمؤن بصورة منظمة»[٦] .

ان قراءة مجرّدة وموضوعية لهذين النصّيْن ، القديم والحديث ، تقودنا ، لا شك ، الى التسليم بأن الارض هي أقصى الغايات التي سعى اليها المسلمون

---

(٦) محمد علي نصرالله : ص ١٩٢

الاولون ، وان التوسع نحو أكثر من اتجاه هو « الرسالة العربية الخالدة » .

فبيْن الله والارض تنأى المسافة حينا ،وتقصر أحيانا، وفي الحالتين : الحاجة هي الاساس ، بل القضية العليا ، فمن عمل لاجلها فهو خالد أبدا ، ومن خالف أو تخلّف أو اعترض أو أظهر حاجة أخرى مغايرة ، فمصيره العذاب في الارض والعذاب في السماء !

ونستطيع القول ان الحاجة هي السياسة وما يتعلق بها من حقوق وواجبات ، حتى ان العبادة ، مهما سمت ، فهي حاجة أو جزء من الحاجة ، غالبا ما تقتضي قهر الذات والعزلة والانحدار من الاعلى الى الادنى ، أي من النور الى الظل ، وتجد هذه الممارسات من يمتدحها ويعتبرها تطهيرا للنفس من شوائب المادة والمجتمع وما حولهما ،على ان أكثر « المعجبين » هم من المجتمعيين الماديين ، الذين أتعبتهم الحياة ومتطلباتها ، ودائما توجد علاقة بين القديس والملك ، وبين الملتصق بالارض والهارب منها .

انتقال الملكية

في هذه الاجواء ، العامة والخاصة ، تولد الانظمة (Systems) التي هي بدورها أيضا تنقسم الى : روحية ومادية . فاذا اشتد الظلم وقوي الاستبداد الاداري والطغيان السياسي ، ازدهرت العبادات وكثر«القديسون»،

تعبيرا عن الرفض الآحادي المطلق للفساد الآحادي المطلق، اذ كلا الرفض والفساد ينظر بعين واحدة ، ويمكن أن تستمر هذه الحالة زمنا غير قليل ، الى أن يقع « التغيير » على بعض الأجهزة التابعة للنظام السلطوي ، وعندئذ قد يحصل تراجع ولو (ضئيل) في « العبادات » ، وتدعى هذه المرحلة : « الاستقرار » الامني والسياسي والاقتصادي ، ففيها تبرز الميول الانسانية نحو التمدن (Civilization) والانتشار أو الانفتاح ، وكل ما يخدم النهضة والتطوير والتحديث ، وتعنف أيضا الاهواء والشهوات مما يؤثر على الاخلاق والعادات والتقاليد ، ويبدّل المشاعر والاحاسيس ،ويكيّف العلاقات في الداخل كما في الخارج.

ان ابرز علامات المرحلة المتوسطة هذه ، التي تظهر ، عادة ، إثر كل صراع سياسي وعسكري يبلغ حد الثورة أو التمرد ، هو انتقال ملكية الارض من جماعة الى اخرى . وقد أحسن الدكتور محمد علي نصرالله في الكشف عن مثل هذه الظاهرة ، على أرض السواد ــ العراق ، مثلما أحسن الدكتور مصطفى العبادي في التأكيد عليه ، من خلال الوثائق البردية ، في مدينة نصّتان الفلسطينية .

يقول الدكتور نصرالله :

« وحصيلة للفتوحات الواسعة ، وللغنائم الضخمة

التي جلبتها حركة الفتوح ، أصبح للدولة الاسلامية ، موارد مالية ثابتة ، كان يوزع قسم كبير منها على المقاتلين فلما كثر تدفّقُ الاموال على العاصمة (المدينة ومن ثم دمشق) ، أو على الامصار الرئيسية في الدولة الاسلامية، باعتبارها القواعد لاعداد الجيوش المقاتلة وتنظيمها ونتيجة لازدياد عدد الجنود المقاتلين بفضل النجاحات المذهلة التي حققتها حركة الفتوح البالغة النشاط ، منذ زمن عمر بن الخطاب ، بصورة خاصة تولّدت نتيجة كل ذلك الحاجة الى تثبيت أسماء هؤلاء المقاتلين وأنسابهم ومراتبهم وذراريهم في سجلات خاصة بهم . فدُوّن (الديوان) حينئذ ، ليضم كل المعلومات وينظم صرف العطاء لهم والاشراف على شؤون الجنود المقاتلين ، وتوزيع الرزق على المحاربين وبقية المسلمين بشكل منظم ودوري » (٧) .

ولكن توزيع الاراضي بعد عمر لم يبق على حاله،وكذلك « النهج » المحمدي في المصادرة والاقطاع السابق على « النهج » العمري ، اذ « التغيير » أصاب كليهما ، بحكم المصالح الناشئة التي وحدها تقرر هذه « المنهجية » (Methodism) أو تلك ، وليس الامويون مثل الخلفاء الراشدين ، ولا العباسيون هم كغيرهم ممن حكم هذه

(٧) المصدر نفسه

البلاد ، من قبلهم ومن بعدهم ، ذلك لان لكل حاكم أسلوبه السياسي والاقتصادي والاجتماعي ، وان بدا تشابه بين ادارة وأخرى ، فلأن الارض ثابتة ، والانسان في دوران لا يتعداها الا بالخيال والتصوّر والاغتراب النفسي،ولولا هذا « التعدي » لبقي كل شيء ثابتا وسكونيا •

من الانسان وله

ويخرج الاستاذ نصرالله عن موضوع بحثه « تطور نظام ملكية الاراضي في الاسلام » ، مرغما ، ليعلن موقفه من ثورة زيد بن علي ومن أولئك الذين عاهدوه ثم نكثوا العهد ، فيقول :

« ولعل فهم أسباب فشل حركة زيد بن علي ، من خلال نظرة التمييز بين موقف أهل الكوفة ـ أهل الحضر ـ وبين الريف من جهة،وكذلك على اساس التمييز بين مواقف طبقات المجتمع ، يلقي بصيصا من الضوء على أسباب فشل تلك الثورة (على الرغم من جميع الظروف المؤاتية لها ، وعلى الرغم مما كانت عليه من الدقة والتنظيم وسرية في العمل) (٨) ، ذلك لان أصحاب زيد من أهل الكوفة ،وكان قسم منها من أشرافها ووجوهها ، لما أدركوا حراجة موقف صاحبهم وانكشاف أمر الثورة من قبل الوالي الاموي

(٨) هذا القول للاستاذ ناجي حسن مؤلف « ثورة زيد بن علي » ص ١٢٨

يوسف بن عمر سعوا للتخلص من تعهداتهم ومواثيقهم التي أعطوها لقائد الثورة ، بل وتآمروا مع الوالي ضد الثورة ، ليحافظوا على ما في أيديهم من نفوذ ، وليصونوا امتيازاتهم • وهكذا دبّروا حجة ليبرروا تهربهم من العهود ، وليسوغوا لانفسهم خذلان زيد بن علي ،فابتدعوا ـ بمكر غير اعتيادي ـ قضية امتحانه بمسألة الخلافة • فلما أفصح زيد عن رأيه بهذه القضية الخطيرة بكل صراحة، كأي ثائر مخلص لنفسه لا يحتمل الخداع والمراوغة الى حد يبدو كأنه مستغفل ، فلما سمعوا ذلك رفضوه • أما الفقراء والموالي وبعض أفراد القبائل ، بل وبعض البارزين من الكوفيين ، فانهم ظلوا صامدين معه ، وأيدوا حركته باندفاع وحماسة » (٩) •

لقد « سقط » زيد في « الامتحان الكوفي » ، اذ هو صرّح بأنه قام لمحاربة الامويين لانهم « ليسوا كأبي بكر وعمر » • ولست أدري لماذا عرّج الدكتور نصرالله على زيد بن علي في محنته هذه (ليست فريدة في التاريخ الاسلامي أو غير الاسمي) التي وحدها تنسف الادعاء الخطير : « تطور نظام ملكية الاراضي في الاسلام » •

(٩) نصرالله : ص ٢٣٩

والحقيقة هي ان الامويين ليسوا كالخلفاء الراشدين، مثلما قلنا ، على ان هؤلاء الخلفاء الاربعة : ابو بكر وعمر وعثمان وعلي ، بعضهم يختلف عن بعض ، وكذلك هم مختلفون ، نسبيا ،عن (النبي) محمد ، وارث السياستين: الفارسية والبيزنطية .

والحقيقة أيضا هي ان الارض قبل الفرس والرومان، وقبل الاسلام . وستظل هكذا ، بقي الاسلام أو لم يبق.

لذلك ، عليها (الارض) يقع التغيير ، ومن أجلها تتألف المذاهب والاديان والاحزاب وتشتعل الحروب والثورات التي تأكل الاخضر واليابس . فلا تغيير بدون أديان ومذاهب ، ولا ثورات وانقلابات بدون ايديولوجيات وقوى عسكرية ، وكلها ، كما يعلم الدكتور نصرالله ، من الانسان وله . ولا أعتقد أن باحثا مثل الدكتور نصرالله يحسب الاسلام قد جاء من كوكب آخر غير الارض ، وهو القائل :

«ويخيّل اليّ ان الرسول انما أعطى الاعطيات السخية ــ الى حد ما ــ لكونها من غير (الارض) الموات ــ لان بني كعب لم يظهروا تحمسا كافيا للاسلام ، وهذا واضح من نقاشهم مع الرسول ، فأراد الرسول اغراءهم وكسبهم الى جانب الدعوة . ولما طلب رئيس وفد جعفي من الرسول

أن يقطعه وادي قومه باليمن ، وكان يقال له حردان ، فعل الرسول ذلك . ومما يعزز هذا الظن ما يروى عن ذي الجوشن الضبابي والد (شمر) المعروف من أنه أتى الرسول قبل فتح مكة فقال الرسول له : « يا ذا الجوشن ألا تسلم فتكون من أول هذا الامر ؟ » ولكن الضبابي أجابه : « فاني لك بهذا إن تغلب على الكعبة وقطنها » . فلما أدبر موليا وجهه نحو ضرية واذا براكب فسأله ذو الجوشن عما وراءه من أخبار محمد ، فأخبره بانتصار محمد على أهل مكة . فصعق ذو الجوشن وقال متحسرا: «هبلتني أمي ، ولو أسلمت يومئذ ثم أسأله الحيرة لاقطعنيها»[10] .

الكل من هذا الكوكب : الارض . وهب أن أهل مكة انتصروا على محمد ، فهل ان تغييرا في نظام ملكية الاراضي لن يكون ؟

طبعا ، ان للرجال ــ الرواد ــ أدوارهم في الحركات التغييرية التي تعصف بالعالم ، ولكن ظروفا عدة تشارك أيضا في هذا التحويل ، وكما يقول الدكتور العبادي :

« على أية حال تقلّ وتكاد تحتجب عنا المعلومات

---

(١٠) نصرالله : ص ١٠٠/١٠١

فيما يتعلق بأخبار نصّتان فيما بين القرنين الثاني والرابع، واذا بها تعود الى الظهور مرة ثانية على مسرح الحياة العامة في المنطقة . وليس لدينا معلومات مباشرة عن ظروف وأسباب نهضتها وازدياد أهميتها خلال القرن الخامس وما بعده . ولكن ، ما من شك ، ان وراء تغيير أحوال نصتان وازدهارها تحولات أساسية في ظروف الشرق الادنى ، فهناك سقوط تدمر للسيطرة الرومانية في القرن الثالث ، وتوتر العلاقات بين الدولة الفارسية في بلاد الرافدين والدولة البيزنطية في سوريا ، وقد أدت هذه التطورات الى تعطيل طريق القوافل الشرقية عبر بادية الشام وعودة الحياة الى طريق التجارة الجنوبية من الجزيرة العربية الى البحر المتوسط ،وتنشط رحلة الشتاء والصيف بين جنوب الجزيرة وشمالها على نحو قلما عرفته بلاد العرب طوال ١٥٠٠ سنة من تاريخها القديم . وهكذا استعادت نصتان مكانتها السابقة باعتبارها محطا لرجال القوافل ، وتدخل مرحلة من الرخاء والازدهار فيما بين القرنين السادس والسابع لم تعرف مثيلا لها قبل ذلك التاريخ أو بعده »[١١] .

اذاً ، لكي تنهض مدينة لا بد أن تسقط مدينة كانت قبلها . ولكي ينتصر شعب فلا بد أن هناك شعبا يعاني

---

(١١) العبادي : ص ١٠٣

الهزيمة والاندحار . بيد ان الارض هي الميدان الوحيد للمنتصرين والمهزومين : هذا يموت فيُدفَن ، وذاك يتفوق فيقبض على أسباب العزة كافة ، ويظل هكذا حتى يأتي من يجندله أو ينحيه أو يشدّه من ناصيته الى نهاية مأساوية محتومة .

فعندما كانت دمشق عاصمة الدولة الاموية ، كان كل شيء حولها « دمشقياً » أو « شاميا » ، وهذا أيضا كان الى حين ، فلما جاء دور بغداد ، أصبح الذين كانوا بالامس « دماشقة » أو « شاميين » عباسيين ، بل « بغداديين » ، لا يرون من الدنيا سوى « مدينة السلام » . وأغلب الظن أن الذين صاروا « بغداديين » ما كانوا ليعلموا أن قرية صغيرة تدعى « سامراء » تقع على ضفة دجلة اليمنى ، ستسرق من عاصمتهم الوهج والشهرة وأدوات الحضارة والقمع .

الثابت والمتحرك

لقد قرأت كتاب « تطور نظام ملكية الاراضي في الاسلام » (نموذج أراضي السواد) ذا الفصول الخمسة [١٢] ، وقرأت أيضا دراسة « نصّتان في ضوء

---

(١٢) قسم الدكتور نصرالله كتابه كما يلي :
ـ الفصل الاول : نظام ملكية الاراضي وأساليب الانتاج الزراعي قبل الاسلام (من ص ٥ الى ص ٤٨) .
=

الوثائق البردية قبل الاسلام وخلال نصف القرن الاول من الحكم العربي » ، فظهرت لي النتيجة الواحدة وهي ان الارض والانسان هما الثابت والمتحرك • وكون الانسان هو الحياة والارض أسبابها ، فان الاحداث ، من أي جهة أتت ، من الدولة أو المعارضة ، هي التي تغيّر في شكل بعض هذا الثابت ، بحيث يرتفع مكان وينخفض آخر • هذا « صواني » وذاك « موات » ، وهذا « حرام » وذلك « حلال » ، أو كما يرى كل من نصرالله والعبادي ، الى المكان الذي اختار درس تاريخيته • أما وان اختلفت آراؤنا ومواقفنا ، فان اتفاقا طبيعيا يفرض نفسه علينا جميعا ، وهو اننا على يقين من وحدة الارض والانسان •

يقول الدكتور محمد علي نصرالله :

ـ الفصل الثاني : ملكية الاراضي في صدر الاسلام (من ص ٤٩ الى ص ١٢٣) •
ـ الفصل الثالث : ملكية الاراضي وتطور الاقطاع في العصر الاموي (من ص ١٢٤ الى ص ١٧٦) •
ـ الفصل الرابع : اثر ملكية الاراضي في النظام السياسي الاداري ابان الحكم الاموي في منطقة السواد (من ص ١٧٧ الى ص ٢٤٧) •
ـ الفصل الخامس : الفقهاء المسلمون والاقطاع (من ص ٢٤٨ الى ص ٣٠٢) •

« اذا ما أمعنا النظر في سياسة الرسول تجاه الاراضي المفتوحة ، أو تلك التي أعلن ساكنوها الاسلام ، أو قبلوا بسيادة الاسلام عليهم ، من خلال الروايات التاريخية المتيسرة عن غزوات النبي وفتوحه ، يمكننا أن نستخلص اتجاهات عامة رئيسية اتنهجها الرسول في سياسته لمعالجة قضية هذه الاراضي • ويمكن تلخيصها على الشكل التالي:

١ ـ مصادرة أرض الاعداء ، وتقسيمها على المسلمين •

٢ ـ تقسيم الارض (أو غلّتها) بين أصحابها وبين المسلمين •

٣ ـ ابقاء ملكية الارض لاصحابها واقرارهم عليها بعد أن يؤدوا ما عليهم من أموال »[١٣] •

وبهذا يكون (الرسول) قد رسم « منهجا » ـ يدعوه المحمديون « إلهياً » (؟) ـ اختلف حوله الخلفاء والائمة والفقهاء والأمراء ، فانبثقت الملل والنحل ، وكلها تريد الارض ، وفي حمأة النزاع والتذابح برز من ادّعى القتال والجهاد في سبيل الله والسماء •

---

(١٣) نصرالله : ص ٥٠

الفصل الثامن

حربُ المُبَشَّرين بالجنّة

يتّفق المؤرّخون المسلمون على أن محمّدًا (النبي) قد بشّر عشرة من أصحابه بالجنّة وهم:

١- أبو بكر الصدّيق ٢- عمر بن الخطاب ٣- عثمان بن عفّان ٤- علي بن أبي طالب
٥- طلحة بن عبيد الله (طلحة الجود) ٦- الزبير بن العوّام (الصحابي الشجاع)
٧- عبد الرحمن بن عوف (اسمه في الجاهلية: عبد الكعبة) ٨- سعد بن أبي وقاص مالك (الصحابي الأمير) ٩- سعيد بن زيد (كان من ذوي الرأي والبسالة)
١٠- أبو عبيدة الجرّاح (لقّبه محمّد بأمين الأمّة) (*)

(*) عن: الأعلام - الزركلي وغيره من المصادر والمراجع

"إذا التقى المُسْلمان بسيفيهما فالقاتل
والمقتول الى النار"
محمّد بن عبدالله (*)

(*) صحيح البخاري ٤/٢١٧، منهاج السنّة
لابن تيمية ٢/١٨٦، عائشة والسياسة
للافغاني ص ٢٣٧

تمهيـد

عندما وفَد الاحنف بن قيس [1] ، على معاوية بن

---

(١) هو ابو البحر ، الاحنف بن قيس (دعي كذا لكالالتــواء رجليه) . واسمه الضحاك — وقيل صخر بن قيس بــن معاوية بن حصين بن عبادة بن النزال بن مرّة بن عبيد بــن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن مناة بن تيم التميمي السعدي . أدرك النبي (ص) ولم يره ، ودعا له النبي (ص) فلهذا ذكروه .

روى الاحنف عن عمر ، وعلي ،وعثمان ، وأبي ذر ، والعباس ، وابن مسعود . وروى عنه : الحسن البصري ، وعمرو بن حلوان ، وعروة بن الزبير ، وطلــق بن حبيب ، وعبدالله بن عمير ويزيد بن عبدالله بن الشخير ، وخليــد العصري .

كان الاحنف من جملة من اعتزلوا الحرب يوم الجمل. غير انه شهد صفين مع علي ، وكان من أمراء علي يوم صفين. عمّر الى أيام مصعب بن الزبير . وكان مصعب يومئذ واليا على العراق من قبل أخيه عبدالله . كان صديقا لمصعب ، =

أبي سفيان قال له : أنت الشاهر علينا سيفك يوم صِفِّين، والمخذّل عن عائشة أم المؤمنين ؟؟ فقال : لا تواتينا بما مضى منا ، ولا تردّ الامور على أدبارها ، فان القلوب التي أبغضناك بها بين جوانحنا ، والسيوف التي قاتلناك بها على عواتقنا .

ولما خرج قالت أخت معاوية له : من هذا الذي يتهدد ؟ قال : هذا الذي إنْ غضب غضب لغضبه مائة ألف من تميم لا يدرون فيم غضِب (٢) .

عائشة والاحنف

وحينما دخلت السيدة عائشة البصرة ، إثر الظفر المؤقت الذي احرزتْه يوم الجمل الاصغر ، وبحضرتها الاحنف نفسه ورجال من وجوه العرب خطبت فقالت :

« ان لي حرمة الامومة وحق الموعظة ، لا يتهمني منكم الا من عصى ربّه ، وقضى رسول الله بين سَحْري

=

فوفد عليه الكوفة فتوفي عنده (٧٢هـ / ٦٩١م.) . (تاريخ الاسلام للذهبي ج ٣ ص ١٢٩ / ١٣٢ ، شذرات الذهب ج ١ ص ٧٨ ، أيضا : تاريخ من دُفن في العراق من الصحابة، تأليف علي بن الحسين الهاشمي الخطيب ، دار الثقافة ـ بيروت ص ص ١٣/١٧/٢٥) .

(٢) المصادر نفسها (تاريخ من دُفن في العراق ص ٢٣).

ونحري وحاقنتي وذاقنتي (٣) وأنا احدى نسائه في الجنة، وبه حصّنني ربي من كل وضيع ، وبي ميّز مؤمنكم من منافقكم ، وبي رخّص لكم في صعيد الابواء (٤) ، وأبي ثاني إثنين ، ورابع أربعة من المسلمين وأول من سُمّي صدّيقا . قُبض رسول الله (ص) وهو عنه راضٍ وقد طوّقه وهْف الإمامة (٥) . ثم اضطرب حبل الدين فأخذ بطرفيه ورتَق لكم أثناءه فوقذ النفاق وأغاض نبع الردّة، وأطفأ ما حشّت (٦) يهود ، وأنتم يومئذ جُحظ العيون تنظرون العدوة وتستمعون الصيحة ... فرأب الثأي (٧) وأوْذم السقاء(٨) ، وامتاح من المهواة (٩) ، واجتهر دفن

(٣) السحر : الرئة . الحاقنة : النقرةبين الترقوة وحبل العاتق . الذاقنة : طرف الحلقوم .

(٤) صعيد الابواء : مكان ضاع فيه عقد عائشة فاحتبس الجيش في التفتيش عنه ولم يكن ثمة ماء فأنزل الله رخصة التيمم (؟!) .

(٥) الوهف : الاقامة . اي ان النبي كلف أبا بكر اقامة الامامة والصلاة في الناس .

(٦) حشّت : أوقدت .

(٧) راب الثأي : أصلح الفاسد .

(٨) أوذم السقاء : شدّ الدلو بالسيور الطوال التي بين آذان الدلو والخشبة المعترضة عليها .

(٩) امتاح من المهواة : استخرج الماء من البئر .

الرواء (١٠) ••• حتى قبضه الله اليه واطئا على هام النفاق، مذكيا لحرب المشركين، يقظان الليل في نصرة الاسلام(•••)»

وقالت :

« ••• ألا وإني أقبلت لدم الإمام المظلوم (تقصد الخليفة عثمان بن عفان) المركوبة منه الفِقر الاربع : حرمة الاسلام وحرمة الخلافة وحرمة الصحابة وحرمة الشهر الحرام ، فمن ردّنا عن ذلك بحق قبلناه ، ومن ردّنا عنه بباطل قتلناه ، فربما ظهر الظالم على المظلوم والعاقبة للمتقين • أقول قولي هذا صدقا وعدلا وإعذارا وتعذيرا، وأسأل الله أن يصلي على محمد ، وأن يخلفه فيكم بأفضل خلافة المرسلين » (١١) •

اذ ذاك ردّ عليها الاحنف فقال :

---

(١٠) اجتهر دفن الرواء : كسح الماء الكثير •

(١١) ذكر بعض هذه الخطبة وخبرها في اخبار النساء لابن الجوزي ص ١٣ ، وفي الفائق للزمخشري ١/٢٨٧ ، وفي بلاغات النساء ص ٧ ، وفي العقد الفريد ٣/٩٦ • ونحن نقلناها ، كما أعلاه ، عن « عائشة والسياسة » للاستاذ سعيد الافغاني ، دار الفكر ، طبعة ثانية ، ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م•

« إني سائلك ، ومغلظ لك في المسألة فلا تجدي (تغضبي) علي :

« أعندك عهد من رسول الله (ص) في خروجك هذا ؟ » قالت : « لا » •

قال : « افعندك عهد من رسول الله (ص) أنك معصومة عن الخطأ ؟ »

قالت : « لا » •

قال : « صدقت ، ان الله رضى لك بالمدينة فابيت الاّ البصرة ، وأمرك بلزوم بيت نبيه (ص) فنزلت بيت الحرشة الضبي (١٢) • الا تخبرينني يا أم المؤمنين : — أللحرب قدمت أم للصلح ؟ » •

قالت : « بل للصلح » •

قال : « والله لو قدمت وليس فيهم الا الخفق بالنعال والضرب بالحصى ما اصطلحوا على يديك ، فكيف والسيوف في عواتقهم ؟! » •

---

(١٢) ضبة : قبيلة من بني معد من العرب العدنانية ، من أنصار عائشة • سكنت شمالي نجد ثم انتقلت مع الاسلام

فبدا للسيدة ما لم تكن تحتسب • وانكسرت نفسها فقالت :

« لقد استغرق حلم الاحنف هجاؤه إياي ، الى الله أشكو عقوق أبنائي »(١٣) •

حقيقة الحلفاء

وليس الاحنف بن قيس الناصح الوحيد لعائشة وحليفيها : طلحة (١٤) والزبير (١٥) اللذين هما من المبشَّرين

---

(١٣) المصادر السابقة .

(١٤) هو طلحة بن عبيدالله بن عثمان التيمي القرشي المدني، أبو محمد : صحابي ، شجاع ، من الاجواد. وهو احد العشرة المبشَّرين وأحد الستة أصحاب الشورى (الذين عينهم عمر)، واحد الثمانية السابقين الى الاسلام . قال ابن عساكر: كان من دهاة قريش ومن علمائهم . وكان يقال له ولابي بكر « القرينان » وذلك لان نوفل بن حارث ـ وكان أشد قريش ـ راى طلحة ، وقد أسلم ، خارجا مع ابي بكر من عند النبي (ص) فأمسكهما وشدّهما في حبل . ويقال له « طلحة الخير » و « طلحة الجود » و « طلحة الفياض » وكل ذلك لقبّه به رسول الله (ص) في مناسبات مختلفة ، ودعاه مرّة « الصبيح المليح الفصيح » . شهد أُحدا وثبت مع رسول الله ، وبايعه على الموت ، فأصيب بأربعة وعشرين جرحا ، وسلم ، فشهد الخندق وسائر المشاهد . وكانت له تجارة وافرة مع العراق ، ولم يكن يدع أحدا من بني تيم عائلا الا كفاه مؤونته ومؤونة عياله ووفى دَينه . قتل يوم الجمل وهو بجانب عائشة ، ودفن بالبصرة.
=

بالجنة • وعلى ما في الكتب ، هنالك العشرات من الرجال والنساء ممن حذّروا السيدة أو طلحة أو الزبير ، أو الثلاثة معا ، من خطر الهجوم على البصرة والنزاع المسلّح مع ابن ابي طالب ، المبشر بالجنة ايضا • ولكن الرؤوس الشمّاخة والأنفس المتشوقة الى الرئاسة والقلوب الحاقدة ، أنّى لها أن تسمع وتفهم ـ شأنها في كل عصر ومكان ـ وقد

=
له ٣٨ حديثا . (الاعلام ، الزركلي ، م ٣ ص ٢٢٩).وترجم له في « تاريخ من دُفن في العراق من الصحابة » (من ص ٢٦٨ الى ص ٢٧٧) .

(١٥) هو الزبير بن العوّام بن خويلد الاسدي القرشي ، أبو عبدالله : الصحابي الشجاع ، أحد المبشَّرين بالجنة ، وأول من سلّ سيفه في الاسلام . وهو ابن عمة النبي (ص) وله ١٢ سنة . وشهد بدرا وأُحدا وغيرهما . وكان على بعض الكراديس في اليرموك . وشهد الجابية مع عمر بن الخطاب . قالوا : كان في صدر الزبير أمثال العيون من الطعن والرمي . وجعله عمر في من يصلح لخلافة بعده . وكان موسرا ، كثير المتاجر ، خلّف أملاكا بيعت بنحو أربعين مليون درهم . وكان طويلا جدا اذا ركب تخط رجلاه الارض . قتله ابن جرموز غيلة يوم الجمل ، بوادي السباع (على ٧ فراسخ من البصرة) وكان خفيف اللحية ، أسمر اللون ، كثير الشَّعر له ٣٨ حديثا (الاعلام م ٣ ص ٤٣) أيضا ترجم له في « تاريخ من دُفن في العراق من الصحابة » (من ص ١٦٧ الى ص ١٨٠) .

انفجر البركان ، ولهبت النار ، وسال الدم ؟ القافلة واحدة ، والاهداف متعددة متضاربة :

طلحة يريد الخلاف لنفسه •

الزبير يرى الى حقه ولا يرى الى حق سواه •

عائشة أذابها الضغن وأذهب لحمها • خرجت لتقاتل علياً حتى يقاتلها •

لقد حددت الدكتورة زاهية قدورة أسباب الهزيمة التي منيت بها أم المؤمنين فقالت :

« إن تغلب علي على عائشة سببه الاساسي زيادة قوته على قوتها ، وكثرة أنصاره بالنسبة لها ، وتوحيد كلمة رجاله ، كما ان النظام الذي أشاعه بين أنصاره كان اكثر إحكاما من النظام بين فريق عائشة • يضاف الى ذلك انه كان لفشلها اسباب اخرى منها أنها لم تؤيد تأييدا فعالا من البيت الاموي ، فلا معاوية أمدها بجنده ، ولا مروان (ابن الحكيم) افادها بمركزه » •

قالت :

« ثم انه لم يكن طلحة والزبير على اتفاق ، بل كان بينهما خلاف على ايهما يتقدم الثاني ، وأن تقديم شخص

آخر عليهما لتنظيم القيادة لم يكن ممكنا لمركزها في الاسلام • ويجب ان نذكر انحراف أخيها محمد عنه ، ونصرته للخليفة علي ، وما كان لذلك من أثر في نفوس الكثير من الناس »[١٦] •

وعلى الرغم من هذا وذاك ، تابعت أم المؤمنين مسيرتها • كل الحواجز التي كانت تحول دون سعادتها واستقرارها ، في بيتها الزوجي ، حطمتها السيدة وجعلتها كأنها تراب أو هباء • وهي قررت الحرب لتلغي من الذاكرة عليا وفاطمة وولديهما : الحسن والحسين • ومتى تم لها هذا سيطرت على المواقع جميعا ، واصبح سائر الاعداء والخصوم في قبضتها ، وبالتالي بامكانها ان تتصرف بهم كما تشاء وترغب •

محنة أم المؤمنين

إن عائشة هي امرأة منذ عامها السادس أو السابع • بينها وبين مجتمعها صراع حاد وعنيف • اغتالوا طفولتها ليبقى « الميزان » قائما • رسموا لها الجنة والملائكة على الورق ، وقدموا لها مشروع « السعادة الالهية » • نظرت الطفلة المدللة الى أبي بكر وأم رومان (والدتها) والنبي

---

(١٦) الدكتورة زاهية قدورة : عائشة أم المؤمنين ، دار الكتاب اللبناني — بيروت ، طبعة ١٩٧٢ ، ص ٢٦١/٢٦٢

والخاطبة : خولة بنت حكيم بن الاوقص ، فاذا هم في نشوة غريبة عجيبة ، فضحكت معهم او عليهم • كان الوعد كبيرا وعظيما ، فصار للطفلة أحلام كل السنين التي بين شيخوخة النبي وطفولتها • ولما كبرت المرأة ــ الطفلة لم تجد حولها سوى ذئاب كاسرة وخاطفة • وبما ان الزمن لا يرجع الى الوراء ، كان لا بد ان تكون هي ايضا ذئبا ، بل ذئب الذئاب • ضرائرها يتكاثرن الواحدة تلو الاخرى : اليوم قرشية وغدا يهودية وبعد غد مصرية ــ قبطية ، ثم اسدية ثم هلالية ثم يهودية ثم قرشية • فالنبي ، على كل ، يده طائلة ، وسيفه يمتد الى أبعد من مكة والمدينة ، بل أبعد من حصون اليهود وبِيَع النصارى وهياكل المجوس •

المهم ان السيدة عائشة صممت على الثأر لطفولتها التي سُرقت منها في قلب النهار • والحقيقة هي انها بدأت ذلك من قبل ، وطالما عالجها النبي بحكمته المعهودة وصبره على المحن والشدائد ، وكان يساعده في ذلك ، أخوه جبرائيل • على أن السيدة كانت تثير الفتن والنزاعات في بيوت زوجها النبي ، فتحرّض هذه الضرّة على تلك ، وتلك على هذه ، الى ان يتفاقم الصراع بين الضرائر التسع ، بحيث يتبادلن الشتائم والتهم ، فتكثر الاقاويل والاشارات ، مما يستدعي تدخل الوسطاء ، ولاسيما منهم عمر بن الخطاب الذي كان أشد أصحاب محمد على نساء البيت •

إن هذه العاصفة (عائشة) ظلّت مكبوتة او محصورة طيلة العهد العمري الرشيد • ولما قضى الخليفة الحديدي ، انطلقت من خلف « الاسوار » عابثة بوصية النبي ، لتغيّر وجه التاريخ • وحملت على عثمان بن عفان لتحمل على علي ، مدّعية الاصلاح والعدالة والوحدة الاسلامية •

يقول الاستاذ سعيد الافغاني :

« لم يُتح للسيدة عائشة أن يكون لها أدنى أثر على عهد الخليفتين العظيمين أبي بكر وعمر فانهما كانا من الكفاية وحسن القوامة على أمور الرعية : بحيث ساقا الفحول المحنكين أولي الدهاء من الرجال ، فما بالك بالنساء » •

ويقول ايضا :

فلما كان عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان ، سارت السيدة في الشطر الاول من خلافته سيرتها على زمن صاحبيه ، تفتي وتحدّث وتنشر العلم • لكنه لم يكد لين عثمان يجرىء الناس عليه ، ولم تكد القالة تفشو ناقمة عليه بعض تصرفاته وتنتشر الأمور عليه آخر خلافته (•••) لم يكد يكون ذلك حتى انقلب الحال ، فرأينا السيدة

عائشة تقود (حركة المعارضة العنيفة) ، ورأينا عثمان يتبرم بموقفها كل التبرم ... ولم تزل السيدة توغل في (تدخلها) السياسي حتى أدى الامر الى ان يستغل موقفها أولو الكيد والفساد ، وآلت الاحداث الى ما لم تكن تحب السيدة نفسها ، وحتى خرج من يدها في النهاية الى ايدي الغوغاء وقادتهم الخطرين ... فكانت ـ فيما بعد ـ اشد الناس ندما وحسرة وألما على ما فعلت »[17] .

لقد ندمت السيدة فعلا ، وانما ليس حزنا على عثمان ، مثلما يحسب الافغاني وقدورة وغيرهما ، بل كونها دخلت في أزمة أخرى أصعب وأخطر من سابقتها ، اذ رأت نفسها حبيسة عهد جديد لم تتوقعه ، هو العهد العلوي الطالبي .

كانت السيدة تطمع أن يكون الخليفة بعدعثمان طلحة لا علي . وكانت تطمع ايضا أن تحطم تلك السلاسل والقيود « القرآنية » المفروضة عليها . غير ان البيعة قد تمت لعلي ، عدوها الطبيعي ، فهل تعود (السيدة) الى العزلة التي كانت عليها أيام عمر ؟ اذا كان عمر متشددا ضد نساء النبي ، فان عليا هو ، بالنسبة الى السيدة بخاصة ، المرض العضال الذي لا شفاء منه .

---

(١٧) عائشة والسياسة : ص ٢٩/٣٠

« تعسوا تعسوا لا يردون الامر في تيم أبدا »[18] .

قالت السيدة هذا عندما بلغها خبر البيعة لعلي . بينما الاستاذ الافغاني يعتبر هذا القول من « صنع بعض الناس »[19] ، لأنه « لا يصدر عن الاطفال ، بل من كان في عقل عائشة ودينها وحصافتها . ولعل واضع الخبر فاته ان يفصّله على السيدة عائشة الذكية البليغة العالمة العاقلة ، فتصوّر أمامه امرأة في مستشفى المجاذيب فقدت اتزانها جملة واحدة »[20] .

أن تقل عائشة هذا ، فليس معناه انها « مجذوبة » أو ما يشبه ذلك . بل هو موقف فحسب . وللسيدة أقوال ومواقف لا يصدر مثلها الا عن ذوي الشخصيات القوية والمرموقة . من هذه المواقف « العائشية » ما يلي :

ـ « وغارت عائشة عندما وَهَبَت أم شريك[21]

---

(١٨) المصدر نفسه ص ٦٩ عن شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢/٧٦ . وتيم هي عشيرة ابي بكر وطلحة .
(١٩) المصدر نفسه ص ٧٠
(٢٠) المصدر نفسه .
(٢١) أم شريك : احدى النساء اللواتي وهبن أنفسهن للنبي، ولكنه لم يتزوجهن فقد كان عرضا من ناحيتهن ، ولم يصادفن قبولا من ناحية النبي .

نفسها للنبي ، فقالت لها : إنه ما من خير في امرأة تهب نفسها لرجل ... وسمّاها الله مؤمنة . ونزلت فيها الآية ٥٠ من سورة الاحزاب : (وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي)[٢٢] فجاوبته عائشة : « ان الله ليسرّع لك في هواك »[٢٣] .

— « وعندما تزوج الرسول بأسماء بنت النعمان[٢٤]،

---

(٢٢) هنا نص الآية كاملة :
« يا أيها النبي إنا احللنا لك ازواجك التي آتيت اجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك التي هاجرن معك وامراة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن اراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت ايمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما » .

(٢٣) عائشة ام المؤمنين : ص ١٧٣ عن طبقات ابن سعد ج ٨ ص ١١٢ .

(٢٤) هي اميمة أو عمرة ولكن اشتهرت بأسماء بنت النعمان الكندية ، اهداها أبوها للرسول بعد أن ترملت وكانت جميلة الصورة تزوجها سنة سبع من الهجرة ولكنه فارقها لبياض فيها ، وتوفيت في خلافة عثمان بنجد . ابن سعد ج ٨ ص ١٠٢ — ١٠٥ ، ابن الاثير ج ٥ ص ٣٩٦ — ٣٩٨ ، ابن حجر ج ٨ ص ١٤٨ ، وأيضا : عائشة أم المؤمنين ، ص ١٧٣ / حاشية رقم (٢) .

وكانت جميلة الصورة ، غارت عائشة منها ، وقالت لحفصة : « قد وضع يده في الغرائب ، يوشكن ان يصرفن وجهه عنا »[٢٥] .

هذه الجرأة « العائشية » على النبي ، الا تتلوها جرأة مماثلة،ان لم نقل أكبر على علي ابن أبي طالب ، وقد ثبت لها ان الاخير سوف يسدل عليها كل ستائر النسيان ؟

ان عائشة ، في مجمل الاحوال ، صاحبة قضية، ولها مكانتها عند جماعتها ، فان سكتت سكتت الى الابد، وان حاربت وخسرت فلن تكون اسوأ مما هي عليه . فالوجع اذن هو وجعها ، والقلق قلقها . ومن المؤكد ان السيدة تعرف جيدا المثل العربي الذي ضُرب في طلب العجلة وانجاز الامر : « ضع الفأس في الرأس » . ومما لا شك فيه ان السيدة عاشت هذا الوجع وهذا القلق منذ « اغتصبها » النبي[٢٦] وحتى ساعة الوداع الاخير .

موقف « عائشي » آخر ينبغي لنا ان تتذكره :

---

(٢٥) عائشة ام المؤمنين : ص ١٧٣/١٧٤ عن ابن سعد ج٨ ص ١٠٤

(٢٦) انظر كتابنا « محنة العقل في الاسلام » الطبعة الثانية، ص ص ١٤١/١٤٧

« عندما كان الرسول في بيت عائشة ، وأهدي اليه هدية ، فأرسل الى كل امرأة من زوجاته نصيبها ، فردّت زينب بنت جحش حصتها ، ثم زادها مرة اخرى ، فردتها ، وقالت له عائشة : لقد أقمأت(٢٧) وجهك حين ترد عليك الهدية فقال : انتن أهون على الله من ان تقمئنني ، والله لا أدخل عليكن شهرا »(٢٨) .

السيدة قالت ما عندها ، والنبي قال ما عنده ايضا . وكما هو واضح ، فان كليهما في اضطراب وغليان شديدين .

ما الذي قد يحدث لو ان النبي لم يدخل على عائشة شهرا ؟

اذا لم تكن السيدة تتمنى هذا « الفراق » ، فهي لا ترغب في عكسه كثيرا ، وان كانت « أحب اليه من زُبْد بتمر » كما كان يقول لها .

في ساعة الغضب والخوف واليأس ، تتهيج الاعصاب ، وتبحّ الحناجر ، ويرتج الكلام ، ويدكن لون الوجه .

(٢٧) قمأ : ذل وصفر . القميء : الذليل الصغير . اقمأته: صغّرته وذللته .

(٢٨) عائشة أم المؤمنين : ص ١٨١

فما بالك اذا كانت الغضوب عائشة والخائفة عائشة واليائسة عائشة ؟!

يومة كان عثمان محاصرا ، هربت السيدة من المدينة الى مكة . فكأنها لا تريد لعثمان سوى ما دبّر له المتآمرون . و « لما قضت عمرتها خرجت متوجهة نحو المدينة ، فلما انتهت الى (سَرِف) لقيها رجل من أخوالها من بني ليث وكانت السيدة واصلة لهم رفيقة عليهم يقال له عبيد بن أبي سلمة ويعرف بأمه « أم كلاب » ، قادما من المدينة ، فقالت : « مَهْيَم » (أي ما وراءك ؟) فأصمّ ودمدم : فقالت : « ويحك علينا أم لنا ؟ » فقال : « لا ندري ، قتل عثمان وبقوا ثمانيا » فاستعجلت قائلة « ثم صنعوا ماذا ؟ » قال : « أخذوا أهل المدينة بالاجتماع على علي ، فجازت بهم الامور الى خير مجاز » . فقالت : « ليت ان هذه انطبقت على هذه إن تم الامر لصاحبك !» ثم قالت : « ردّوني ردّوني » ، قتل والله عثمان مظلوما ، والله لاطلبن بدمه » . فقال لها ابن أم كلاب : « ولم ؟ فوالله ان اول من أمال حرفه لانت ، ولقد كنت تقولين : اقتلوا نعثلا(٢٩) فقد كفر » . قالت : « انهم استتابوه ، ثم

(٢٩) يذكر ابن أبي الحديد ، في شرح نهج البلاغة ٢/٧٦،ان عائشة هي أول من لقبت عثمان (نعثلا) . ونعثل رجل يهودي طويل اللحية شبهوا عثمان به لطول لحيته .

قتلوه ، وقد قلت وقالوا ، وقولي الاخير خير من قولي الاول »(٣٠) .

وفي مكة لقيها طلحة فاخبرها بما جرى قائلا : « بايعوا عليا ثم أتوني فأكرهوني ولببوني حتى بايعت » . فقالت (عائشة) « وما لعلي يستولي على رقابنا ؟ لا أدخل المدينة ولعلي فيها سلطان »(٣١) .

ان هذا موقف « عائشي » واضح ايضا . وهل أحد ينتظر من عائشة أن تقول غير ما قالته ؟ وهل أحد يستبعد حدوث الانتقام العظيم الذي كان يغالب عائشة منذ عهد بعيد ؟

وبدات الحرب

لقد خيّم شبح الحرب على مكة والمكيين . قميص عثمان صار هو « القرآن الثاني » . الكل يريد الثأر والانتقام، ولكن احدا لا يعرف ممن وكيف على اليقين . واذ قرأت السيدة ما في أعين جماعتها وعلى وجوههم ، دعتهم الى المسجد ، حيث أطلقت اعلانها الصريح للثورة على علي ، وعدم الاعتداد ببيعته ، فقالت :

(٣٠) عائشة والسياسة : ص ٨٤ عن الطبري ٣/٤٦٨ ، ٤٧٧

(٣١) عائشة والسياسة : ص ٨٤ حاشية رقم (٦) ، عن « الامامة والسياسة » ص ٤٨

« أيها الناس ، ان الغوغاء من أهل الامصار وأهل المياه وعبيد أهل المدينة اجتمعوا أن عاب الغوغاء على هذا المقتول بالامس : الإرْب(٣٢) واستعمال من حدثت سنّه وقد استعمل أسنانهم قبله ، ومواضع من مواضع الحمى حماها لهم وهي أمور قد سُبق بها لا يصلح غيرها ونبا فعلهم عن قولهم : فسفكوا الدم الحرام، واستحلوا البلد الحرام ، واخذوا المال الحرام ، واستحلوا الشهر الحرام . والله لاصبع عثمان خير من طباق الارض أمثالهم، فنجاةٌ من اجتماعكم عليهم حتى ينكل بهم غيرهم ، ويشردون بعدهم . والله لو ان الذي اعتدوا به عليا كان ذنبا لخلص منه كما يخلص الذهب من خبثه أو الثواب من درنه ، اذ ماصّوه كما يمص الثوب بالماء »(٣٣) .

ورفعت السيدة قميص عثمان الملطخ بالدم صارخة : الجهاد الجهاد .

لقد ذكرت السيدة اصبع عثمان ، ليظل ذو الاصبع ــ طلحة ــ الشاهد والممول والموعود .

الجموع ، التي كانت هناك ــ على باب المسجد ــ

(٣٢) الإرْب : الغائلة والنكر واستعمال الدهاء .

(٣٣) عائشة والسياسة : ص ٨٥ عن الطبري ٣/٤٦٨ . الموْص : الغسل اللين والدلك باليد .

خدعتها عائشة ، فخدعت هي بدورها لا عائشة فحسب ، بل طلحةوالزبير،وأيضا كل الذين أمرتهمأحلامهم بأنيستجيبوا لنداء أم المؤمنين •

والذي زاد حاجة هؤلاء الى الانتقام ، وعجل على القتال ، هو ان عليا بادر الى عزل عمال عثمان والاستبدال بهم • حتى ان عليا نفسه لم يأخذ بما أشار عليه النصحاء كابن عمه : عبدالله بن عباس ، والمغيرة ابن شعبة وغيرهما • ولعل الامام نسي خطر الصراع على الوظائف ، حينما أرسل سهل بن حنيف[٣٤] الى الشام بدلا من معاوية ، وعمارة بن شهاب الى الكوفة ، وعثمان بن حنيف الى البصرة • في حين

---

(٣٤) هو ابو سعيد سهل بن حنيف بن واهب ... الاوسي الانصاري • وكان ذا علم وعقل ورياسة وفضل ، شهد بدرا وأُحدا ، وقد ثبت يوم أُحد مع النبي (ص) ، لما انهزم الناس (!) وكان بايعه يومئذ على الموت ، وكان يرمي بالنبل عن رسول الله (ص) • لم ُيعط رسول الله من اموال بني النضير أحدا من الانصار الا سهل بن حنيف وأبا دجانة لانهما كانا فقيرين • جعله علي قائدا على خيل أهل البصرة ،وذلك في وقعة صفين ، فكان أحد الشهود الذين شهدوا بكتاب التحكيم ، بعد رفع المصاحف يوم صفين • توفي بالكوفة • وقيل صلى عليه علي بن أبي طالب (تاريخ من دفن في العراق ص‌ص ٢٣٠/٢٣٣ عن التاريخ المنصوري وسِيَر اعلام النبلاء ، وكتاب صفين ، والعبر) •

ان عبدالله بن عباس تمنى لو يولي البصرة والكوفة طلحة والزبير ، و « بذلك يكفى أمرهما وأمر هذه الشكايات التي يبثونها في مجالس قريش بعد أن أظهر (الامام) انه غير موتيهما شيئا ، وكان الزبير لا يشك انه موليه العراق وطلحة موقن بولاية اليمن »[٣٥] •

هل خطأ الحاكم يبرره خطأ المعارضة أو بالعكس ؟ بيد أن الحاكم ومعارضيه : الزبير وطلحة ، هم من المبشَّرين بالجنة ، على قول الرواة والمحدثين والمؤرخين !

كل النصحاء فشلوا ، فاشتعلت حرب الجمل ، ثم حرب صِفّين •

لا فرق بين هزيمة عائشة في العراق ، وهزيمة علي في سوريا • ومن حقنا الاعتقاد أن الاخير خسر الحرب مع معاوية ، لانه ربحها مع عائشة •

ففي يوم الجمل قتل ، حسب اقل الروايات ، عشرة آلاف ، نصفهم من اصحاب علي ، ونصفهم من اصحاب الجمل : من الأزد ألفان ومن سائر اليمن خمسمائة ، ومن مضر ألفان ومن قيس خمسمائة ، ومن تميم خمسمائة ،

---

(٣٥) عائشة والسياسة : ص ٩١

وألف من بني ضبّة ، وخمسمائة من بكر بن وائل • وغيرهم •

وكان قد قتل ، في المعركة الاولى (يوم الجمل الاصغر) ، خمسة آلاف من أهل البصرة ، فيكون عدة من قتل خمسة عشر الفا على أقل تقدير • وحسبما هو معلوم ، فان هؤلاء يقولون « لا اله الا الله » وهؤلاء يقولون « لا اله الا الله »(٣٦) • ومن الثابت ان هذه الموقعة كانت من اول النهار حتى العصر • ولو استمرت الى اليوم الثاني لغطى السواد القبائل العربية كافة •

اما صفّين ، وما ادراك ما صفّين ، فقد قتل فيها سبعون الفا ، منهم من اصحاب علي خمسة وعشرون الفا ومن اصحاب معاوية خمسة واربعون الفا ، وقتل مع علي خمسة وعشرون صحابيا بدريا ، وكانت مدة المقامة بصفّين مائة يوم وعشرة ايام ، وكانت الوقائع تسعين

---

(٣٦) المصدر نفسه : ص ٢٢٠ / ٢٢١ ، عن الطبري ٣/ ٥٤٣ـ٥٤٨ . ويرى اليعقوبي ان عدد القتلى في يوم الجمل الاكبر بلغ ثلاثين الفا ونيفا ٢/٢١٣ . وفي امالي اليزيدي (ص ٩٧ طبعة حيدرأباد) أن قتلى الجمل من أهل البصرة (٢٥٠٠) .

وقعة(٣٧) • وكما في يوم الجمل ، كذلك في صفّين : هؤلاء يقولون « لا اله الا الله » وهؤلاء يقولون « لا اله الا الله » !!

الكل مسؤول

بالنسبة الى حرب الجمل ، لو نسأل اهل المذاهب رأيها ، فان جوابا عقلانيا لن يأتينا من احدهم • فالذين مع علي يرون ما لا يراه الذين مع عائشة وحليفيها ، والعكس بالعكس • أما المعتدلون ، غالبا ما يكونون من السنّة ، فجوابهم فيه « شطارة » و « فن » وكلام كثير صَلِف لا معنى له • من هؤلاء (المعتدلين) الاستاذ سعيد الافغاني ، بل لعله الاكثر اعتدالا ، الا انه جعل التبعات نوعين : رئيسية او مباشرة ، وثانوية او غير مباشرة • وقد ألقى الاولى على « السبئيين »(٣٨) ، الذين حملوا إثم قتل

---

(٣٧) ياقوت الحموي : معجم البلدان م ٣ ص ٤١٤ . مادة: صفين .

(٣٨) نسبة الى عبدالله بن سبأ . صحابي يهودي الاصل. اعتنق الاسلام إبان هجرة اليهود الى المدينة . ترجم له الزركلي كما يلي :
« عبدالله بن سبأ (نحو ٤٠ هـ / ٦٦٠ م) : رأس الطائفة السبئية . وكانت تقول بألوهية علي . أصله من اليمن ، =

عثمان والتأليب عليه وحالوا دون الصلح بين الجَمَليين والطالبيين (٣٩) . وألقى الثانية ، بطريقة ترتيب الانصباء من التبعة في هذه الحرب على ترتيبها في الحملة على عثمان ، فكان الاوفى نصيبا منها:الامويون ثم طلحة فالزبير فعائشة فعلي (٤٠) .

نحن ، اذن ، امام ثلاثة أفرقاء من اهل الرأي . والكل امام النبي المنسوب اليه أحاديث شتى منها :

= قيل : كان يهوديا وأظهر الاسلام .رحل الى الحجاز فالبصرة فالكوفة . ودخل دمشق في أيام عثمان بن عفان ، فأخرجه أهلها ، فانصرف الى مصر ، ويكذب برجوع محمد ! ونقل ابن عساكر عن (جعفر) الصادق : لما بويع علي قام اليه ابن سبأ فقال له : أنت خلقت الارض وبسطت الرزق ! فنفاه الى ساباط المدائن ، حيث القرامطة وغلاة الشيعة . وكان يقال له « ابن السوداء » بسواد امه . وفي كتاب البدء والتاريخ : يقال للسبئية « الطيّارة » لزعمهم انهم لا يموتون وانما موتهم طيران نفوسهم في الفلس ، وأن علياً حي في السحاب ، واذا سمعوا صوت الرعد قالوا : غضب علي ! ويقولون بالتناسخ والرجعة . وقال ابن حجر العسقلاني : ابن سبأ من غلاة الزنادقة ، أحسب أن علياً حرقه بالنار » (الاعلام : م ٤ ص ٨٨) .

(٣٩) عائشة والسياسة : ص ٢٤٠ .

(٤٠) المصدر نفسه .

ـ « الله الله في أصحابي ، لا تتخذوهم غرضا من بعدي » (٤١) .

ـ «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»(٤٢).

ـ « لا تسبّوا أصحابي فان احدكم لو انفق مثل أُحد ذهبا ما بلغ مُدّ أحدهم ولا نصيفه » (٤٣) .

والحقيقة هي ان هؤلاء «النجوم» بعضهم قاتل بعضا، وبعضهم سبّ بعضا . والسبب إما لخطأ منهم ، وإما لان النبي لم تصدر عنه هذه الاحاديث . لقد تنازعوا على الحكم ، كما لو ان الجنة ، التي ضمنها لهم النبي ، لا تكفيهم !!

بعد ان عرفنا رأي المعتدلين ، المثّلين بالاستاذ الافغاني ، صار يجب ان نعرف رأي كل من الفريقين المتناحرين .

---

(٤١) تيسير الوصول ٣/٢٦٠ ، عائشة والسياسة :ص٣١٢

(٤٢) صحيح الترمذي وتتمته : « ... فمن احبهم أحبني ومن أبغضهم فقد أبغضني ، ومن آذاهم فقد آذاني ، ومن آذاني فقد أذى الله ، ومن أذى الله يوشك ان يأخذه » عائشة والسياسة : ص ٣١٢ .

(٤٣) مسند أحمد ٣/١١ وتيسير الوصول ٣/٢٥٩،وعائشة والسياسة ص ٣١٢ . النصيف : النصف . اي نصف مُد.

عن الحزب الامامي يقول الاستاذ الافغاني :

« أما الذين ذهبوا الى ان الحق مع علي فقد رأوا انه هو الإمام الذي بايعه الناس ، وهو الذي يقيم الحدود ويقاضي الناس ، فليس لاحد حق في ان يثأر لمظلوم أو مقتول وعلى الناس إمام عادل لم يجُر • ورأوا ايضا أن على الإمام ردّ الخارجين عليه أيا كانوا : عائشة فمن دونها وعلى هذا يكون محقا في خروجها الى اصحاب الجمَل ، ويكون جنوده جميعا اعوانا له على هذا الحق »(٤٤) •

ويقول (الافغاني) عن الجمَليين :

« وأما الذين رأوا أن عائشة وصحبها هم المحقون فانهم رأوا ان عثمان قُتل مظلوما في الشهر الحرام وان هذا حدث" في الاسلام لا يصح السكوت عليه ،ورأوا ان كثيرا من المؤلّبين عليه والمباشرين لسفك دمه التحقوا بعلي ولم يعجل قصاصهم ، وأن هذا تعطيل للحدود وهو منكر كبير ينبغي تغييره باليد والسيف ، فخرجوا لاقامة هذا الحد والقصاص من قتلة عثمان ، ولو اسرع باقامة هذا الحد ما خرجوا عليه ، وقالوا : « من آوى الظالمين فهو إما مشارك لهم وإما ضعيف على اخذ الحق منهم ، وكلا الامرين

(٤٤) عائشة والسياسة : ص ٣١١

حجة في إسقاط إمامة من فعل ذلك ووجوب حربه » • ثم « رأوا لزوم تغيير هذا المنكر بالقوة وهم يستطيعون ، فلا يجزئهم إنكاره بالقلب ولا باللسان ولهم قدرة على التغيير باليد ، فقاموا بهذا الغرض الاساسي في الاسلام وهم خرجوا للاصلاح وللقتال »(٤٥) •

الخطيئة والمخطىء يهودي

وحده عبدالله بن سبأ يحمل هذه الرزايا كلها !

هذا اليهودي اليمني ، الباحث عن مكان له تحت شمس الاسلام ، هو الخطيئة والمخطىء ! وعلى قول المعتدلين ، فان لك أن تعتقد باصابة علي في حرب الجمل أو خطأه ، كما لك مثل ذلك في أصحاب الجمل ••• على شرط واحد هو ألاّ تظن سوءاً بالمخطىء ، وألاّ تخرجك التخطئة كما أخرجت بعض أهل الفِرق : الى تكفير أو تفسيق أو ذم أو نفي أو تعديل • كما وأنّ ترسّم خطى الصحابة أمر ليس سهلا وليس مسموحا به لأي كان •

يتفق المعتدلون والجَمَليون على أن النار التي أُطلقت على أول « وحدة اسلامية » إنما هي نار يهودية

(٤٥) المصدر نفسه •

فحسب . ان هـذه مُسَلَّمة لا يمكنك معالجتها ولا رفضها . ومثلما غلّبت أم المؤمنين قولها الاخير على قولها الاول ، كما مرّ معنا ، وحسمت المناقشة الدائرة حول دعوتها الى الثأر من قتلة عثمان ، كذلك غلّب علي بن أبي طالب رأيه في الجمليين على رأي أصحابه ، اذ قال : «انما هم اخواننا بغوا علينا» . وقال : «ان قومنا زعموا أن البغي كان منا عليهم ، وزعمنا انه كان منهم علينا ، وانما اقتتلنا على البغي ولم نقتتل على الكفر» (٤٦) .

أما وإن «أخرجك الغلوّ الى شيء من ذلك ، فقد انحرفتَ عن الجادة وخرجتَ على الجماعة اذا قدحتَ بأصحاب الرسول (ص) وهو الشيء الذي لا يغتفرونه لاحد، ويرون فيه الخطر كل الخطر على دين القادح» (٤٧) .

خلاصة القول : رحم الله من مات ، واللعنة على عبدالله بن سبأ !

ما أهون قراءة تاريخنا اذاً !

وما أهون أن نختار الضحية ، أو كبش الفداء !

---

(٤٦) المصدر نفسه : ص ٣١٤ عن اليعقوبي ٢/٢٤٨
(٤٧) المصدر نفسه .

عبدالله بن سبأ الى النار ، وأصحاب الجَمل وخصومهم الى الجنة !

هذا هو التاريخ الاسلامي كله ... وهذه هي القضية من بابها الى محرابها .

هل تصدّقون ؟

كل الايدي القذرة انغسلت بالطِيب ، ما عدا يدي ابن سبأ !

لو كان ابن سبأ غير موجود لأوْجدوه بالقوة أو كيفما كان .

وعلى كل ، فان «المبشّرين بالجنة» لا يجوز التطاول عليهم أو تخطئتهم مهما فعلوا . فكل ما عمله هؤلاء انما «في سبيل الله والنبي والاسلام» . أما وان اختلفت الطرق والوسائل فهذا لا يعني أن الذي بشّره النبي بالجنة سيكون من أهل النار لا سمح الله !

ان النبي «لا يخطىء» و «لا يقع في الريب» . وعْدُه «حق» ، لانه وعْدُ الله وسفيرُه جبرائيل .

يقول الاستاذ الافغاني :

« لقد ملأ ابن السوداء (يقصد عبدالله بن سبأ) البلاد نقمة وثورة وفسادا وأصبحت الاقطار كلها هشيما يابسا ينتظر شرارة واحدة كان ارسالها أهون شيء على جماعته وأتباعه . وهكذا قضى على حكم (المدينة) وحكومة (الراشدين) الى يوم الدين » (٤٨) .

قد يكون في نية ابن سبأ (ابن السوداء) نشر التفرقة بين المسلمين ،أو كما يقول الاستاذ الافغاني ، ولكن هل كان المسلمون متفقين أصلا ؟

ان الثورة على حكم المدينة كان لا بد منها .وليست كل ثورة هدفها الفساد والنقمة والتخريب . فمنذ أبي بكر، لا بل منذ النبي ، والمسلمون منقسمون الى أحزاب وهيئات : أبو بكر له جماعته ، وعمر له جماعته ، وكذلك علي وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد ابن أبي وقاص وسعيد بن العاص وسعد بن عبادة وسعد بن معاذ وأبو سفيان وغيرهم وغيرهم .حتى ان نساء النبي كن أحزابا متفرقة أيضا .حفصة مع عائشة، ضد ماريا القبطية وزينب بنت جحش وأم سلمة .والاصح هو ان كل واحدة منهن أقامت جبهة وأنشأت حزبا . ولطالما أذين الزوج وأربكنه

---

(٤٨) المصدر نفسه : ص ٦٥

فأدخلنه في صراعات تافهة وسخيفة كان يجب الاستغناء عنها . فلماذا التركيز ، اذن ، على ابن سبأ دون غيره ؟

لقد وصف الاستاذ الافغاني ابن سبأ بالبطل الخفي المخيف فقال :

« عبدالله بن سبأ يهودي من صنعاء أمه سوداء (ويلقبونه : ابن السوداء) تظاهر بالاسلام على عهد عثمان ، ثم اندفع متنقلا في البلدان الاسلامية فبدأ بالحجاز فالبصرة فالكوفة ، فدمشق ، فمصر ، يطوفها « ليلفت الناس عن طاعة الائمة ويلقي بينهم الشر » (والقول هنا لابن عساكر) باذرا للضلالات والفساد في هذا المجتمع السليم (!؟) وهو رجل على غاية من الذكاء وصدق الفراسة والنظر البعيد والحيلة الواسعة، والنفاذ الى نفسية الجماهير، أقطع أنه أحد أبطال جمعية سرية (تلمودية) غايتها تقويض الدولة الاسلامية والقضاء على الاسلام ، وأكاد أزعم أن هذه الجمعية تعمل لحساب دولة الروم التي انتزع منها المسلمون لسنوات قريبة قطرين كبيرين واسعين غنيين : مصر والشام ، عدا بلاد أخرى على البحر المتوسط» (٤٩) .

---

(٤٩) المصدر نفسه : ص ٦٠

لو كان المجتمع الاسلامي ، آنذاك ، سليما مثلما يعتقد الاستاذ الافغاني ، لفشل عبدالله بن سبأ وانتهى أمره ، هذا اذا كنا سلّمنا بما يدّعيه الافغاني . والحقيقة هي ان الامور أبعد من هذا بكثير .

لنبدأْ من عند عثمان ، مع ان الصورة تكاد تكون واحدة ، سواء من عند النبي أو أبي بكر أو عمر .

حدّث سيد التابعين ، سعيد بن المسيّب (٥٠) بن شهاب الزهري ، قال :

« ان عثمان لما وُلّي كره ولايته أصحاب رسول الله (ص)،لان عثمان كان يحب قومه،تولّى اثنتي عشرةسنة، وكان كثيرا ما يولي بني أمية ممن لم يكن له في رسول الله (ص) صحبة ، وكان يجيء من أمرائه ما يكره أصحاب محمد ، فكان يُستعتب فيهم فلا يعزلهم » .

(٥٠) هو سعيد بن المسيب بن حَزن بن ابي وهب المخزومي القرشي ، ابو محمد : سيد التابعين ، واحد الفقهاء السبعة بالمدينة . جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع ، وكان يعيش من التجارة بالزيت لا يأخذ عطاءا . وكان احفظ الناس لاحكام عمر بن الخطاب واقضيته ، حتى سَمّي راوية عمر، توفي بالمدينة (٩٤ هـ / ٧١٣ م) .

أضاف :

« فلما كان في الحجج الآخرة ، استأثر بني عمه ، فخرجوا ، فولاّهم وأمرهم بتقوى الله ، وولّى عبدالله ابن أبي سرح مصر ، فمكث فيها سنين ، فجاء أهل مصر يشكونه ويتظلمون منه ، ومن قبل ذلك كانت من عثمان هنات الى عبدالله بن مسعود ، وكانت بنو غفّار وأحلافها ومن غضب لأبي ذر (الغفاري) في قلوبها ما فيها،وكانت بنو مخزوم قد حنقت على عثمان بحال عمار بن ياسر»(٥١) .

وبما ان هذا العرض قد أعجب الاستاذ الافغاني،كما يظهر، فعلى ضوئه نسأل الافغاني نفسه : اين كان عبدالله بن سبأ ؟ وهل ان ابن سبأ هو الذي شجع عثمان على اقتحام هذه المخاطر ؟

لقد كره أصحاب النبي عثمان لا لان عبدالله بن سبأ أوحى لهم ذلك ، وانما لان كل واحد منهم كان يريد لنفسه إما الخلافة وإما الولاية على هذا القطر أو ذاك ، وليس أدل على ذلك من كلمة سعد بن أبي وقاص ، أحد « المبشّرين بالجنة » ، في توزيع التبعة ، وقد سُئل عمّن قتل عثمان فقال :

(٥١) عائشة والسياسة : ص ٤٨ عن العقد الفريد .

« قتله سيف سلّته عائشة وشحذه طلحة وسمّه علي » أما الزبير فقد « أشار بيده وصمت بلسانه » (٥٢)
ويمكننا أن نضيف أيضا : ان عثمان ساهم في قتل عثمان نفسه (٥٣) .

انها « بركات الارض » كما وصفها عمر بن الخطاب. وانها أيضا الوظيفة أو السلطة .

لماذا قال عمر لاصحابه:«إن أخوف ما أخاف عليكم انتشاركم في البلاد » ؟ (٥٤)

لماذا استدركت السيدة عائشة على الصحابة (٥٥) ؟

لماذا رفض عبدالله بن عمر أن تخرج اخته حفصة مع عائشة الى محاربة ابن أبي طالب ؟

---

(٥٢) المصدر نفسه ، حاشية رقم (١) ص ٥٨

(٥٣) انظر كتابنا « نحن ... وصنمية التاريخ »طبعة١٩٨٦ فصل : لماذا قتل عثمان بن عفان ؟

(٥٤) عائشة والسياسة : ص ٢٣٩ / ٢٤٠ عن الطبري ٣/ ٤٢٦

(٥٥) انظر كتاب « الاجابة لايراد ما استدركته عائشة على الصحابة » للامام بدر الدين الزركشي ، عني بتحقيقه ووضع مقدمته وتعاليقه ومصادره سعيد الافغاني ، المكتب الاسلامي – بيروت – دمشق ، الطبعة الرابعة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

لماذا رفضت أم سلمة دعوة عائشة ، ولم تخرج مع علي ؟

ألم يعرف أصحاب الجمل وأصحاب علي ان النبي قال : « اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار » (٥٦) ؟

لماذا قالت أم سلمة لعائشة : « ان عماد الدين لا يقام بالنساء » (٥٧) .

لماذا أعطى كل من يعلى بن أمية (عامل عثمان على اليمن) وعبدالله بن عامر (عامل عثمان على البصرة)المال الكثير والإبل والسلاح لعائشة عند خروجها الى البصرة؟

مرة أخرى أين كان عبدالله بن سبأ ؟

نحن لا نرغب في الدفاع عن ابن سبأ.ولكن الذي نسعى لتأكيده هو ان «المبشّرين بالجنة » كانوا أخطر على الاسلام من ابن سبأ والسبئيين . على ان الاخطر مما فعله هؤلاء وأولئك هو ان نستمر في صراعنا لاجلهم ، وهم الذين تشاتموا وتنازعوا وتحاربوا في سبيل المكاسب والمغانم ، حتى سفكوا الدماء البريئة ورسّخوا في عقول المسلمين وقلوبهم الاحقاد والضغائن ، التي لا نهاية لها .

---

(٥٦) صحيح البخاري ٣١٧/٤ ، منهاج السنة لابن تيمية ١٨٦/٢ ، عائشة والسياسة : ص ٢٣٧

(٥٧) اليعقوبي ٢٠٩/٢ ، عائشة أم المؤمنين : ص ٢٤٤

الخـاتمــة

... وبعد فان الذي ينبغي لنا أن نفعله ، منذ الآن، ليس المفاضلة بين قضية مشرقية وأخرى ، ولا الجنوح الى يمين أو يسار ، وقد نزلت بنا الشدائد من كل نوع ،وبتنا لا نعرف هـل نحن ضعفنا وسقطنا من شدة الزمان ، أم الوَعْكُ أخذَنا وعمَّنا حتى أثقلَنا ، فتباطأْنا وتهاملْنا، ولما استُنْهضْنا للنجدة لم ننهض ، وإنما آثرْنا التشكّي والتفجّع ، الامر الذي جعلَنا نتنافس في الكشف عـن أوجاعنا المخيفة ، وما كانت الغايةطلب العلاج والشفاء ، بل دوام الحال ، وأي حال .

لقد شاءت الظروف أن يصدر هذا الكتاب ، في وقت يعتقد البعض ان زمن تسوية الصراع العربي ـ الاسرائيلي وقضية فلسطين أصبح وشيكا . فلو صَحّ هـذا الحلم، فان سائر أحلامنا لا بد أن تتحقق أيضا ، وتطابق الواقع. وعندئذ نكون قد خرجنا من « القبو » الضيّق الى العالم الواسع ، ومن « السجن » الرهيب الى الحرية .

يمكننا القول إن الاجواء السائدة ، في هذه الايام ،

تبشّر بصيف مشرقي غير عادي ، واذا ما جاء هذا الصيف فان الخريف الذي يتبعه سيكون « خريف الحب »حتماً ، وليس « خريف الغضب » • وكذلك الشتاء ، وما أروعه دافئا وهادئا يروي الارض ، فتشبع البطون الجائعة ، وتتندّى الشفاه الظمأى ، ويستعيد مشرقنا عافيته ولونه ومجده وكرامته !

ففي اسرائيل هبّت على الكنيست عاصفة لم تُعرف مصادرها على اليقين ، حتى الآن ، وان يكن وزير الخارجية الاسرائيلي شمعون بيريز هو ، كما يبدو ، « الاب الروحي » لها والمحرّك والموجّه • ومن المحتمل سقوط الحكومة الائتلافية الاسرائيلية بسبب الخلافات الحادة بين جناحيها : « حزب العمل » و « تكتل الليكود » ، ليبقى ما قاله بيريز : « يجب أن يكون المرء أعمى كي لا يرى التغييرات العميقة التي حدثت في المنطقة••»[1] ، هو القول الفصل ، والذي يقضي بين الحق والباطل •

على صعيد آخر ، ما زال العاهل الاردني الملك حسين يواصل زياراته لبعض الدول الشرقية والغربية ، من أجل التباحث في الدور الذي يمكن ان تضطلع به هذه الدولة أو تلك في تحقيق السلام في الشرق الاوسط •

(١) النهار : ١٩٨٧/٣/٥

وكما الحسين كذلك الرئيس المصري حسني مبارك، الذي ما انفك يؤمن بضرورة التفاهم العربي ـ الاسرائيلي والحوار بين المتخاصمين • مثلهما عاهل المغرب الملك الحسن الثاني • بيد أن كلاً من هؤلاء يبدي تحفظه على طريقته ، وحسبما يتفق ووضعه وامكاناته : الوطنية والقومية والدينية •

ان هذه التحركات العربية ـ الاسرائيلية تباركها ، لا شك، موسكو وواشنطن ـ على الرغم مما بينهما من عداء فكري واقتصادي وسياسي ـ ان لم نقل انها من وحيهما[2] • فضلا عن الدعم الاوروبي الذي يزداد وضوحا وقوة يوما اثر يوم • ولن تتجاهل ابدا حاجة الدول الخليجية الماسّة الى هذا المشروع ، لاعتقادها بأنه يُبعد عنها الخطر الفارسي ويحميها من المستجدات التغييرية التي قد ترافق الحرب الفارسية ـ العراقية فيما لو استمرت •

والأهم من كل ما تقدم ربما ، هو عودة السلام الى بيروت الكبرى ، ومتى تم ذلك فان « الطاعون » الذي ضربها في الفترة الاخيرة ، على قول وزير الخارجية الاميركي «جورج شولتس»، سيُباد تماما، ومن ثم ينتهي معه الارهاب والخطف والقصف والقنص وحصار المخيمات، وتُفتح الطرق

(٢) انظر حديث النائب الاول لوزير الخارجية السوفياتية يولي فورنتسوف الى « السفير » ١٩٨٧/٣/٢٠ ، كما نقلته مندوبة الجريدة منى السعيد من باريس •

التي تصل العاصمة بالجنوب وكل المناطق اللبنانية ، ويتبادل المتقاتلون المخطوفين، ويُفرَج عن الرهائن الاجانب، وتُحل « الميليشيات » كافة ، وتُجمع الاسلحة غير الشرعية ، الفلسطينية منها واللبنانية ، وتعود الى دولة لبنان سيادتها وسلطتها ، مما يعزز دور الفريق السوري ، ويقوّي معنوياته في مفاوضات السلام ، ويرفع من شأنه عند المتعهديْن الكبيرين : الولايات المتحدة الاميركية والاتحاد السوفياتي ، وحلفائهما أيضا . وبهذا يكون قد استطاع الرئيس السوري حافظ الاسد ان يبرهن عمليا على الفرق بين الارهاب والعمل التحرري ، ويثبت صحة ما اكده رئيس الوزراء الفرنسي جاك شيراك للجمعية الوطنية الفرنسية ، في الخامس من تشرين الثاني ١٩٨٦ ، حيث اعتبر سوريا « نقطة مرور اجبارية لاي حل للمشكلة اللبنانية » (٣) . على ان الدخول العسكري السوري الاخير الى بيروت الغربية قد نال الرضا الاقليمي أو العربي والدولي بما يفيد الاعتراف لدمشق بدورها عسكريا وسياسيا في حل الازمة اللبنانية (٤) .

ولكن الذي ما زال يُقلق العرب ويثير مخاوفهم انما هو وجود الجيش الفارسي على أبواب البصرة ، وقد بدأت ايران هجوما جديدا ، في منطقة الحاج عمران

---

(٣) السفير : ١٩٨٦/١١/٦

(٤) ميشال أبو جودة : النهار ١٩٨٧/٣/١٠.

الجبلية ، في شمال العراق ، وأطلقت عليه : « كربلاء — ٧ » ، هدفه تسهيل مهمة الثوار الاكراد الذين يقاتلون الجيش العراقي ، مما استدعى تدخل الطائرات التركية للمرة الثالثة منذ ايار ١٩٨٣ ، وذلك بناء على اتفاق سابق بين بغداد وانقرة يسمح لقوات كل من البلدين بملاحقة الثوار الاكراد في أراضي البلد الآخر . وكأن هذا ينذر بحرب تركية — سورية تشبه الى حدٍّ ما الحرب الفارسية — العراقية ، ويكون من نتائجها إحياء معاهدة سيفر (١٩٢٠) التي نصّت على اقامة دولة كردستان لمعاقبة تركيا على تحالفها مع المانيا القيصرية في الحرب العالمية الاولى (٥) .

لقد عاد بنا هذا الهجوم الفارسي الجديد « كربلاء — ٧ » على العراق ، الى اول حديث علني للامام الخميني، في العاشر من شباط ١٩٨٢ ، وكان مضى عليه حوالى ثلاثة أشهر بعيدا عن الاضواء ووسائل الاعلام ، ومما قاله :

« ان الثورات السابقة وبصفة خاصة الثورتين الفرنسية والروسية ، كانت لها اهداف مادية ، انعكست بشكل خاص في تغيير الحكومات » .

---

(٥) انظر مقالة خيرالله خيرالله : « الدور المتجدد لتركيا »، النهار ١٩٨٧/٣/١١ . ايضا كلمة وزير الخارجية التركي وحيد خلف أوغلو التي ألقاها في معهد « بروكينغز » الاميركي للابحاث ، كما نقلها هشام يوسف : « السفير » ٨٧/٣/٢٠.

وقـال :

« ان الثورة الاسلامية ستنتشر في جميع العـالم . بمعنى ان جميـع حكومـات العالـم ستطبق مبـادىء الاسلام » .

وقال أيضا :

« ان الحرب حتى النصر ضد النظام العراقي هـي هدف مقدس » و « ان الموت والاستشهاد بالنسبـة لاي شاب ايراني هو فضل كبير من الله » و « هـذا الفضل لا يتمثل في كونهم يموتون فعلى الجانب الآخر أيضا يوجد قتلى . ولكـن الفضل لانهـم يستشهـدون من اجل الاسلام » (٦) .

الامام الخميني ، اذن ، ما زال يطلب رأس الرئيس العراقي صدام حسين . فاذا ما تحقق له ذلك استقر الشيعة واطمأنوا حسبما يعتقـد الحكـام الايرانيون . غـير ان مسؤولين ايطاليين افادوا ان وزير الخارجية الايطالي جوليو اندريوتي قال لنظـيره العراقي طارق عزيـز : « ان حرب الخليج لا تخدم مصالـح شعبي البلدين وشعـوب دول المنطقة بل تفتح الباب لزعزعة الاستقرار وتوجـد اسبابـا

(٦) السفير : ١١/٢/١٩٨٧

للانقسام في العالم العربي وتهدد الاستقرار والامن فـي منطقة مهمة للسلام العالمي » (٧) .

وعلى كل حال ، فان التصميم الفارسي على النصر ضد النظام العراقي يطرح علامة استفهام كبيرة حول موقف « مهندسي » السلام الشرق الاوسطي . فهل يتركـون « أئمة » فارس يجتاحون العراق ويسقطون رئيسه ؟ أم سيفرضون الامن والهدنة بين الفريقين ؟

من المؤكد ان دعـاة « السلام » سمعـوا الرئيس الايراني حجـة الاسلام علي خامنئي يقول وهو يـودع المتطوعين المتوجهين الى الجبهة : « ان ايران لا يمكنها عقد سلام لان النظام العراقي قاسٍ وعدواني ويهدد الامن في المنطقة »(٨) . فـاذا كان لا سلام من دون ايران ، ايران الفائزة على العراق ، فمعناه ان النظام العراقي أصبح عـلى وشك الزوال . وبهذا تكون الدولة المهدوية قد ولدت بعد مخاض طويل وعنيف . واذا ما قامت هذه « الدولة » ، التي يرفضها الرئيس السوري على قوله في غير مناسبة ، فـان « دولا » اخرى ، طالما انتظرها البعض ، ستبصر النـور ، فوق المساحة الممتدة بين البحر المتوسط وجبال الاكراد ،

(٧) النهار : ٤/٣/١٩٨٧
(٨) السفير : ١١/٣/١٩٨٧

و « ربما انطلاقا من العراق » (٩) ، الا اننا لا نعلم الكثير عن أشكالها ، ولا عن أحجامها ومناهجها • وما يجب أن نعلمه هنا هو ان الامين العام للحزب الشيوعي السوفياتي ميخائيل غورباتشيوف قد وعد باطلاق المزيد من المنشقين السياسيين ، وباعادة نظر شاملة في القيود المفروضة على السفَر الى خارج الاتحاد السوفياتي • وفي حال انجاز هذا الوعد سيكون اليهود السوفيات هم المستفيد الاكبر ، وتاليا اسرائيل بكل تأكيد •

ولئلا تتحول خاتمة هذا الكتاب بحثا في « السلام العربي ـ الاسرائيلي » المفترَض تحقيقه ، تترك أصحاب الشأن ، القريبين والبعيدين ، لكي يتدبروا امرهم ، على أمل أن يتذكروا ان المشرق انما هو مجموعة ملل وطوائف وجماعات تكوّن امما وشعوبا ، منها القوي ومنها الضعيف ، والمتشدد والمعتدل ، دمرت معظمها الحروب والفتن والصراعات المتواصلة ، فصار من حقها أن تنال السلام ، وتستجمع قواها ، وتزيل الحواجز التي عمّقت الخلافات فيما بينها •

المؤلف

---

(٩) انظر مقالة سركيس نعوم : « بين مبادىء الجمهورية الاسلامية والواقع الايراني » ـ « النهار »١٦/٣/١٩٨٧ ص٢